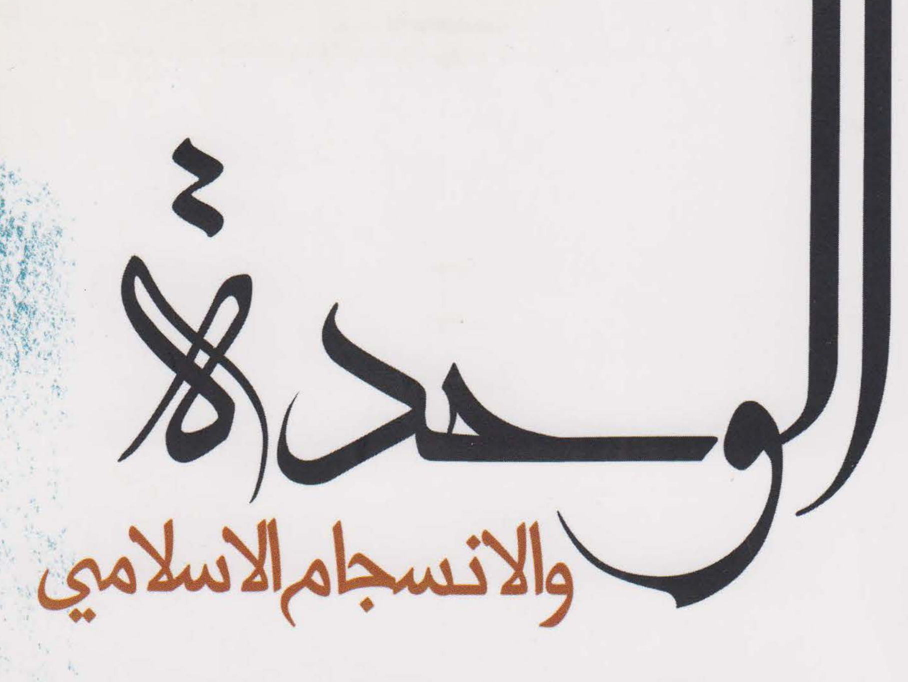


مشروع حضاري

قراءة في خطابات الإمام الخامنئي

جما ل الدين عبدالرسول

إشراف

علي أصغر الأوحدي




بسم الله الرحمن الرحيم

الوحدة والانسجام الإسلامي

مشروع حضاري

(قراءة في خطابات وبيانات الإمام الخامنئي)

جمال الدين عبد الرسول

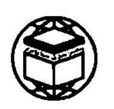
إشراف

الشيخ علي أصغر الأوحدي

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

سرشناسه	: خامنه‌اي، علي، رهبر جمهوري اسلامي ايران، ۱۳۱۸ –
عنوان و نام پديدآور	: الوحدة والانسجام‌الاسلامي مشروع حضاري : قراءة في خطابات وبيانات الامام الخامنئي / جمال‌الدين عبدالرسول ، اشراف علي‌اصغر الاوحدي .
مشخصات نشر	: تهران : مجمع جهاني تقريب مذاهب اسلامي ، ۱۳۸۸ .
مشخصات ظاهري	: ۲۰۰ ص.
شابک	: 978-964-167-048-3
وضعيت فهرست نويسي	: فيپا
موضوع	: خامنه‌اي، علي، رهبر جمهوري اسلامي ايران ، ۱۳۱۸ – -- نظريه درباره وحدت اسلامي
موضوع	: خامنه‌اي، علي، رهبر جمهوري اسلامي ايران ، ۱۳۱۸ – -- نظريه درباره همبستگي
موضوع	: همبستگي -- جنبه‌هاي مذهبي -- اسلام
موضوع	: وحدت اسلامي
شناسه افزوده	: عبدالرسول، جمال‌الدين، گردآورنده
شناسه افزوده	: اوحدي، علي‌اصغر
شناسه افزوده	: مجمع جهاني تقريب مذاهب اسلامي
رده بندي کنگره	: ۱۳۸۸ ۳و۳/ DSR ۱۶۹۲
رده بندي ديويي	: ۹۵۵/۰۸۴۴
شماره کتابشناسي ملي	: ۱۶۳۷۲۹۲



اسم الكتاب: الوحدة والانسجام الإسلامي، مشروع حضاري

تأليف: جمال الدين عبد الرسول

إشراف: الشيخ علي اصغر الأوحدي

تقويم النصّ: شوقي شالباف

الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية - المعاونية الثقافية

الطبعة: الأولى ۱٤۳۰هق/۲۰۰۹م

الكمية: ۱۰۰۰ نسخة

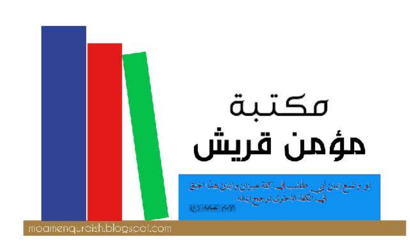
السعر: ۲۰۰۰۰ ريال

ردمك: ISBN 978-964-167-048-3

العنوان: الجمهورية الإسلامية في ايران / طهران

ص . ب: ٦۹۹٥ ـ ۱٥۸۷٥ تلفكس: ۰۰۹۸-۲۱-۸۸۳۲۱٤۱۲

جميع الحقوق محفوظة للناشر



المحتويات

تمهيد

الإسلام... والتحدّيات المعاصرة

الفصل الأول

مفهوم الوحدة الإسلامية

الفصل الثاني

إستراتيجية الوحدة والانسجام الإسلامي

الفصل الثالث

مرجعيات الوحدة والانسجام الإسلامي

الفصل الرابع

الوحدة والانسجام الإسلامي بين الرؤى السياسية والفلسفية

الفصل الخامس

التحدّيات التي تعوق مشروع الوحدة الإسلامية

الفصل السادس

تجلّيات ومظاهر الوحدة والانسجام الإسلامي وبواكير الوعي الوحدوي

كلمة المعاونية الثقافية

شكّلت الدعوة الى وحدة الصفوف بين المسلمين، وتجنّب الفرقة بينهم، إحدى الاهتمامات البارزة للقادة والدعاة والمصلحين المخلصين طوال التاريخ السياسي والاجتماعي للإسلام.

وتشهد بذلك سيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) المشحونة بالمواقف والنماذج العملية المختلفة على صعيد تكريس هذه الدعوة في المجتمع الاسلامي إبان حياتهم الكريمة.

وممّا لاشكّ فيه أنّ المحافظة على الوحدة بكلّ صورها ـ نظراً الى أهميتها الاجتماعية وانعكاساتها المصيرية في صيانة كيان المجتمع المسلم من كلّ التداعيات الهدّامة وعوامل التفرقة وإضعاف الأسس التحتية ـ تشكّل إحدى التعليمات والأحكام الاجتماعية الاسلامية التي أكّدها القرآن الكريم بصراحة، وجسّدتها السيرة العملية والسلوكية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين، والتي هي نابعة من هذا المبدأ القرآني العظيم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) حيث نلاحظ هذه الاية الكريمة تدعو أولاً المؤمنين الى انتهاج التقوى الإلهية في أعلى درجةٍ منها، ثم يحذّر من مغبّة القيام بأعمال وسلوكيات تكون نتيجتها الإعراض عن الاسلام بعد اعتناقه، ثم يقول تعالى معقباً: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) فيمكن الاستنتاج بأنّ الشطر الأول من الاية الكريمة جاءت تمهيداً للاهتمام بأهمية الحكم الإلهي بضرورة الاعتصام بحبل الله جميعاً، وعدم التفرقة.

والواقع أن المحافظة على الوحدة تعدّ مبدأ عقلياً وعقلائياً قبل أن تكون تعليماً دينياً،

ولذلك يحذّر الله سبحانه في آية أخرى من القرآن المسلمين من مغبّة إهمالها، ويدعوهم للنظر الى جبهة الكفر، وانّه كيف اتّحد الكفّار وكانوا بعضهم أولياء بعض ؛ ليحظوا بالقوة، ويكتسبوا المقدرة على تحقيق أهدافهم باتحادهم، فلو لم تكونوا أنتم مثلهم وعلى شاكلتهم في الوحدة والاتحاد، سوف تتعرّضون الى الفساد والهزيمة:

قال تعالى: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض)، (ألاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

وفي العالم الحالي أيضاً تبذل الدول ـ وخاصة الصناعية الكبرى ـ التي لها مصالح مشتركة جهوداً بليغة من أجل إزاحة العقبات التي تحول دون تحقيق وحدتها، والحدود الجغرافية بينها التي قد تقلّل الفرص من الوصول الى الوحدة بينها، ولعلّ الاتحاد الأوربي الأنموذج البارز على هذا الصعيد.

وعلى كلّ حال فإنّ حكم القرآن الكريم بشأن احترام الوحدة وضرورة اعتصام الجميع بحبل الله هو أمر اجتماعي، تعود آثاره ونتائجه على مجمل المجتمع الاسلامي ومسيرته الحضارية، ولذلك فإنّ إحدى السبل التي ينتهجها أعداء الإسلام منذ سيطرتهم على العالم الاسلامي، هي التركيز على سياسة «فرّق تسد»، وإيجاد ما يحول دون قيام الوحدة بين المسلمين.

وفي الحقبة التي تلت انهيار الدولة العثمانية، ركّز العدّو بكلّ ما أوتي من قوة، وبذل أقصى محاولاته الرامية الى إيجاد الفُرقة القومية بين المسلمين، لذلك يلاحظ الباحث المنصف في تلك الحقبة الاهتمامات المتصاعدة نحو إبراز الميول والنزعات القومية؛ كالقومية العربية والتركية والكردية و... في المجتمعات الاسلامية، من أجل تمزيق الأمة الاسلامية إرباً إرباً، وقد تواصلت هذه النشاطات المعادية حتّى أوائل مرحلة ظهور الصحوة الاسلامية في العالم الاسلامية.

وبعد ما استطاعت جهود الحركات الاسلامية تقويض هذه المؤامرة وتمكّن الوعي العام الاسلامي من ابطال مفعولها وتفوق الاتجاه الاسلامي على الشعارات القومية، لجأ العدو الى التآمر لبث التفرقة المذهبية بين المسلمين واجرى تخطيطات واسعاً لايجاد الكراهية والمواجهة المذهبية وخاصة بين ابناء الشيعة واهل السنة وتابع العدوّ جهوده

القذرة عبر انتهاج هذا السبيل من أجل تحقيق أهدافه، ومن أبرزها:

١ ـ إيجاد الضعف والهوان في الشعوب الاسلامية.

٢ ـ إشغال المسلمين بالجدال العقيم والمخاصمة مع بعضهم بعضاً، لكي لايتسنى لهم الانشغال بتصحيح أوضاعهم المأساوية، والتخلف ومعالجة مشاكلهم المتعصية.

٣ ـ إهدار الطاقات المادية والمعنوية في الشعوب الاسلامية، ومنعها من التفكير في اي تحرك نحو التطوير أو البناء.

ومن هنا نلاحظ الإمام الخميني ـ بعد انتصار ثورته الاسلامية الكبرى ـ هذا القائد الحكيم والبصير، قد وضع الوحدة والاتحاد بين المسلمين، وتجنّب أيّة فرقة قومية أو مذهبية، في الأولوية من سلّم إرشاداته وتعاليمه الى كلّ أجهزة وكوادر الثورة المباركة.

ولم ينحصر نشاطه (قدس سره) ذلك بالكلمات، بل في اتّخاذه بعض الانجازات على هذا الصعيد؛ كالاحتفال بأسبوع الوحدة في الفترة ما بين ١٢ و ١٧ ربيع الأول من كلّ عام، واعتباره أسبوعاً للوحدة بين المسلمين جميعاً، كما شدّد في تحذيراته حيال اتّخاذ أيّة خطوة أو عمل من شأنه إثارة النعرات الطائفية والقومية، والكراهية والتوتر بين مختلف الطوائف الاسلامي، بل وصعّد من اهتماماته البليغة نحو نشر ثقافة الوحدة والتقريب وتوسيعها في إيران والعالم أجمع.

وكذلك فعل ـ وما زال ـ خلفه الصالح قائد الثورة آية الله الخامنئي الذي انتهج هذه التعاليم القرآنية، وسار بسيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وأستاذه الراحل (قدس سره)، واعتمد على بصيرته وحنكته وإدراكه الصحيح للأوضاع الراهنة، والحساسيات الموجودة على هذا الصعيد، فوضع فكرة الوحدة والانسجام الاسلامي في أولويات اهتماماته القيادية بعد تسنّمه هذه المسؤولية.

ويمكن ملاحظة بصيرة قائد الثورة المعظَّم ووعيه لهذه الحقيقة في نشاطاته العلمية والعملية، قبل الثورة الاسلامية وبعد انتصارها المبارك، وهو ماسيجده القارئ الكريم في طيّ هذا الكتاب بصورة مفصّلة.

إذ إنّ دقّة نظر سماحته، وعمق رؤيته، وسعة أفقه على هذا الصعيد، يشكّل مجموعة من المفاهيم والتعليمات القيّمة التي يدلي بها سماحته في مختلف المناسبات واللقاءات.

والى جانب بيانه للحساسيات في المقاطع التاريخية المعاصرة، فإنّ توجيهاته القيّمة من شأنها أن تشكّل نبراساً متوقّداً يضيء الدرب للأمة الاسلامية.

وهذا ما دعا المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية إلى استغلال الفرصة للمساهمة في تسليط بعض الضوء على هذا الجانب المهم: الجانب الوحدوي، من جوانب اهتمام قائد الأمة، من خلال قراءة خطاباته وبياناته، وعرض أفكاره في هذا الإطار، وأنّها تمثّل امتداداً لاهتمامات أجداده وسلفه الصالح على طول التاريخ السياسي والاجتماعي للإسلام، بدءاً من سيرة النبي الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام المشحونة بالمواقف المشرّفة، قولاً وعملاً، تجاه وحدة واتحاد الأمّة المسلمة، والقائمة على أساس تعاليم القرآن الكريم الذي يصرّح في أكثر من موضع بضرورة التمسّك بحبل الله وعدم التفرقة، كما سنقف عليه في ثنايا هذا الكتاب.

فلقد أشار سماحته في العديد من خطاباته للجماهير المتجمهرة حوله، أثناء زياراته ولقاءاته واجتماعاته، إلى مشروعه الوحدوي والانسجام الإسلامي الذي يمكن أن يتبنّى دفع الأمة إلى المزيد من التلاحم والاندماج، وتصحيح المفاهيم الخاطئة المتصوّرة عن المسلم الآخر، ويحفّز المسلمين على ضرورة العمل مع الآخر لإعادة مجد الأمة الغائب، يشترك فيه كلّ عناصر ومكوّنات الشارع الإسلامي لسببين:

الأول: أنّ الجماهير تمثّل السند والأساس لكلّ مبادرة ومشروع.

الثاني: أنّ الظروف الراهنة تتطلّب مواجهة موسعة للاستكبار الغربي بكلّ إمكانياته المادية والتقنية المتطورة، لذا يستلزم الأمر استعداد الجميع للمواجهة وإسقاط خيارات العدوّ المتغطرس الذي يحاول أن يعبث بالمسلمين وبمقدراتهم وثرواتهم الطبيعية.

ومن هنا وجدنا الحاجة ماسة إلى تجذير الوعي الثقافي والوحدوي لأبناء أمتنا، وهداية الأجيال إلى الحقّ، ونشر ما هو خليق بنشره وتعميمه إلى جميع أنحاء عالمنا الإسلامي الوسيع، فنهضنا إلى تكليف بعض الأفاضل من ذوي الطاقات والثقافية بالكتابة عن موضوع الوحدة الإسلامية وفق رؤية الإمام الخامنئي، وتقديم صورة شفافة لما يدعو إليه سماحته من خلال خطاباته وبياناته على هذا الصعيد، على أن يكون:

١. مختصراً مفيداً ومشتملاً على أفكار الإمام القائد بأبعادها الثقافية والوحدوية

٢. ملائماً وذوق شبابنا المسلم الواعي

٣. موضوعياً ومناسباً لتوجّهات وأهداف المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الأغرّ.

إنّنا بحاجة إلى مطالعة أفكار علمائنا وفقهائنا الواعين بحاجات الأمة ومتطلّباتها الراهنة، ودراسة آرائهم الذي تزيد من استحكام وحدة وتلاحم المسلمين، دراسةً علميةً وموضوعيةً، وأن نحاول أن نقتبس منهم الأفكار الإيجابية لمساعدتنا على حلّ الاختلافات الحاصلة بيننا، وأن نستلهم من إرثهم الثقافي والعلمي ما يرفع بنا إلى أعالي السماء، من دون النظر إلى مذاهبهم واتجاهاتهم الفقهية، طالما كانت تشير إلى الإسلام، وتنبع من تعاليم القرآن الكريم والسنّة المحمدية الشريفة وأهل بيته الطاهرين.

ومن هذا المنطلق سعينا إلى تقديم الأفضل في طبع هذا الكتاب، وإخراجه بصورة جذّابة تتناسب وذوق جيلنا المعاصر حيث اشتمل على تمهيد وستة فصول، ضمّ التمهيد بيان مكانة الحضارة الإسلامية وعراقتها بالنسبة إلى حضارة الغرب، وسبب عدائه للإسلام، وحربه له. وبينما ضمّ الفصل الأول التعريف بمفهوم الوحدة الإسلامية، وعناصر تحقيقها، راح الفصل الثاني يعرض استراتيجية الوحدة والانسجام الإسلامي من وجهة نظر الإمام الخامنئي، وآليات تحقيقها. وفي الفصل الثالث يشرح مرجعيات مشروع الوحدة الذي يطرحه سماحته، والأُسس التي قامت عليها نظرته، ويتعرّض الفصل الرابع إلى جوانب الوحدة السياسية والفلسفية، كما يراها سماحته، وأمّا الفصل الخامس فيورد أهمّ وأبرز التحدّيات التي تعوق مشروع الوحدة والانسجام الإسلامي، وفي الفصل الأخير يشير إلى تجلّيات الوحدة ومظاهرها الاجتماعية والعبادية، كما يشير إلى عرض بواكير الوعي الوحدوي عند الإمام الخامنئي، وأبرز مبادراته العملية على هذا الصعيد.

وفي الوقت الذي نثمّن جهود الأخ الفاضل جمال الدين عبد الرسول وحرصه على كتابة مطالبه، وتأليفه لأبرز بنوده، وما تحمّله من مشاقّ على صعيد متابعة كلمات الإمام القائد وخطبه في المصادر المطبوعة، وجهود الأخ الفاضل شوقي شالباف التي بذلها من أجل تصحيح واستدراك وتعديل الفصول بالتنسيق مع الأخ المؤلّف، وتحت رعاية

المعاونية الثقافية.

ونتقدّم بالشكر الجزيل إلى جميع الإخوة ممّن تحمّسوا في تكريس ما هو أفضل لهذا الكتاب، وتعاونوا على إنجازه، فجزاهم الله خير الجزاء.

نسأل الله العليّ القدير أن يوفّقنا إلى تقديم الأفضل، خدمةً للإسلام وعلماء الإسلام، لترسيخ الوحدة والتقارب والانسجام بين المسلمين، وتصعيد وتيرتها بين كلّ الشعوب المسلمة، إنه سميع مجيب.

علي أصغر الأوحدي

المعاون الثقافي

للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

مقدمة المؤلف

إنّنا لا نبالغ حين نقول: إنّ عصرنا الحالي هو عصر الاختراعات الكبيرة والكثيرة في مختلف الميادين العلمية والاجتماعية، وعصر الفضاء، وثورة المعلومات، وشبكة الانترنيت، والتطوّر الهائل في قطاعي المواصلات والاتصالات.

وهذه الثورة المذهلة، أدّت - فيما أدّت - إلى ثورة في المفاهيم والتصورات عن العالم في مختلف مجالات الحياة الحيوية، وغدا مصير الإنسانية في ضوء تشابك المصالح مصيراً واحداً مشتركاً.

وليس من باب المبالغة أن نقرّ بأنّ العالم على اتّساع حدوده وامتداد أرجائه قد تحوّل إلى قرية صغيرة.

هذه صورة لواقعنا المعاصر، بمختلف تجلياته وتعدد أحداثه وتحوّلاته المثيرة على المستوى العلمي والاقتصادي والصناعي والثقافي...، ولا يمكن أن نقف حياله موقف المكتفي بالمشاهدة عن بُعد، ولا مكتوفي الأيدي حيال التحوّلات التكنولوجية التي تدخل في صلب حياتنا، بل نحن مدعوون إلى الانخراط والمواكبة، ومطالبون بالمشاركة الفاعلة والمساهمة الايجابية في هذا التقدم الإنساني الشامل لكلّ مفاصل الحياة الحيوية، حتى لا نتخلّف عن مواكبة التطور والبقاء في مواقعنا القديمة المتخلّفة عن ركب الحضارة الإنسانية المتطوّرة.

وليس لنا من طريق إلى تحقيق الذات إلّا الخوض في غمار الأحداث، وانتقاء ما يليق

بنا من الحلقات الحضارية المهمة، وإهمال الأخرى التي هي في أغلبها قشور الحضارة المادّية. وكلّ ذلك مشروط بتحقيق التنمية والتقدم والرفاه.

وهذا يتطلّب منّا جميعاً إعلاء راية الوحدة والتقارب والانسجام كي نستطيع أن نقتحم ميادين العلم والمعرفة من خلال الإمكانيات المتاحة، ونعمل معاً على تشجيع البحث والإبداع، وإزاحة غبار الجهل والفقر والمرض، والارتقاء إلى المستوى المرموق واللائق بنا كمسلمين، كما كان عليه آباؤنا الذين شاركوا في بناء هذا الصرح الكبير من العلم في كافّة ميادين الحياة، ونافسوا غيرهم في جميع المواقع المتقدمة.

مع علمنا بأنّ هناك محاولات مشبوهة لإثارة الصراعات والخلافات، وإشعال فتيل النزاعات والحروب، ولازالت المصالح الاستعمارية تغذّي دواعي الشكوك، وتدعم مشاعر فقدان الثقة.

صحيح أنّ العدو يحاول أن يفتّت وحدتنا، ويتحيّن الفرص للانقضاض على أمتنا الإسلامية... إلّا أنّه يحاربنا أحياناً كثيرة بما وجده من أسباب الوهن والضعف فينا بسبب تخلّينا عن واجبنا الديني والحضاري في أن نكون أمةً واحدةً قويةً في مدافعة الشرّ والبغي والعدوان.

لقد حاول الاستعمار جهده تأييد عوامل الفرقة بإحياء نوازع عرقية وإقليمية قديمة، فتوسّع الخرق، وتباعدت المسافات على قربها، وحلّت العداوة محلّ التآخي والتآلف، والغموض محلّ الصفاء والوضوح، والدسائس محلّ التآزر والتناصر والتعاون.

ثم حاول بعض المحسوبين على الإسلام، الذين أهمّتهم أنفسهم ومصالحهم، وركنوا إلى الدنيا وزخرفها، وركنوا إلى الذلّة والمهانة من أجلها، فسعوا إلى فرقة المسلمين، وإنزالهم المنزلة المهينة، والضعف بعد القوة، والجهل بعد العلم، والتأخّر بعد التقدّم، والافتقار بعد الغنى، ولم نلبث حتى وطأت أقدام الغزاة الكافرين ديارنا، واستباحت مقدّساتنا، واستهدفت شرفنا وكرامتنا.

ولقد سبق زعماء الإصلاح الديني والسياسي منذ بدايات القرن التاسع عشر إلى تنبيه الغافلين إلى هذه الحقائق، بالكشف عنها، وتوعية الشعوب إلى مخاطرها القريبة والبعيدة.

إنّ الأمة تتحمّل مسؤولية تاريخية لا يستهان بها في تغيير أوضاعها المتخلّفة، وذلك بإدخال عوامل الحيوية والنشاط، وتجديد البنى الفكرية، واقتباس ما يلائمها من أشكال النهوض السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وابتكار أساليب حديثة من شأنها أن تجدّد الروح العامة، وتنشئ في الأجيال المتعاقبة أملاً قوياً دافعاً إلى الإنجاز والبناء والاتحاد والتقارب، وصولاً إلى الانسجام الإسلامي التام.

إنّ انتشار ثقافة التسامح والأخوّة والتآلف بين جميع المسلمين، وفي كلّ الأوطان الإسلامية، من شأنه أن يخلق مجتمعاً إسلامياً منسجماً، يأخذ على عاتقه مقارعة عوامل التفرّق والتشتت والتشرذم، من أجل تحرير النفوس الخانعة من رواسب التعصّب والتسطّح والتخلّف والانحطاط.

ومتى أدركنا هذه الغاية الطموحة في بناء مجتمع إسلامي منسجم على الصعيدين: النظري والتطبيقي، بوسائل التخطيط العلمي الحديث، وبالاعتماد على التقنيات الحديثة للحاسوب الالكتروني، واستجماع القدرات المادية والمعنوية اللازمة لتحقيقها وإنجاحها، نكون حينئذٍ قد خطونا شوطاً متقدّماً في صناعة مجتمعٍ إسلامي قادرٍ على تحمّل المسؤولية الملقاة على عاتقه.

إنّ الرقي والكمال لا ينبت في بيئةٍ جدباء، كما أنّ العلم لا ينمو في العقول المريضة المظلمة، ولن يجدينا الخوض في مقولات الماضي، واجترار المسائل القديمة، بعيداً عن هموم واقعنا ومتطلّباته الراهنة، بل لن يتأتّى للماضي أيّة قيمة جوهرية ما لم تستخلص منه عصارة جهد الأقدمين وخلاصة تجاربهم بما تكون طاقةً حيويةً تدفع الحاضر، وتكون في نفس الوقت مصدر إلهام حقيقي يفتّق المواهب، ويذكّي قيم الإبداع، ويأخذ بأيدينا إلى ساحل الأمان في جميع الميادين الحيوية.

يقول الإمام الخامنئي في هذا الإطار:

«إنّ ما كان يطرحه المصلحون منذ مائة عام في غرب العالم الإسلامي وشرقه، وكان يبدو غريباً في ذلك الزمان، قد أصبح اليوم شعاراً تردّده الجماهير وترفعه الشعوب، وذلك من قبيل: العودة إلى الإسلام، وإحياء القرآن، ووحدة الأمة، واستعادة كرامه وقوة العالم الإسلامي والأمة الإسلامية، وسواها من المشاريع التي كانت تتفتّق عنها أذهان المصلحين، والتي كانت تبدو وكأنّها طموحات مستحيلة، فكانوا يتوجّسون من التفوّه بها إلّا في نطاق محدود، وبين الخواصّ من الناس، أصبحت اليوم حديث الجماهير المسلمة التي ترفع شعارات حيّة وأهداف طموحة»[١].

إنّنا نعلم بأنّنا - نحن المسلمون - من ضحايا المؤامرة الكبرى التي أعدّت لتمزيق المسلمين، والتي اتّضحت معالمها من خلال الاعترافات التي أدلى بها بعض الجواسيس الذين أرسلتهم وزارة المستعمرات البريطانية إلى بعض بلاد المسلمين لجمع المعلومات، لاستبدال جغرافية الوحدة إلى جغرافيا الشتات، وتشويه معالم التجانس الثقافي والحضاري عند المسلمين.

والمراقب إلى هذه الأمة التي تتعرض للتمزيق المبرمج والمعدّ سلفاً ضمن آليات محسوبة بدقّة، يوقن بأنّ التسامح والتآخي والتآلف... وبعبارة أخرى: أنّ الوحدة والانسجام الإسلامي هو السبيل الوحيد للعبور على المشكلات المعقدة، التي ظهرت ونمت على أيدي أولئك المتطفّلين على الدين، الذين كانوا يهدفون من إثارتها إلى إنعاش مراكزهم الاجتماعية ومصالحهم الشخصية، على حساب المجتمع الإسلامي الذي يعاني من مشاكل التخلّف والتفرّق والضياع.

ولّما كانت الأمور مرهونة بأوقاتها، وأنّ العالم يتغيّر باستمرار، فقد أصبحت تسيطر

---

١ - في رحاب الولاية: ص ٣١.

عليه مبادئ أخرى في الحياة غير مبادئ الخلاف، وتعالت الصيحات التي تطالب بتظافر الجهود لبناء الأمة الإسلامية الكبرى، رأيت أنّ الوقت مناسب لتأليف كتاب يسلّط بعض الضوء على المبادئ الجديدة التي تحكم العلاقات الأخوية بين المسلمين، وعلى ضوء خطابات آية الله العظمى الإمام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية حفظه الله ورعاه.

إنّ جهدي المتواضع انصبّ على بلورة فهم صحيح وسويّ، تتشخّص فيه سلبيات الماضي وإيجابياته، وإشكاليات الحاضر وهمومه، بهدف التوفيق إلى صياغة معاصرة تتوفّر فيها صور عن بعض ضمانات التقدّم والازدهار للأجيال القادمة.

ومن أجل ذلك نرى لزوماً علينا تخطّي عقبات الخلاف القديم بمختلف سلبياته العقيمة، بالبحث في مساحة جديدة، ونظرية معاصرة، ورؤيا صادقة تجتمع فيها مبادئ التسامح والتآخي، والتعارف والتآلف، والوحدة والتقارب، وكلّ الطاقات والقدرات متضامنة ومتراصّة، مع تبديل مجال الاختلاف في الرؤى والتصوّرات إلى عامل ثراء وإبداع.

فاقتنصت – وأنا في غمار البحث والتحقيق في خطابات سماحة الإمام الخامنئي باعتباره مرجعاً من مراجع المسلمين، وقائداً محنكاً، ومن خلال المتابعة والتقصّي لجميع خطاباته وقفت على ملامح نظرية جديدة في الوحدة بين المسلمين، أطلق عليها سماحته اسم «الانسجام الإسلامي»، وهي رؤية جديدة تبتني على فهم جديد للوحدة الإسلامية، يضاف إلى مشروع التقريب بين المذاهب الإسلامية، ليكوّنا معاً معالم بُعدٍ جديدٍ يؤشّر إلى ولادة مشروع حضاري حيوي، يقتضي استحداث الأطر والهياكل الجامعة له بما يتح اللقاء والتعارف والتسامح والتآلف بين المسلمين جميعاً.

ولتكن هذه النظرية «نظرية الانسجام الإسلامي» هي السبيل الأمثل للخروج من النفق المظلم الذي دخل إليه الكثير من المسلمين بقصدٍ أو بغير قصد.

فكان هذا البحث الذي حرصت على أن أكون فيه محايداً، بعيداً عن رياح الطائفية والمذهبية قريباً من نسيم الوحدة، مجرّداً عن كلّ الشحنات الشخصية والمذهبية، التي لا طائل من الانسياق وراءها.

ولا شكّ أنّ مفهوم «الانسجام الإسلامي» كبير وواسع، فحاولت أن أقدّم جزءاً

بسيطاً منه، وهو فيما يتعلّق برؤى سماحة الإمام علي الخامنئي حول الوحدة الانسجام الإسلامي من خلال قراءة خطاباته المنشورة، باعتباره ممّن توسّع في طرحه لهذا المفهوم «الانسجام الإسلامي» وبشكل ملفت للنظر، من خلال كلماته وأقواله ومواقفه، فاستحقّ أن يكون صاحب هذه الأطروحة في العصر الحديث وإن كان لفكرة الانسجام جذور تاريخية تصل إلى صدر الدعوة الإسلامية، حيث إنّ النبي(ص) كان أول من دعا إليها وجسّدها بالفعل والعمل، وحسبك السنّة الشريفة.

آمل أن أكون قد وفقت في تسليط الضوء على جانبٍ من الجوانب الفكرية والحضارية لسماحته وهو في خضمّ مقارعته لمن يريد بالإسلام والمسلمين شرّاً، من استكبار عالمي غربي بكلّ تجهيزاته، وأذنابه الذين يعملون بأوامره، ويستحصلون رزقه.

وفي الختام يبدو لي ضرورياً أن أوجّه شكري واعتزازي إلى المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والى شخص حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ الأوحدي على حسن ظنّه ومتابعته، وما تفضّل فيه من ملاحظات قيّمة ونقاط مهمة زادت من علمية وموضوعية البحث فجزاه الله خير الجزاء.

كما وأشكر كلّ من أعانني وساعدني على تكميل هذا البحث المتواضع، وساهم في طبعه وتصحيحه ونشره بهذه الصورة القشيبة، وإلى كلّ فرد من أفراد المجمع العالمي الأغرّ ممّن قدّم ولم يبخل من الرأي في سبيل إخراج البحث بأحسن ما يكون.

نسأل الله عزّ وجلّ التوفيق وحسن العاقبة، وتقديم ما يخدم ديننا وأمتنا، ويعزّز المحبّة والوئام والوحدة والانسجام بين جميع الأطراف والفرقاء والمذاهب والاتجاهات الإسلامية، بما ينفع مستقبل أجيالنا اللاحقة، إنّه سميع مجيب.

جمال الدين عبد الرسول

«اليوم نجد أيادي الاستكبار العالمي في كلّ مكان مضطربة وقلقة من جهة الإسلام، تحاول مهاجمته وإبداء العداوة له باستخدام القوّة والعنف، أو بكلّ سلاح ثقافي أو سياسي»

الإمام الخامنئي

تمهيد:

الإسلام... والتحدّيات المعاصرة

لم يزل الإسلام يتعرّض لأنواع من التحدّيات تقوم بها أطراف مختلفة وعلى أكثر من صعيد. فمن قبل كانت التحديات تقوم بها قريش وحلفاؤها من قبائل اليهود والعرب المحيطة بها، حيث مارست أنواعاً من الضغوط والتنكيل الجسدي ضد أتباع الدين الجديد، ولّما أعياها الأمر استخدمت السلاح والحروب؛ محاولةً منها لقمع الإسلام واستئصال شأفته، بعد أن عقدت التحالفات مع أطراف أخرى، وحشّدت الجموع للقضاء على هذا «الوليد» الجديد، ضمن صراعها المستميت مع الإسلام وأهله، لاعتقادها بضرورة بقاء الوجود القريشي في الجزيرة العربية، وحذف كلّ اسم آخر منافس لها.

ولّما صدع نور الإسلام وانتشر في المحيط المجاور للجزيرة، ظهر تحدٍ جديد للإسلام من قبل دول الجوار الذين لم يألوا جهداً في سبيل القضاء عليه، والنيل منه بشتى

السبل:... حتّى الجدلية، لغرض إيجاد اللغط والفوضى في ذهنية أتباع الديانات الأخرى التي كانت منتشرة في تلك البلدان، إضافة إلى تمرير المخططات عبر وجوه أو ألسنة شعراء، ودعايات إعلامية... وغير ذلك.

ولعلّ يوم المباهلة كان منعطفاً تاريخياً في مسار العلاقات ما بين الإسلام وأتباع الديانات الأخرى التي لم تجد بدّاً من التسليم لقوة وصلابة وحقانية الدين الجديد، ونبيّه الأكر (ص) .

وفي وقتنا الحاضر لم تزل الجهود تبذل في سبيل قمع الإسلام أو حسره - على الأقلّ - في أماكن انتشاره، والحيلولة دون بلوغه بلاد الغرب وأقصى الشمال.

لقد حاول الأعداء الذين أزعجتهم قيم الإسلام الأصيلة، ووجدوه يشكّل خطراً على مصالحهم، استخدام كلّ السبل المتاحة من مال وتكنولوجيا وتقنية متطورة لأجل القضاء عليه ولو باستعمال أشرس الأساليب وأشدّها حيلة، فراحوا يصوّرون الإسلام عبر وسائل دعاياتهم وأبواقهم على أنّه لا يختلف عن صورته القديمة، ولا يتعدّى صورة: الجمل، الصحراء، الغزو، العبودية، تعدّد الزوجات،... أي لا يتجاوز كونه ديناً بدائياً.

ففي مقال للصحفي الانكليزي المعروف «بيير جرين دورتون» بعنوان «الوجه القبيح للإسلام» نشرته صحيفة الصنداي تايمز عام ١٩٩١م، يصف فيه الإسلام بالعدو البدائي الذي لا يستحقّ إلّا الإخضاع أو التدمير!

وعلى الأثر نشرت صحيفة فاينشال تايمز مقالاً آخر له يدعو فيه الغرب إلى تشجيع الاتجاهات «الديمقراطية» في العالم الإسلامي؛ لكون أنظمته إمّا استبدادية أو بدائية متخلّفة.

وبهذه الصورة المزيّفة ساهم الإعلام الغربي المعادي في التأثير على الرأي العام العالمي، وإقناعه بكون الإسلام لا يمثّل حضارة ولا يمتلك المقوّمات لذلك، وإنّما الحضارة الراقية والسامية هي حضارتهم.

ومازالت وسائل الدعاية الغربية تشنّ حرباً ثقافية شعواء ضد المسلمين ونبيّهم الأكر (ص)، في الكتب الدراسية، والسينما والمسرح، والأعمال الفنية والكاريكاتورية المروعة، والرسوم الساخرة التي تمسّ ساحة الرسول الأعظم(ص) واللوحات التي تحتضها قاعات العرض، والتي تتّهم المسلمين جميعاً بأنّهم إرهابيون وسفّاكو دماء!!

كلّ ذلك من أجل تكريس الصورة النمطية في ذهن وخيال الرأي العام العالمي تجاه الإسلام والحضارة الإسلامية.

إنّ هذا الأدب الاستعماري يعزّز الصورة التي تجسّد أمة المسلمين أمةً شاذّة، ويلهب مشاعر الغربيين والشارع الغربي بالفزع والخوف من كلّ ما هو إسلام وقرآن، ظنّاً منه أنّه بهذه الوسائل المغلوطة سوف يربح الحرب «المقدسة» التي أشعلها أجدادهم الصليبيون، ويمجّد حضارته المادية، ويسقط حضارة القيم والسماء.

حضارتان... متباينتان[1]

لقد كانت السمة البارزة التي يعكسها القرآن الكريم حين يستعرض لنا صوراً من الحضارات البشرية التي أقامها الإنسان بعيداً عن قيم السماء ومبادئ الدين الإلهي، هي مجموعة من المعالم والأطلال والأواني الطينية التي شيّدها إنسان تلك الحضارات، وبقيت هذه الأطلال هي المعلم الوحيد الذي يدلّنا على وجود حضارة سادت ثم بادت.

والقرآن الكريم يصوّر لنا هذا المشهد الحضاري القديم بأدقّ وصف، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا...﴾[2].

١- محصل نظرية قرآنية في نقد وتقييم الحضارة، للسيد كامل الهاشمي.

٢- سورة الروم، الآية: ٩.

وفي وصف آخر يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ...﴾[1].

وفي قبال هذا الاهتمام الحضاري الذي كانت تطرحه الحضارات اللا دينية، كانت السماء تطرح اهتماماً حضارياً آخر مختلفاً عن اهتمام الحضارات اللا دينية المتمثّلة بالعمران، وهو الإنسان الصالح؛ كنتاج أصيل لاهتمامات إنسانية، أُسّست على ضوء المنهج الإلهي.

وعلى هذا الأساس كان القرآن يدعو لتأسيس حضارة الإنسان التي تعلو فيها قيمة الإنسان على قيمة «التراب»، وكان في الوقت نفسه يعارض تأسيس كلّ ما هو بعيد عن منهج الله، لأنّها ستمثّل حضارة «التراب» التي تعلو فيها قيمة التراب على قيمة الإنسان.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[2].

ومن خلال هذا الفهم القرآني فقد ميّز القرآن الكريم بكلّ وضوح بين صورتين من صور الحضارة، فهناك حضارة تسخّر الإنسان لأجل المادّة، وهناك حضارة تسخّر المادّة لأجل الإنسان، وكم هو الفرق شاسع بين منهج ورؤية كلٍّ منهما؟!!

مقارنة جادّة

إنّ حضارة الغرب شغلها الشاغل إعمار التراب وارتفاعه، فهي تريد أن تبني ناطحات السحاب، وتستكثر من المساحات التي تحتلها من أراضي الآخرين، وتريد أن تسبق الآخرين إلى أراضي الكواكب الأخرى، ولكنّها لا تفكّر أبداً - كما تفكّر حضارة الإسلام - في بناء الإنسان الصالح الذي يعلو ويتسامى على «التراب».

١- سورة غافر، الآية: ٨٢.

٢- سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

ولذا فإنّ حضارة الغرب لا تقوم ولا تتقوّم إلّا بالإنسان الطالح الذي يستطيع أن يسخّر كلّ قواه الفكرية والعملية من أجل «التراب» ولو استدعى منه ذلك ضرب كلّ القيم والأخلاق الإنسانية، ومغالطة كلّ الحقائق الواقعية.

وهذا ما يلحظه الباحث في المسارات الحياتية التي تتبنّاها الحضارات المادّية في مواجهة من يعاديها ويضادّها، فهي تتمسّك بالتراب، ولا تقيم وزناً لدعوة الآخرين ممّن يريدون بناء الإنسان وإصلاحه، إلّا من خلال النظر إلى مصلحتها المادّية.

فحينما كان موسى عليه السلام يدعو فرعون وقومه إلى الحقّ والهدى والاستقامة، وكلّ ما من شأنه بناء الإنسان وإصلاحه، كان فرعون وقومه يفكّرون في المادّة والأرض، فكانوا يقولون: ﴿... إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ...﴾[1].

بينما كان موسى عليه السلام يفكّر في إخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفساد إلى الصلاح، ومن عبادة فرعون إلى عبادة ربّ الأرباب، ممتثلاً في ذلك أمر الله الذي أشار إليه تعالى لقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2].

ولكن فرعون وقومه كانوا لا يعون دعوة موسى عليه السلام، وكانوا يحسبونها دعوةً للاستئثار بالدنيا والمادّية، بينما هي بعيدة كلّ البُعد عن ذلك.

وسرعان ما استنجد فرعون - كما هو شأن الطغاة - بنتاج فكره الساقط، وهو الإنسان الطالح الذي يستطيع قلب الحقائق وتزييف الواقع من أجل أن يبقى الإنسان مسخّراً له، ويبقى هو سيد الإنسان، فأرسل إلى السحرة في المدائن كلّها، ومن أقدر من السحرة على تغيير الواقع وطمس الحقائق؟!

وفي ذلك يقول القرآن: ﴿قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[3].

١- سورة الأعراف، الآية: ١٠٩- ١١٠.

٢- سورة إبراهيم، الآية: ٥.

٣- سورة الأعراف، الآية: ١١١- ١١٢.

ومن الطبيعي أن يبحث الإنسان نتاج حضارة فرعون على المادّة والربح الدنيوي أيضاً، فكان همّ السحرة أن يحصلوا على الأجر، وما كان همّهم البحث عن الحقيقة في صراعهم مع الآخرين؛ لأنّ البحث عن الحقيقة من سمات حضارة السماء، لا من سمات حضارة فرعون، ولذلك كان السحرة يقولون لزعيم حضارتهم: ﴿... إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[١].

ومشكلة الإنسان في الحضارة المادّية أنّه يبحث دائماً عن الأقوى، ويركع عند أول لطمةٍ يتلقّاها، ولذلك حينما بطل سحر السحرة واكتشفوا الحقيقة و﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٢]، عاد فرعون ليؤكد من جديد أنّ القصة تستهدف تاجه وبلاده، فخاطب السحرة قائلاً ﴿... آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

مغالطة وضجيج

وهكذا فإنّ إنسان حضارة المادّة يغالط نفسه على الدوام حينما يصوّر المعركة بينه وبين الآخرين الذين يريدون إنقاذ الإنسان وتحرير عقله وانتشاله من الضلال بأنّها معركة من أجل السيطرة على التاج والبلاد، وربّما يخادع ويغالط نفسه أكثر وأكثر حينما يعتقد في نفسه أنّه هو المحامي والمدافع الوحيد عن الحقّ والإصلاح والعدالة، فيعطي نفسه صلاحيات غير محدودة وغير مشروعة لمحاربة الآخرين لمجرّد مخالفتهم له وإن كانوا يسعون لتطبيق وتحقيق شعاراته التي يرفعها هو ويدافع عنها، بل يسعى إلى تكريس المزيد من الظلم والتخلّف في بلاد الإسلام، ليعطي لنفسه دور الوصي عليها.

١- سورة الأعراف، الآية: ١١٣- ١١٤.
٢- سورة الأعراف، الآية: ١٢١- ١٢٢.
٣- سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

يقول سماحة الإمام الخامنئي في هذا الصدد:

«ونحن بعنوان إحدى البلدان الإسلامية التي عانت التخلّف عن ركاب التطور العلمي والتكنولوجي العالمي، والظلم الرازح على يد السلاطين لقرنٍ أو لقرنين من الزمان، فقد سعى الاستكبار الغربي إلى أن نظلّ دائماً في الخلف وتحت الظلّ، ولا يدع العلم والثقافة والمعارف الصالحة والصحيحة تصلّ إلى بلدنا»[١].

وهذا ما نجده اليوم في واقع الغرب المعاصر في تعامله مع مسألة تطبيق الديمقراطية في غير بلاده، ولا سيما في بلداننا الإسلامية، وهو نفسه الذي حكاه لنا القرآن الكريم بالأمس من سيرة فرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٢].

ولكن ألم تكن دعوة موسى عليه السلام تريد هداية الإنسان إلى سبيل الرشاد وإصلاحه؟ فلماذا كان فرعون يرفضها ما دام يدّعي أنّه يريد هداية قومه سبيل الرشاد أيضاً؟

يبدو أنّ المسألة ترتبط مرة أخرى بالخوف على التاج والبلاد، وعلى أفكاره المادّية، وهذا ما أفصح عنه فرعون حينما قال لقومه ﴿... ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[٣].

وأكّد خوفه مرّة أخرى حينما قررّ وقومه إعلان الحرب على موسى عليه السلام ومن بعده، فقالوا له: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ﴾، فأجابهم قائلاً: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[٤].

١- الثقافة والحملة الثقافية المضادة، مقتطفات من خطابات آية الله العظمى الخامنئي: ١٠٠.

٢- سورة غافر، الآية: ٢٩.

٣- سورة غافر، الآية: ٢٦.

٤- سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.

نعم، هكذا يقتل الإنسان من أجل التاج وزعامة العالم، وتستباح الأعراض والكرامات، وتزوّر نتائج الانتخابات، ويلغى المسار الديمقراطي المزعوم!!

وهكذا يظلّ الإنسان الذي تنتجه وتغذّيه المفاهيم المادّية، وحضارته ترتبط عنده بالأرض والبناء و...، وهذا الأمر يمنعه من التسامي والتجرّد والدفع عن الأرض، وفي ذلك يحكي لنا القرآن المجيد قصة نموذج إنساني في صورته وظاهره، ولكنّه حيواني في اقترابه من التراب وميله إلى الأرض، ويأمر القرآن النبي الأكرم ﷺ بأن يتلو هذه القصة على قومه وأمته، ويبيّن الغرض من تلاوة القصة وإثارتها وهو التفكّر، فيقول: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

هذه هي بعض ملامح ومعالم وتوجّهات حضارة الغرب التي تسيطر على عالمنا المعاصر، والتي تكرّرت نماذجها عبر التاريخ، وقد تمكّنت جميعها من إنشاء وتحقيق الكثير من المنجزات الترابية الضخمة والعملاقة، والتي مازال الكثير منها باقياً لحدّ اليوم مع مرور آلاف السنين عليه، ولكن أيّاً من هذه الحضارات لم تتمكّن من أنّ تنتج نموذجاً إنسانياً واحداً تستلهم منه البشرية قيماً رفيعة ومثلاً علياً.

وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ إنتاج وتكوين الإنسان هي مهمة حضارة السماء لا حضارة الأرض، وقد قال الفلاسفة من القديم بأنّه لابدّ من سنخية وتشابه بين المعلول وعلّته، ويؤكّده القرآن مؤسّس حضارة الإنسان والداعي لها: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً...﴾[2].

---

١ - سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ - ١٧٦.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

حضارة الإسلام: حضارة القيم والأخلاق

وأمّا حضارة الإسلام فهي الحضارة التي دعا إليها ربّ السماء والأرض، وسعى لتحقيقها وتأسيسها عباده الصالحون من النبي الأكرم ﷺ وأهله بيته عليهم السلام وصحبه المنتجبين، وعلى الامتداد العلماء والفقهاء الأبرار الصالحون، وما زالوا على نهج نبيّهم الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يرفعون لواءها أعلام الأمة وقياداتها من علمائنا الأحرار.

إنّ الحضارة التي يسعى الإسلام - وكلّ الأديان الإلهية - لتأسيسها وتكوينها هي «حضارة القيم»، وذلك لأنّ القيم تعلو فيها حتّى على الإنسان نفسه، ولسنا مغالين في ذلك؛ لأنّ القرآن نفسه وهو كتاب القيم والأخلاق ﴿وَبِالحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ﴾[1]، يتهدّد النبي الأكرم ﷺ وهو الإنسان الصالح، بل خير الصالحين بأنّه لو انحرف عن قيم الحقّ ومبادئ الصدق فإنّه سيعذّب عذاباً أليماً، ولن يتساهل معه الله في ذلك لأجل شخصيته ومقامه، وهذا ما نعيه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2].

وفي مقام آخر يحذّره الله من أن يتناسى قيم السماء وينساق لأهل الأهواء فيفتري على الله ما لم يقله، فيخاطبه بالقول: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً * إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[3].

ويزداد اعتقادنا بأنّ الحضارة التي يريد الإسلام تأسيسها هي الحضارة التي تعلو فيها القيم الصالحة على كل شيء حتّى على الإنسان نفسه، سوف تثير قلق أصحاب الحضارة

١- سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.

٢- سورة الحاقة، الآية: ٤٤ - ٤٧.

٣- سورة الإسراء، الآية: ٧٣- ٧٥.

المادّية وسخطهم على الإسلام والمسلمين، وسوف لن يهنأوا في منامهم ولا في حياتهم حتّى يسعوا إلى القضاء على الإسلام وحضارته السامية: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١].

الغرب والحرب على الإسلام

منذ أن خرجت أوربا من ظلام القرون الوسطى، ونفضت عن نفسها الغبار، تطلّعت إلى الشرق الغني بالثروات والطاقات، فأرسلت جيوشها لاحتلال دوله، ونهب ثرواته، واستثمار طاقته العمالية والسوقية.

وكانت بلاد المسلمين أول ما أحكمت عليه قبضتها، وكان الاستعمار الأوربي يهدف من وراء احتلال أراضي المسلمين نهب ثرواته الطبيعية والبشرية أولاً، إضافة إلى إفراغ عقدته ومحاولة تحقيق ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل، وظلّت هذه العقدة: عقدة الإسلام تلازم المستعمرين الغربيين، وخوفهم من خطر الإسلام على وجودهم ومخططاتهم؛ لأنّهم يعلمون أنّ المسلم الذي يستظلّ براية التوحيد المحمدية لا يطأطئ رأسه إلّا لله تبارك وتعالى، ولا يحني قامته لغير الله عزّ وجلّ.

يقول سماحته في هذا السياق:

«اليوم نجد أيادي الاستكبار العالمي في كلّ مكان مضطربة وقلقة من جهة الإسلام، تحاول مهاجمته وإبداء العداوة له باستخدام القوة والعنف، أو بكلّ سلاح ثقافي أو سياسي، وما ذاك إلّا لإحساسها بالضعف والخوف من هذا الموج الهادر للإسلام»[٢].

وهذا من شأنه أن يبعث في نفس المسلم العزّة والكرامة، ولهذا تفنّن المستعمرون في

١- سورة الحجر، الآية: ٧٢.

٢- الثقافة والحملة الثقافية المضادّة، مقتطفات من خطابات الإمام الخامنئي: ١٢٨.

محاربة الإسلام بأساليب مختلفة أكثر فتكاً من أسلحتهم ودباباتهم وطائراتهم العسكرية.

إنّنا نعتقد أنّ الحروب الصليبية مازالت مستمرة، وإنّها اتخذت أشكالاً مختلفة وألواناً متعددة، والذي يؤكّد ذلك هو التصريح الذي أدلى به «بوش الصغير» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في إحدى خطاباته أثناء تقدّم قواته لاحتلال العراق عام ٢٠٠٣ م، حيث قال:

«إنّ الحروب الصليبية ما زالت مستمرة»[١].

لذلك يخطئ من يظنّ أنّ الحروب الصليبية قد انتهت؛ لأنّ الحقيقة أنّ الحروب الصليبية لم تنته، وأنّ أعداء الإسلام في العصر الحديث يستعملون أسلحةً جديدةً في حربهم ضدّ الإسلام وتعاليمه، ويحاولون التشويش على الدعوة الإسلامية، وذلك بتلفيق الأباطيل الكاذبة لتشكيك المسلمين في تعاليم دينهم.

يقول سماحة الإمام الخامنئي وهو يشير إلى سبب عداوة الاستكبار العالمي لإيران، إنّما هو لإسلامها وتمسّكها به:

«إنّ هدف الاستكبار العالمي، وعلى رأسه أميركا، وما تتبعه من الأنظمة الشيطانية المتسلّطة على العالم وغير المتسلّطة أيضاً، هو حماية مصالح الاستكبار، ومواجهته لإيران الإسلام إنّما سببه هو الإسلام، وليس ثمة مسألة أخرى في البين. نحن نريد أن نحيا الحياة الإسلامية الطيّبة، وندافع عنها، ليس فقط لأجلنا وشعبنا، بل من أجل البشرية المحرومة»[٢].

وقد اتّخذ الفكر الغربي المعاصر أشكالاً جديدة، وأساليب مبتكرة وخبيثة للتشكيك بالفكر الديني برمّته من جهة، والتشكيك في مصادره ورموزه ومقدساته من جهة ثانية،

١- أذيعت هذه الكلمة من قبل وسائل الإعلام والقنوات الفضائية.

٢- الثقافة والحملة الثقافية المضادّة، مقتطفات من خطابات الإمام الخامنئي: ١١٦.

إضافة إلى إغراق الأقطار الإسلامية بالتيارات الفكرية المنحرفة والمضلّلة عن طريق استغلال وسائل الإعلام المأجورة.

كما فتحوا جبهات داخلية في قلب العالم الإسلامي، تلغم صموده، وتفتّت تماسكه، وتحاول قتل الروح النضالية والإيمانية فيه بأساليب بارعة وخبيثة، من أبرزها: الاستشراق والغزو الثقافي.

ففي الوقت الذي كان سيل المستشرقين جارٍ على بلاد المسلمين، كانوا يرسلون أبناء المسلمين إلى البلاد الغربية على شكل بعثات بحجة إكمال دراساتهم في الجامعات الأوربية، حيث يتعرّضون هناك لأنواع من الغسل الدماغي المبرمج، فيعودون خبراء وفنييّن، وقامت مؤسّسات لرعاية مشاريعهم، لكنّهم في الواقع يحملون دعوات المستعمر كمصلحين كذبة، وأذناب طائعين.

يقول سماحته على هذا الصعيد:

«وعندما يرسلون شبابنا وأبناءنا إلى الغرب (أميركا وأوربا) من أجل أن يتعلّموا العلم، فيرجعون بشهادات علمية عالية، ولكنّهم يعودون بأخلاق أخرى، يعود شبابنا شهوانياً حيوانياً، مسلوب الوجدان والإرادة والدين! فما نفع هذا العلم للناس؟ إنّنا نجد الذين يذهبون إلى الخارج للتحصيل العلمي ويعودون بحال آخر بعيدين عن أخلاقهم وعاداتهم الإسلامية، يعودون بحال غير مُجدٍ، ولا يخدمون بلادهم وشعبهم المسلم بقدر ما يضرّونهم أسوء ضرر»[1].

فمن الأساليب التي اعتمدها الاستكبار الغربي في تحدّي الإسلام، وقتل الروح الإيمانية والجهادية عند المسلمين:

---

١ - الثقافة والحملة الثقافية المضادّة، مقتطفات من خطابات الإمام الخامنئي: ١٠٠.

١- الاستشراق

إنّ «الاستشراق» لفظة مستحدثة الاستعمال في اللغة العربية، وبالتحديد في القرن التاسع عشر، حيث اتخذها اللبنانيون للدلالة على «علم جديد» أقبل عليه الغربيّون بدراستهم الشعوب الشرقية، وسمّوا أربابه بـ«المستشرقين». وأمّا صيغة «الاستشراق» فهي استفعال من الشرق، وهي إشارة إلى ما يقوم به هؤلاء من طلب معرفة الشرق في مختلف شؤونه وأحواله[١].

وقد تطرّق الباحث الفرنسي «مكسيم رودنسون» إلى ناحية أخرى تتعلّق بمولد الاستشراق، وظهور لفظة «الاستشراق» فقال: وقد ظهرت كلمة «Orientalist» وتعني مستشرق في انكلترا حوالي سنة ١٧٧٩م وفي فرنسا سنة ١٧٩٩ م، وأدرجت كلمة «Orientalism» وتعني الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م[٢].

وقد تعدّدت الدوافع التي دعت بالأوربيّين إلى الاستشراق والخوض في مضماره، وأهمّها:

أ) الدافع الديني

- فإنّ الحرب الصليبيّة الطويلة الخاسرة والتي دامت نحو قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ) قد تركت آثاراً عميقةً ومُرَّةً في نفوس الأوربيّين، ممّا استدعى إلى إعادة النظر في شروح كتبهم الدينيّة، ومحاولة تفهّمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخّضت عنها حركة الإصلاح الديني الذي قام بها المسيحيّون: بروتستانت وكاثوليك، فكانت الحاجة ضاغطة وشديدة - بطبيعة الحال - لإعادة النظر في مراجعهم الدينيّة وكتبهم المعتمدة لديهم.

١- أنظر «الإسلام والاستشراق» د. صالح زهر الدين: ص ٨٣.

٢- نقلاً عن كتاب «الإسلام والاستشراق» د. صالح زهر الدين: ص ٨٥.

ومن هنا اتّجهوا إلى الدراسات العربية فالإسلامية، لأنّ الأُولى كانت ضرورية لفهم الثانية، لأنّ الإسلام بمجموعه يُعتبر الدين المنافس الوحيد للمسيحيّة، إضافة إلى دافع الفضول المتّجه نحو معرفة سر انتصاراته الساحقة المتتالية على المسيحيّة في الحروب الصليبيّة المذكورة. وبمرور الزمان اتّسع نطاق الدراسات الشرقية حتّى شملت أدياناً ولغات وثقافات غير إسلامية.

ومن جانب آخر فانّه وأمام سلسلة الهزائم والانهيارات العقائدية لدى المسيحيّين قطعوا بعدم جدوى الحرب ضد المسلمين، وأنّه هم الخاسرون بكلّ الأحوال، فأمام هذه الانهيارات المعنويّة سعوا إلى وضع حدٍّ لها، والحيلولة دون هبوطها نحو الأسوء، فعمدوا من خلال «الاستشراق» حماية الإنسان المسيحي من أن يرى النور الإسلامي أو أن يشمّ ريحه العطرة، وعلى الخصوص المسيحيّون القاطنين البلاد المتآخمة للإسلام.

وبعبارة أخرى: كان دافع الاستشراق هو محاولة «تبشيع» صورة الإسلام وأهله عند المسيحيّين حتّى لا يتتابع من بقي من رعايا الكنيسة على الدخول في الإسلام.

ويمكننا ملاحظة ذلك فيما صاغته ريشة مستشرق حول ملامح الشرق المسلم، وهو الفرنسي «لويس برتران» في كتابه المعنون بـ«السراب الشرقي» الذي أصدره عام ١٩١٠م والذي يعتبر ثمرة رحلته إلى الشرق، يقول:

«... في الفرن شاهدت ولداً ينام عرياناً على الخبز بينما الذباب يأكل وجهه ويلتصق على حنايا جفونه الوسخة! ثم رأيت حماراً أرعن يسرق رغيفاً كان يشكل وسادة للولد ويفرّ بعدها على وجه السرعة.. إنّه الشرق! إنّكم لا تعلمون حقيقته! إنّه القذارة! والسرقة، والانحطاط، والاحتيال، والقساوة، والتعصّب، والحماقة! نعم أنا أكره الشرق، إنّي أكره الشرقيّين! أكره أولئك المعتمرين بالطرابيش والمتلهّين بالسبحات»[١].

١- نقلاً عن مقال «المشرق في أدب الرحّالة الفرنسيّين بين حربي ١٩١٤ و ١٩٣٩ م» نشرته مجلة الفكر العربي السنة (٥) العدد (٣٢) ١٩٨٣ م: ص ٧١.

ب) الدافع السياسي

بعد انتهاء الحروب الصليبية المقهورة، والتي فشلت في محاولتها لاختراق دار الإسلام رغم كلّ العدد والعُدد التي حشّدت لذلك، ورغم المناوشات المستمرة على الثغور، كانت تحسم دائماً لصالح المسلمين، فأيقنت الدوائر الغربية أنّه لا جدوى من الحروب واستخدام القوة ضدّ هذه الأمة فعدلت إلى أسلوب آخر يمكن بموجبه الاستفادة من بعض الوسائل التي لها الاستطاعة في تضعيف الطرف الآخر وزرع الوهن في أعضائه وأوصاله، وكان الاستشراق هو السلاح الأخطر في مخططهم هذا.

وها هو الأب «ماراتشي» يخطب في جمع من الرهبان والقساوسة قائلاً:

«من الضروري إذاً ألّا نحارب الإسلام دون أن نعرفه تماماً، وفرصة هذا الصراع الحكيم تتزايد يوماً بعد يوم بسبب العلاقات المتزايدة بين الأوربيّين ومسلمي تركيا وأفريقيا وفارس والهند الهولندية، حيث نرى للأسف الكثير من المسيحيّين يلطّخون المسيحيّة بالعار، ولا شكّ في أنّ فرصة انضواء المسلمين إلى الإيمان الحقيقي هي أن نظهر لهم العطف والتفاهم في المناقشات الدينيّة معهم بدلاً من أن نسبّهم ونكيل الفريات بكلّ سذاجة»[1].

ولم يكتف خبراء الاختراق بالتنظير لذلك، بل ساهم بعضهم في أداء أدوار خطيرة أنيطت بهم من قبل الدوائر المسيحيّة التبشيرية، ولعلّ المستشرق الانكليزي «ادوارد بوكوك» و «وليم جونز» الذي كان له الدور البارز في عمليات الاختراق الموجّهة إلى الشرق الإسلامي.

ومن هنا فيمكن القول بأنّ أقلّ نظرة فاحصة يلقيها الباحث على فصول اللعبة وإفرازاتها الخطيرة تقوده إلى حقيقة أنّ تلك اللعبة التي جرت فصولها على مسارح

---

١ - نقلاً عن كتاب «محاصرة وإبادة: موقف الغرب من الإسلام»: ص ٣٦ - ٣٧.

المسلمين لم تكن وليدة نزعة فردية أو نزوة عابرة منبعثة من روح المغامرة وحبّ الاستطلاع، بل إنّ هؤلاء المستشرقين الغربيين إنّما جاءوا إلى بلاد الإسلام ليقوم كلّ منهم بدوره المرسوم له بدقّة.

وليس أدلّ على ما نقوله أنّ اللعبة لم تكن مقتصرة على هؤلاء فحسب، بل انخرط في سياستها حتّى كبار الساسة الأوربيين كنابليون بونابرت الذي قام بمهمة اختراق الشرق الإسلامي وفق المنهج المدروس القائم على طريقة «حصان طروادة» حينما حاول أن يجعل الأئمة والقضاة ورجال الإفتاء والعلماء يؤوّلون آيات القرآن الكريم بما يخدم مصلحة جيشه وأغراضه. فقد قام بدعوة أساتذة الأزهر العلماء الستّين إلى مجلسه فاستقبلهم استقبالاً عسكرياً رسمياً، وبدأ بالإطراء والمديح بالإسلام وبالنبي محمد ﷺ وبإجلال القرآن![1].

إذن، فإنّ الاستشراق إنّما هو نظام المعرفة الغربية بالشرق والشرقيين. وهذا يعني أنّ الاستشراق هو إحدى وسائل السيطرة الأوربية على الشرق.

وبهذا الصدد يقول الباحث ادوارد سعيد:

«إنّ وجود علاقة وثيقة بين السياسة والاستشراق، أو لنضع الأمر بشكل أكثر احتراساً: إنّ الاحتمال الكبير لإمكانية استخدام الأفكار المستنبطة حول الشرق من الاستشراق لأغراض سياسية هو حقيقة هامة لكنّها حقيقة حسّاسة جداً»[2].

ولذا فلم يعدّ سرّاً تلك العلاقة الوطيدة بين الاستشراق والاستعمار، بل يمكن القول: إنّ الاستشراق أصبح الطريق العلمي الذي من شأنه تهيئة الأجواء المناسبة لاحتلال البلدان الإسلامية، وأصبح المستشرقون بوجه عام موظّفين في دوائر الاستخبارات في وزارتي الخارجية والمستعمرات.

---

١ – الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. لادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب: ص ١٠٩.

٢ – الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب: ص ١٢١.

كتب الدكتور أبو الوفا التفتازاني يقول:

«وكان من بين العوامل التي أدّت إلى عدم إنصاف الشيعة أيضاً أنّ الاستعمار المغربي أراد في عصرنا هذا أن يوسّع هوّة الخلاف بين السنّة والشيعة، وبذلك تصاب الأمة الإسلامية بداء الفرقة والانقسام، فأوحى إلى بعض المستشرقين من رجاله بتوخّي هذا الفنّ باسم البحث الأكاديمي الحرّ. وممّا يؤسف له أشدّ الأسف أنّ بعض الباحثين من المسلمين في العصر الحاضر تابع أولئك المستشرقين في آرائهم دون أن يفطن إلى حقيقة مراميهم»[١].

وفي حديث لسماحة الإمام الخامنئي يشير إلى الجهود المكثّفة التي بذلت من أجل التبشير بالمسيحية في البلاد، قائلاً:

> **«لقد سعى الغرب إلى نشر الثقافة الفاسدة، وإحلالها محلّ الثقافة الإسلامية الأصيلة... ولو طالعتم تاريخ بلادنا في الحقب الأخيرة من زمان القاجاريين، لوجدتم التعاون الذي تمّ من أجل ذلك، من خلال السماح للقساوسة والمبشّرين المسيحيّين الأوربيين بدخول بلادنا بقصد نشر المسيحية المحرَّفة في أطرافنا. وكانوا كمثل اللصّ الناشئ في أعمالهم، فكلّ محطّة نزلوا بها جوبهوا بالرفض وعدم التوفيق في تحقيق أهدافهم التبشيرية»**[٢].

ج) الدافع التجاري

بعد قيام الثورة الصناعية في أوربا، وبعد حصول «الانفجار» التكنولوجي في عالم الصناعة الغربي برزت أمام المستثمرين من أرباب الشركات التجارية - الصناعية، وأصحاب رؤوس الأموال ثلاثة حواجز مانعة من نفوذ براجهم التي خطّطوا لها: الكمّ الهائل من الإنتاج والذي بلغ حدّاً أن امتلأت مخازنهم منها، فكان الواجب البحث عن

---

١ - ضمن مقالات مطبوعة في كتاب تحت عنوان «في سبيل الوحدة»: ص ١١٠.

٢ - الثقافة والحملة الثقافية المضادة، مقتطفات من خطابات الإمام الخامنئي: ١٠٠ - ١٠١.

السوق التجاريّة لتسويق بضائعهم، خاصّة بعدما امتلأت أسواقهم المحليّة وفاضت من هذه البضائع.

ولأجل ضمان استمرار منتجاتهم الصناعية فلابد من إيجاد الثروات الطبيعية والمواد الأولية اللازمة في عملياتهم الصناعية، إنّهم ما بين هذين المطلبين المهمّين لابدّ من ضمان ممّرات ومواقع إستراتيجية مهمّة لتجارتهم بمثابة تأمين دائمي لارتباطاتهم بتلك الأسواق والمنابع الطبيعية الواقعة في أطراف الدنيا المختلفة.

وبعد الاستقصاء لم يجدوا غير الشرق وأهله موضع حاجتهم، فهو سوق هائل لمنتجاتهم، ولما يحوي من منابع طبيعية قد منحها الله له. وهنا برزت الحاجة الشديدة لدراسات المستشرقين وبحوثهم لتبنى على أثرها المخططات والبرامج التسويقية الحديثة، ويتسنى من خلالها معرفة أقاليم الشرق وبلدانه، ومياهه، وطقسه، جباله، وسهوله، وزروعه وثماره... والأهم من ذلك معرفة أهله وعقائدهم ورجاله وعلمائه وتقاليده... وما إلى ذلك من أمور لكي يعرف كيف يمكن الوصول إليه.

وفي إشارة من سماحة الإمام الخامنئي إلى أنّ النجاح الأكبر الذي أحرزته بلادنا هو قطع يد الاستكبار الغربي عنها، يقول:

«إنّ النجاح الباهر الذي أحرزه شعبنا المسلم هو قطع يد الاستكبار العالمي عن بلاده، وإعلانه الاستقلال الكامل، ولم تعد البلاد سوقاً للمستعمرين الطغاة..»[1].

علاقة الاستشراق بالمسلمين

ذكرنا أنّ دار الإسلام ظلت مرهوبة مخوفة، لم تستطع الصليبية المقهورة اختراقها لعدّة قرون، وكانت المناوشات والصدامات على الثغور والأطراف تحسم دائماً لصالح

---

١ – الثقافة والحملة الثقافية المضادة، مقتطفات من خطابات الإمام الخامنئي: ١٨٥.

المسلمين، ولمّا أجمعت الصليبيّة على اختراق الديار الإسلامية في مطلع القرن السادس الهجري بقيادة بريطانيا وفرنسا وألمانيا، واجهت صلابة وصمود منقطعي النظير، فرجعت بعد نحو قرنين من الزمان مقهورة أيضاً، بل أضافت إلى قهرها دفعها للجزية للمسلمين هذه المرّة، فزادها ذلاً واستكانة.

وعلى العموم فإنّ الفكر الاستشراقي قد مرّ بمرحلتين في علاقته بالمسلمين:

المرحلة الأولى: إذ دأب في هذه المرحلة الطويلة على تقديم الإسلام في صورة منفّرة بشعة تثير الاشمئزاز منه والرغبة في القضاء عليه قضاءً مبرماً، وتصوير أهله على أنّهم إرهابيّون.. قتلة.. شهوانيّون.. شرهون... راكبو جمال رعاع.. ليست لهم رغبة في التحضّر مطلقاً، وبالتالي فانّ وجودهم يعتبر إهانة حقيقية للحضارة والتحضّر الإنسانيين!!

وقد عمّموا هذه النظرات، عبر قنوات الصحافة والكتب، على الرأي العام الغربي، وذلك خوفاً من أنّ ينتشر هذا الدين بين الأوربيين كما حصل للمسيحيّين القاطنين في البلاد الإسلاميّة.

المرحلة الثانية: وتبدأ هذه المرحلة عندما غزت أوربا العالم الإسلامي وبدأت جحافلها تطأ بلاد الإسلام، وتعمل على بسط نفوذها عليها، وبدا - حينئذ - الفكر الاستشراقي أنّه لم يعد موجّهاً للأوربيين وحدهم، وإنّما أصبح موجّهاً كذلك إلى المسلمين.

فقد سعى هذا الفكر إلى رسم سياسة الاحتلال والهيمنة، وتوجيه قنواته البغيضة بين المسلمين في مجالات التعليم والثقافة والاجتماع فضلاً على الاقتصاد.

إنّ الاستشراق بالرغم من بعض خدماته العلمية فإنّه يواصل جهوده في محاربة الإسلام؛ لأنّ القائمين على الاستشراق يعلمون أنّ هذا الدين الحنيف هو السدّ المنيع الذي يقف في وجه الاستعمار، ويفضح مخطّطاته ومؤامراته.

وقد أصبح الاستشراق مظلّة لكل أعداء الإسلام، يختبئ تحتها أصحاب العقائد الفاسدة والملحدين، ورغم أنّ المسلم محبّ لكلّ إنسان فإنّهم، قابلوه بالكراهية والعداء

الشديد، ورغم الإيمان الذي يعلنه المسلمون بموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام كأنبياء مرسلون من الله عزّ وجلّ، واحترام أتباعهم كأهل كتب سماوية، إلّا أنّ الغيظ والكره دائماً يموج في صدورهم، ويهدر ويدمر عندما تتاح له الفرصة، وفي حالة عجزه فإنّه يتربّص به الدوائر.

والقرآن الكريم قد أعطانا صورةً لمثل هذا التصرّف، قال تعالى ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2].

٢- الغزو الثقافي

إنّ الحضارة الغربية لا يمكن أنّ تشقّ طريقها في البلاد الإسلاميّة طالما هناك فكر إسلامي حرّ متجدّد فيها، لذا فإنّ الإسلام هو ألدّ أعداء الفكر الغربي المعاصر، بل يمكن القول: إنّ الإسلام هو العدو الوحيد والعنيد في الساحة الدولية.

وقد استطاع القائمون على حماية الفكر الغربي من تجنيد عناصرهم لخدمة أغراضهم، ثم زجّهم داخل المجتمع الإسلامي من خلال إقامة المشاريع «الخيرية» كالمدارس والمستشفيات؛ ليتّخذوا منها شباكاً لتظليل المسلمين.

ولن يهدأ بال منظّرو الحضارة الغربية من وضع المخطّطات، ودراسة التجارب، وفحص البيانات التي من شأنها تحجيم وتقييد حركة الدين الإسلامي، وما يزال ملفّ الإسلام على طاولة المستشارين في البيت الأبيض الأمريكي.

١- سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١١٩.

ونجد كثيراً في أنظمة الدول الإسلامية تقع في شباك هذه المؤامرات التي تحاك بشكل متقن داخل أروقة البيت الأبيض الأمريكي عن جهل أو عن طبيعة ساذجة أو عن طبع مشوّه مملوء بالأنانية وحبّ الذات على حساب حرمان الملايين من المسلمين من أبسط حقوقهم.

يقول سماحة الإمام الخامنئي في هذا الإطار:

«إنّ الاستكبار الغربي بكلّ قدراته وإمكانياته اليوم يجد نفسه في مقابل الإسلام. إنّهم يحسّون بخطره، إنّهم يجدون كلّ ما له صلة بالإسلام في طليعة الخطر الجدّي الذي يهدّد مصالحهم وقدراتهم. لقد وجدوا أنّ الإسلام المحمدي الأصيل لا يرضى بالظلم ولا بالفساد ولا بالانحطاط الأخلاقي في المحيط الإنساني، ويدعو إلى بناء الإنسان الرافض لكلّ أشكال الظلم والفساد والانحطاط، وهل ثمة خطر حقيقي على مصالحهم ومشاريعهم أكثر من هذا؟ لذا فلم يهدأوا بالاً حتّى يسخّروا كلّ ما عندهم من أسلحة وأساليب شيطانية في سبيل مواجهة هذا العدوّ العنيد: الإسلام، وإزاحته عن الطريق ولو باستخدام أعنف الطرق وأكثرها إرهابية، ولا يجدون حرجاً في أن يضعوا كلّ شعاراتهم تحت أقدامهم إذا ما حقّقت غاياتهم الشيطانية»[1].

السؤال المطروح: كيف يمكن للمسلمين من مواجهة هذه الغزو والهجمات الثقافية والسياسية والاقتصادية التي يشنّها الاستكبار الغربي على الإسلام والعالم الإسلامي؟

وما هي الاستراتيجية المجدية على هذا الصعيد؟

يجيب سماحته بكلّ صراحة وهو يضع النقاط على الحروف:

---

١ - من خطاب لسماحته لجمعٍ من قيادي جيش العشرين مليون نسمة، نقلاً عن كتاب الثقافة والحملة الثقافة المضادّة:١١٧.

«إنّ الأمة التي إيمانها بالله تعالى قوي وصلب، ولا تخاف لومة لائم، هي الأمة الشجاعة والمقاومة والمنتصرة على أعدائها، لا تخاف أحداً ويرهبها الآخرون، ويجب أن يرهبها الآخرون ببركة إيمانها بالله وعزيمتها على التمسّك بدينها الذي يرفدها بالقوة والصلابة والعزيمة على الانتصار. إذن قوّوا إيمانكم بالله واتّحدوا، ولا تستسلموا لهم بأيّ ثمن»[1].

١- من خطاب لسماحته للجماهير المحتشدة بمناسبة مولد الإمام المهدي في النصف من شعبان، نقلاً عن المصدر السابق: ١٨٣.

الفصل الأول :

مفهوم الوحدة الإسلامية

«الوحدة مفهوم أساسي في الإسلام، ومبدأ يشكّل واحدة من القواعد التي تقوم عليها فلسفة الإسلام الاجتماعية، ونظرته العامة للكون والحياة»

الإمام الخامنئي

مفهوم الوحدة الإسلامية

إنّ قضية الوحدة الإسلامية هي من القضايا الكبرى التي شغلت كلّ المخلصين من رجال هذه الأمة، الحريصين على تقوية كيان الأمة الإسلامية، والساعين وراء بثّ الوعي بين المسلمين جميعاً، والمتطلّعين إلى بناء مستقبل زاهر وآمن. وقد تكلّل هذا السعي إلى بعض النتائج التي أدّت إلى طرح معالجات، وعقد مؤتمرات، وعرض بعض الأفكار التي من شأنها وضع حجر الأساس لبناء صرح للمسلمين جميعاً، به تحفظ كرامة المؤمنين وتُصان حرماتهم.

ولم تعالج قضية الوحدة الإسلامية بشكل تام، حيث تتخلّل هذه المعالجات بعض المنطلقات التي لم تنتج منها الوحدة المطلوبة، القائمة على أساس إثارة المشاعر والعواطف فقط، دون أنّ توضع الآليات الصحيحة التي تخضع لقوانين ثابتة وعلمية مدروسة، بالإضافة إلى إنشاء المؤسسات واللجان ذات الكفاءة التي تنفّذ هذه الآليات.

وفي ضوء التعريف الذي ذكره سماحة الإمام الخامنئي تتّضح النقاط التالية:

أولاً: أنّ الوحدة الإسلامية هي إحدى قواعد فلسفة الإسلام الاجتماعية.

ثانياً: أنّ الوحدة الإسلامية واحدة من القواعد التي تقوم عليها نظرة الإسلام للكون والحياة.

ومن هنا لابدّ من تناول موضوع: «فلسفة الإسلام الاجتماعية» وموضوع: «نظرة الإسلام للكون والحياة» بشيء من الإيجاز.

فلسفة الإسلام الاجتماعية

ثمة ترابط واضح بين الدين الإسلامي والمجتمع الذي يشكّل بُعداً رئيسياً في تعاليمه، ومن غير المعقول أنّ يُدَّعى أنّ الدين الإسلامي جاء لإشباع الجانب الروحي من الإنسان، مُهملاً أيّ اهتمام له بمسألة المجتمع. ومثل هذا الادّعاء لا يمكن أنّ ينطلق إلّا من رغبة في إقصاء وظيفة الدين ودوره في حياة المجتمعات.

وكلّ من درس تاريخ وتعاليم الأديان السماوية المجرّدة من كلّ تحريف وتلاعب، ووعى الأساس العقلي والعقلائي للقول بضرورة الرسالات وبعث الرسل والأنبياء عليهم السلام، لابدّ أنّ يستنتج عدم إمكانية حصر حركة الدين ضمن المجال الروحي والغيبي، وتهميش فاعليته في المجال الاجتماعي، وسائر المجالات الحياتية الأخرى التي من شأن الدين أن يكون فاعلاً ومؤثّراً فيها.

ومن هنا نجد لزاماً علينا من أجل بيان الموقف الإسلامي تجاه قضية الترابط بين الدين والمجتمع أنّ نعرض أولاً - وقبل كلّ شيء - العلاقة القائمة بين الاثنين، ثم نستعرض جملة من المباحث المترتبة على إثبات هذه العلاقة وتحديد طبيعتها.

العلاقة بين الدين والمجتمع

إنّ العلاقة بين الدين والمجتمع هي صورة للعلاقة بين الله تبارك وتعالى وبين الإنسان؛ لأنّ الله تبارك وتعالى هو قطب الدين النابض والثابت، وهو الحي والقيوم و... كلّ الصفات الجمالية والجلالية، والإنسان هو وحدة بناء المجتمع.

فمسألة العلاقة بين وجود الإنسان ووجود البارئ سبحانه وتعالى تقوم على أساس الحضور التام في حياة الإنسان إلى الحدّ الذي يكون فيه عزّ شأنه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[3].

وهذا الحضور الإلهي المحيط بالإنسان له فاعلية وتأثير ليس في إمكان الإنسان أنّ يلغيه أو يقلّل من شأنه؛ لأنّ قدرة الإنسان لا يمكن أن تبلغ حقائق الوجود وتتصرّف فيها كيف ما شاءت.

وهذه العلاقة بين الله تبارك وتعالى والإنسان، الصميمية والمفعمة بالحبّ والرحمة، تضيف على حركة الإنسان في هذه الحياة الدنيا معنى مغايراً للمعنى الذي تطرحه «المدارس الأرضية»، حسبما يصفها الإمام الخامنئي في إحدى خطبه[4]، التي تسعى إلى إخفاء الحقيقة والتستر عليها، بل ورفضها والتكذيب بها، متجاهلةً أنّ منطق العقل يفرض عليها الإيمان بالله تعالى والتصديق به، ولزوم تحمّل الإنسان كلّ نتائج أفعاله أمام الخالق تبارك وتعالى يوم الجزاء.

وإذا كان عقل ووجدان الإنسان يدلّانه على هذه الحقيقة، فكيف يمكن للإنسان أنّ يبني تصوّراته عن الكون والوجود، ويسمح لنفسه بمطلق التصرّف في هذا العالم، بعيداً

١- سورة ق، الآية: ١٦.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

٣- سورة غافر، الآية: ١٩.

٤- المقالات والدراسات: ٦٩.

عن مالك الملك الذي هو حيّ قيوم مدبّر، إلّا أنّ يكون ثمة خللاً في عقيدته، واختلالاً في عقله؛ لأنّ من يتنكّر للحقيقة التي يرشده عقله ووجدانه إليها، ويرفض الالتزام بمقتضاها ولوازمها، لا يمكن أنّ يعدّ من العقلاء.

القيمة الإنسانية في فلسفة الإسلام الاجتماعية

ثمة قيم ومبادئ اجتماعية وتربوية يحثّنا الإسلام إلى التحرّك باتجاهها، وجعل جملة محاور تزيد من شدة هذا التحرك، وفي مقدّمة هذه المحاور العبودية لله تبارك وتعالى وحده، والتي تعتبر القيمة العليا التي يتحرك المجتمع المسلم نحوها، عبر العمل على تجسيد مبدأ التوحيد في كلّ شأن من شؤونه، من أفكاره ومعتقداته، ومروراً بأحاسيسه ومشاعره، وانتهاءً بممارساته وأفعاله.

يشير سماحة الإمام الخامنئي إلى فلسفة عقيدة التوحيد فيقول:

«عقيدة توحيد الله تعني في الواقع وحدة مبدأ كلّ المظاهر الكونية، وتمركز كلّ ما في الوجود، من حركة وسعي، وهدف ومسير، وإيمان وحبّ، وأمل ودافع... وكلّ مظاهر الحياة، كبيرها وصغيرها، في الذات المقدّسة للباري جلّ وعلا...»[1].

بهذه الكلمات يبيّن الإمام الخامنئي «التوحيد» وقيمته الكبرى أمام حشدٍ من أئمة الجمعة والجماعة الذين اجتمعوا في طهران لحضور المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة، وجعل المحور الذي تدور حوله القيم والمبادئ، والأهداف والنوايا، والمثل العليا، وكلّ مظاهر الحياة هو الله تبارك وتعالى.

فعقيدة التوحيد هي القيمة الإنسانية الكبرى في فلسفة الإسلام الاجتماعية، من

---

١ – المقالات والدراسات: ٦٩.

حيث إنّ العبودية لله جل وعلا هي الرابطة الحقيقة التي تجمع بين أفراد الأمة المسلمة في ما تمارسه من علاقة اعتراف وإقرار وتوحيد لخالقها.

وهذه العبودية لله تبارك وتعالى وحده هي مبدأ وحدة الأمة المسلمة، وكونها خير أمة أخرجت للناس، ووسطيّتها وشهادتها على الناس.

وهذه الأمور الثلاثة يشير إليها القرآن في الآيات الثلاثة التالية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾[٣].

وهذه القيمة الإنسانية والتربوية والأخلاقية الكبرى - أعني: العبودية لله وحده - التي هي ثمرة توحيد الله عزّ وجلّ والإيمان به، لا تجد حضوراً لها في المجتمع البشري الذي يبني كلّ وجوده على مبدأ الفردية وسيادة الأنا، ويتصرّف في ذاته وفي الكون على أنّه السيد المطلق، والمالك الأصلي، فضلاً عن عدم إيمانه بالله سبحانه ولا الاعتقاد بوجوده.

النظرة الكونية للإسلام

قد ذكرنا أنّ الإمام الخامنئي يرى أنّ الوحدة الإسلامية ليس أطروحة أخلاقية أو سياسية، بل هي مبدأ يشكّل واحدةً من القواعد التي تقوم عليها فلسفة الإسلام الاجتماعية والتربوية، ونظرته العامة للكون والحياة برمّتها.

والنظرة الكونية للإسلام تعني مختلف النظم الفكرية التي يحملها الإسلام للإنسان عن الكون والإنسان والمجتمع، ويكون لهذه النظم أثرها على مجمل الحياة الفردية

١- سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٣- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

والاجتماعية للمسلمين، على طريق تحديدها وتوجيهها نحو تطوير وتنمية المجتمعات الإنسانية، إضافة لدورها الأساس في تهذيب السلوك الإنساني، وإعطائه المضمون والهدف، بل ودورها في منح الحياة قيمة ومعنى، باعتبار أنّ السلوك الإنساني يتميّز عن سائر الحيوانات بأنه لا يقوم على أُسس ورغبات نفسية وجنسية فحسب، بل يعتمد أيضاً الإرادة المودعة فيه، ويرتكز الهداية العقلية والوجدانية المرهومة بالأفكار والتصورات المستوحاة من كون الإنسان مخلوقاً ناطقاً ومفكّراً[1].

فالنظرة الإسلامية تجاه الحياة والمجتمع وللإنسان باعتباره كائناً عاقلاً وأميناً في الأرض، هي نظرة كونية شاملة، وليست سطحية وأرضية قاصرة، لا ترى الحياة سوى الوجود كلّه، وأنّ الإنسان على نوعين: فعّال منتج، وآخر خامل مستهلك، والأفضلية للأول!

فالإيمان بالله تبارك وتعالى يعبّر عن نزعة أصيلة في الإنسان تدعوه إلى التعلق والارتباط بخالقه، ووجدان راسخ يدرك علاقة الإنسان بربّه وخالقه، وعليه كان التأكيد من الإسلام على هذه المسألة الصميمية.

ولم يكن هذا الإيمان وليد مخاوف أو إرضاءً لغضب الطبيعة، ولو كان الدين وليد خوف، وحصيلة رعب، لكان أكثر الناس تديّناً على مرّ التاريخ هم أشدهم خوفاً، وأسرعهم هلعاً، مع أنّ الذين حملوا مشعل الدين على مرّ الزمن كانوا من أقوى الناس نفساً، وأصلبهم عوداً.

هذا والإسلام يرى أنّ هذا الكون وهذا الوجود يتحرّك منذ نشوئه حركةً متناسقةً ومتناغمةً في جميع مفاصله، وليست هذه الحركة حركةً واحدةً، ولكنّها في الحقيقة عدّة حركات منسجمة بشكلٍ يوحي للإنسان بأنّها تخضع لقانون واحد، وهذا القانون يخضع لسلطة عليا، قادرة وعالمة و...

---

١ - انظر من هدي الإسلام، السيد محمود الهاشمي، النظرة الكونية أو الأساس العقائدي: ٥.

إذن ثمة وقائع وأشياء متحركةٌ كثيرة جداً في هذه الكون، لا طريق لنا إلى فهمها أو تفسيرها إلّا إذا سلّمنا بأنّ هناك أيادي خفيّة وراء الطبيعة، عملت على إحداثها ليتوازن الكون ويتحرّك بصورة سليمة ودقيقة، وينسجم كلّ ما فيه في حركة متناسقة أشبه ما تكون بسمفونية في الوجود.

إنّ دراسة النظرة الكونية للإسلام تعتبر ذا أهمية، خاصةً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنّ المدارس التي تفتقد مثل هذا الأساس، وتلتزم نظرةً محددةً إلى الكون والإنسان والمجتمع والحياة والتاريخ... الخ، لا يمكن وصفها بأنّها مدارس صادقة، باعتبار أنّ الرؤيا الكونية التي تمتلكها المدرسة هي التي تحدّد المنهجية لتفاعلها مع مفردات الوجود بما فيه الإنسان والمجتمع.

كما أنّ الرؤية الكونية هي التي تهب الحياة قيمتها الحقيقية، وتخرجها عن إطار اللا هدفية، ومثل هذا الفهم وعدم الارتباط والتفاعل مع الله سبحانه وتعالى يكرّس جوانب الشكّ والعبث والتحرك العشوائي لدى الإنسان في سعيه الحياتي، ولا يؤهّله لتأدية دوره في الخلافة.

إنّ الرؤية الكونية للإسلام لا تختصّ بدائرة الذهن والاعتقاد النظري، وإنّما يسري أثرها إلى الجانب الاجتماعي والعاطفي، لذلك نقول: إنّ التأمّل والاستدلال الفكري يهب لنا الإيمان والقناعة والارتباط أكثر عمقاً بالله تبارك وتعالى، كما يعالج حالات الشكّ والتردّد، ويزيح الشبهات والأوهام التي ترد الذهن، هذا على الجانب الفردي.

وأمّا الجانب الاجتماعي فإنّه يمنح الحياة والفاعلية للإنسان نحو أخيه الإنسان، وبعبارة أخرى: فهو ينزل المباني الفكرية من منبرها النظري إلى واقعها العملي والميداني.

بقي أنّ نشير إلى أنّ النظرة الكونية للإسلام باعتبارها أحد القواعد التي يستقرّ عليها مبدأ الوحدة بين المسلمين حسب ما بيّنه لنا الإمام الخامنئي، يجعل المعارف النظرية التي تدعو إلى الوحدة بين المسلمين لا تكفي لتحقيقها على الواقع العملي والميداني، إلّا إذا

تضمّنت هذه المعارف النظرية من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية بالمشاعر الأخوية والعواطف النبيلة، والتآلف والانسجام بين المسلمين جميعاً، وتجسيده كواقع حي معطاء يمتلك الحضور في كافّة مقاطع المجتمع الإسلامي.

وهذا التشخيص الدقيق للإمام الخامنئي يقوم على أساس مرجعيات الوحدة بين المسلمين النظرية، وهي: الكتاب الكريم والسنّة النبوية المطهّرة، فإنّ الآيات والروايات الداعية إلى الوحدة بين المسلمين تشير إلى قيمة هذه النظرية السامية، فهي ضرورية في ذاتها، وتدعو إلى الاهتمام بالشؤون المعرفية التي تكرس مفاهيم اجتماعية، مثل التآلف والانسجام بين قطاعات المجتمع الإسلامي.

الرؤية الإسلامية للحياة

إنّ الرؤية التي يحملها الإسلام للمجتمع تهدف إلى إحداث التوازن بين النوازع الأنانية الذاتية وبين المصالح العليا للمجتمع. وبعبارة أخرى: أنّ الإسلام جاء ليوازن بين الدوافع الفطرية لدى الإنسان والمصالح العامة للمجتمع حالما يحصل التعارض والتصادم بين هذه الدوافع الفطرية والمصالح العامة للمجتمع.

ومن الطبيعي أنّ الإنسان يتحيّز إلى مصالحه الشخصية، بل ويقدّمها على المصالح الاجتماعية، وعندما يسود هذه الشكل من العلاقات في المجتمع يتحوّل هذا المجتمع من مجتمع إنساني إلى مجتمع تحكمه شريعة الغاب، بما تحمل هذه الشريعة من قوانين ونظم وعلاقات لا يمكن تصوّرها إلّا في مجموعةٍ من الحيوانات المتوحّشة.

وأمّا الرؤية الإسلامية للحياة فهي ترى أنّه لابدّ أن يسود التوازن الذي تتعادل في حسابه المصالح والقيم الفردية والاجتماعية.

فالإنسان وضمن هذه الرؤية يضمن حقّه ونصيبه في عالم أخروي يكسب الإنسان فيه السعادة على مقدار ما يسعى في حياته المحدودة هذه، بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ

﴿إِلَّا مَا سَعَى﴾[1] فيتحصّل رضا الله تبارك وتعالى، ويضمن المصلحة الشخصية في نفس الوقت الذي يحقّق فيه أهدافه الاجتماعية الكبرى.

فنظرة الإسلام للحياة هو الأخذ بيد الإنسان نحو المشاركة في إقامة المجتمع السعيد، والمحافظة على قضاياه الكبرى التي تحقّق رضا الله تعالى؛ لأنّ ذلك يدخل في حساب ربحه الشخصي ما دام كلّ عملٍ في هذه الدنيا يعوّض عنه بأعظم العوض والجزاء في عالم الآخرة.

فالمجتمع هو الفرد في رؤيا الإسلام للحياة، ومصالح المجتمع تصبّ في مصلحة الفرد.

وهذا الفهم للحياة لا يمكن تصوّره في ظلّ الفهم المادي للحياة، فإنّ الفهم المادي للحياة يجعل الإنسان بطبيعته لا ينظر إلّا إلى مصالحه الخاصة، على عكس نظرة الإسلام للحياة فإنّه يوسّع مصالح الإنسان، ولا يجعلها مقتصرة على المصالح الدنيوية، بل يضيف إليها مصالح أخروية أكبر وأبقى، إذ ما عند الله خير وأبقى.

ومن زاوية أخرى فإنّ الإسلام وضمن الرؤيا الصحيحة للحياة يتعهّد بتربية المسلمين تربية أخلاقية خاصة، تأخذ على عاتقها تغذية الإنسان روحياً بالقيم والأخلاق الفاضلة منذ صباه، لكي تطفح على سطح أخلاقة تلك القيم والأخلاق الفاضلة، والتي كان يتمتّع بها الأنبياء والأوصياء والأئمة، ويصبح الإنسان يحبّ القيم الخلقية السامية للإسلام، ويواضب على احترامها، ويضحّي من أجلها.

فالفهم المعنوي للحياة والإحساس الخلقي النبيل بها، هما الركيزتان اللتان يقوم على أساسهما المقياس الخلقي الجديد الذي يضعه الإسلام للإنسانية، وهو رضا الله تعالى، ورضا الله هو الذي يقود القافلة البشرية إلى أماكن الخير والحقّ والعدالة.

فالوحدة بين المسلمين تصبّ في مصلحة المسلمين جميعاً، وقد تتعارض في بعض

---

١ - سورة النجم، الآية: ٣٩.

الأحيان مع مصلحه هذا الفرد أو ذاك، ولكنّها تهدف إذا ما تحقّقت إلى إقامة المجتمع السعيد الذي يحقّق رضا الله تعالى.

الوحدة الإسلامية القدر الطبيعي والاستراتيجي للأمة

في خطاب لسماحة الإمام الخامنئي ألقي في المؤتمر العالمي لأئمة الجمعة والجماعة، يشير سماحته فيه إلى الدوافع التي توجب التمسّك بالوحدة والتآلف بين المسلمين وضرورة تصحيح المسيرة بهذا الاتجاه:

«النظرة الإسلامية - بعبارة موجزة - تقرّر وحدة البشر في الفطرة والطبيعة، ووحدتهم في الحاجات والتطلّعات...»[1].

إنّ أبرز ما يتضمّنه هذا النصّ هو الدعوة إلى إقرار الأسس والمثل والمبادئ الإسلامية السامية، والتي تكفل بمجموعها للإنسان تكريس عقيدة التوحيد، ووحدة العقيدة التي ينبثق عنها نظام اجتماعي متجانس، تذوب فيه الفوارق العرقية والجنسية، والطبقية والفئوية، والحزبية والطائفية... ويسوده التكافل والتكامل الاجتماعي.

إنّ النقاط الأربعة التي ذكرها سماحته، وهي: الفطرة الإنسانية والطبيعة الاجتماعية والحاجات والتطلّعات، تشكّل حوافز طبيعية تدفع الإنسان إلى ترجيح الوحدة والتآلف على غيرها.

فأمّا الفطرة والطبيعة فإنّها تخصّ البشر جميعاً،مسلمين كانوا أم غير مسلمين، وأمّا الحاجات والتطلّعات فإنّها تخصّ المسلمين وحدهم، حيث تتشابه حاجاتهم تطلّعاتهم.

نعم، إنّ هذه النقاط الأربعة توجب ولادة نظام شامل لأوجه الحياة الإنسانية، والمملوءة بالقيم والمشاعر النبيلة والحياة الاجتماعية الراقية بالطبع والفطرة، وإعداد

١- المقالات والدراسات المقدمة إلى المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة: ٧٠.

وتأسيس النظام الاجتماعي المتآلف والمنسجم، ويمنحه الرؤية الواضحة للحياة والكون في هذه الدنيا، وللحياة بعد هذه الدنيا من الخلود والنعيم المقيم.

ويضاف إلى ذلك أنّنا نجد في كلام قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي أنّه بالرغم من تفشّي أسباب ومظاهر الخلاف والاختلاف بين المسلمين، وتفرّقهم إلى مذاهب ومشارب ومسالك مختلفة، إلّا أنّ هناك ما يكفل تحقيق وحدتهم، وتوحيد صفّهم أمام أعدائهم ومخالفيهم، بل وبناء حضارتهم التي سبق وأن خطّت لنفسها على أرض هذه الرقعة من العالم أعظم حضارة عرفها التاريخ القديم والحديث، وكان لها الفضل إلى ما وصل إليه اليوم العالم الغربي من نهضة وتقدّم وتطوّر.

عناصر تحقيق الوحدة الإسلامية

يشير الإمام الخامنئي إلى أربعة عناصر بمثابة دوافع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، وتشكّل القاعدة التي تبتنى عليها نظرية الانسجام التي دعا إليها، والكفيلة بتحقيق آمال الأمة الإسلامية ونهضتها، وهذه العناصر هي:

أولاً: الفطرة

وهو مصطلح قرآني لم نعهد استعماله قبل القرآن. وهي تعني: الخلق والتكوين للإنسان، وما أودع الله في هذا التكوين من ميول، ونزوع، ورغبات. فقد أودع الله سبحانه في نفس الإنسان الرحمة والإيثار والصدق، والعفّة والحياء، والأمانة والعدل وإباء الضيم، والعزّة والكرامة، والتوحيد والإخلاص، والمعرفة وابتغاء وجه الله، وحبّ الناس وإغاثة المكروب... وما إلى ذلك من القيم والمواهب التي أودعها الله تعالى في نفوس خلقه[1].

إذن هناك أشياء يميل الإنسان إليها، ويسعى إلى تحقيقها، من دون أن توجد مؤثّرات

---

١ - مجلة الفكر الإسلامي مقال الشيخ محمد مهدي الاصفي العدد ٢٣ الصفحة ٨ السنة السابعة.

خارجية تدفعه إلى القيام بذلك، فالإنسان بطبعه يحبّ الصدق والأمانة والعدل وإن كان كاذباً وخائناً وظالماً.

كما والإنسان بطبيعته يسعى إلى أن يكون ضمن جماعة، قد تكون تلك الجماعة عشيرةً أو قبيلةً، وقد تكون تلك الجماعة هي الوطن الذي ينتمي إليه، وقد تكون تلك الجماعة هي الدين الذي يعتنقه، وكلـّما ازداد عدد الأفراد في تلك الجماعة كلّما ازداد شعور الفرد بالسعادة والأمان فطرياً.

ولهذا يشير سماحته إلى أنّ الفطرة هي موجب للوحدة والتآلف والانسجام، إذ إنّ انتماء الفرد إلى الأمة الإسلامية الكبيرة هو ما يتماشى مع ميوله الفطرية، في حين أنّ انتمائه إلى طائفة معيّنة يثير فيه شيئاً جزئياً، فلا يشعر بالسعادة الكبرى التي تنتاب الفرد عندما يشعر بأنّه ينتمي إلى أمة إسلامية كبيرة وصل عددها إلى أكثر من مليار مسلم، وتملك من التراث والفكر والعلوم والأدب والفنّ ما لا يملكه الآخرون.

ثانياً: الطبيعة البشرية

والحديث حولها يتمّ في أربع نقاط:

أ) الإنسان مدني بالطبع

ذهب علماء الاجتماع والنفس إلى أنّ الإنسان مدني بالطبع بما يملك من ميول فطرية نحو الاجتماع والتآلف مع الآخرين من بني جنسه، فإنّه يميل إلى الاختلاط والتجانس والانسجام مع أمثاله.

كتب الدكتور البستاني يقول: «**وحين تلفّنا العزلة نبحث عن لذّةٍ هي الانتماء الاجتماعي، ونتجنّب ألماً هو الإحساس المرير بالوحدة والوحشة**»[1].

١- الإسلام وعلم النفس: ١٢.

وهذه الميزة الطبيعية يمكن استثمارها في وحدة المسلمين، خاصة إذا علمنا انّ الدين الحنيف يحفّز أتباعه على تحقيق الخلطة وعدم العزلة، ويدعوهم إلى تحقيق وحدتهم وانسجامهم وتآلفهم مع بعضهم بعضاً.

يقول الإمام الخامنئي في هذا الصدد:

«فالدين في الحقيقة يرسم طريق وحدة أبناء البشر، ويدعو مخاطبيه في كلّ زمان ومكان إلى تحقيق وحدتهم وانسجامهم في إطار تعاليم ربّ العالمين»[1].

وهي أشارة إلى دور هذا العنصر في تعزيز وحدة المجتمع والأمة وانسجام أبنائها، وما يمكّن للمصلحين من وسيلة لبلوغ أهدافهم.

ب) الطبيعة البشرية ومجموعة القيم الإسلامية

يراد من الطبيعة البشرية هي الخصال التي اختصّ الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات، ومجموعة القيم التي تسود في المجتمع، منها: الكرم والشهامة والنخوة وحماية الجار ونصرة الضعيف... الخ

إنّ طرح دور الطبيعة البشرية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي في تحقيق التآلف والتقارب بين فرقاء المسلمين، وأنّها من ضمن الأسباب التي تقرّر وحدة المسلمين، يتطلّب فنّا الخوض في شرح هذه الطبيعة بشيء من الاختصار.

الطبيعة البشرية وأثرها في تعزيز الوحدة

تعدّ الطبيعة البشرية الاجتماعية في طليعة الدوافع الداعية إلى الوحدة بين المسلمين والتوصيات الإسلامية المؤكّدة على التعارف والتعاون والأخوّة تفصح بوضوح عن

---

١ - المقالات والدراسات: ٧٠.

مفهوم (الانتماء الاجتماعي). كما أنّها تؤكّد حاجة البشر بعضهم لبعضٍ، من قبيل ما ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام من أنّه سمع رجلاً يقول: «اللّهم اغنني عن خلقك» فأوصاه بأن يقول: **«اللّهم اغنني عن شرار خلقك»**[١].

إنّ هذه التوصيات تؤكّد الطبيعة البشرية الاجتماعية للإسلام في تعامله مع الآخرين، كما أكّدت بعض النصوص والتوصيات هذه الطبيعة للإنسان المؤمن من كونه «يألف ويؤلف»[٢]، أي: أن يحبّ الآخرين ويحبّونه.

الطبيعة البشرية بين التضامن والصراع

تعتبر الطبيعة البشرية الاجتماعية من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، وهي على صنفين: الأول: تضامني، والثاني: صراعي، وأرجع كلّ صنف منهما إلى أسباب وجوده ونموّه في الحياة الإنسانية.

وإذا رجعنا إلى تراثنا الإسلامي على الصعيد الاجتماعي نجد أنّ هناك من كتب في الطبيعة البشرية، أمثال الجاحظ(٧٧٦ – ٨٦٩م) الذي قسّم الطبيعة البشرية الاجتماعية إلى صنفين: التضامن والصراع، وبيّن أنّ صفة التعاون والاتحاد بين أبناء المجتمع الإسلامي هو الأعمّ والأكثر شيوعاً، والذي يخضع لمنظومة القيم والمبادئ والأخلاق، حيث قال: **«إنّ التآزر والتسالم في القرابات وفي بني الأعمام والعشائر، أفشى وأعمّ من البعداء؛ لخوف التخاذل، ولحبّ التناصر، والحاجة إلى التعاون انضمّ بعض القبائل في البوادي إلى بعض، ينزلون معاً، ويظعنون معاً...»**[٣].

واستناداً إلى قول الجاحظ، نلاحظ تكوّن تكتلات اجتماعية ذات تماسك أخصّ،

١- تحف العقول: ٣٠١.

٢- أنظر: وسائل الشيعة: باب ١٠٥ أحكام العشرة، ح ٢٥١.

٣- رسائل الجاحظ: ٢١٣.

ضمت التكتّل الواحد، تكون مختلفة في الحجم والقوة والنفوذ والجاه والمال والمكانة الاجتماعية، ممّا يخلق نوعاً من التآلف والانسجام أكثر فيما بينهم.

ثالثاً: الحاجات والتطلّعات

إنّ التآلف والانسجام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم هو هدف يتطلّع إليه كلّ المهتمين بعزّة أمتهم وكرامتها وسؤددها، إلّا أنّ هذه التطلّع لا يكفي لتحقيق هذا الهدف الكبير، إذ لابدّ من دراسة هذا التطلّع دراسةً علميةً واعية، ثم تطبيقها ضمن برنامج عملي هادف لتحقيق هذين الهدفين الساميين: (التآلف والانسجام).

هذه هي الحقيقة التي يصوغها لنا الإمام الخامنئي من خلال كلمته التي ألقاها بمناسبة «مؤتمر الوحدة الإسلامية» السنوي المنعقد في طهران حيث يقول:

«إنّنا ننظر إلى بعضنا البعض نظرة التآلف والانسجام، بلا فرق بين الواحد والآخر، إنّ هذه هي الحقيقة، سوى أنّنا لا نعبّر عن حقيقة وواقع العالم الإسلامي بالمعنى الصحيح للكلمة في المحافل السياسية...»[١].

وظاهرة الصراع المذهبي والطائفي الجاري في بعض بقاع العالم الإسلامي هي ناتج ترشّح عن توقّفنا وجمودنا تجاه التعبير عن هذه الحقيقة بصورة عملية، وتركنا أصحاب التوجّهات القومية والقطرية والشعوبية الطائفية تعبث بالمسلمين.

إنّنا لا نبالغ إذا قلنا: إنّ الدين الإسلامي هو الذي أعطى الدفعة الحضارية للبشرية؛ لأنّ التقدّم والمدنيّة هي مقدار ما حقّقه المسلمون من تطوّر في المجالات النظرية والتطبيقية، إضافة إلى أنّ التشريع الإسلامي وجد أساساً من أجل انتشال الإنسان من الركود والخمود والجمود، والجهل والظلام، لتدفعه نحو الحركة اللا متناهية في مضمار

١- في رحاب الولاية: ٢٥.

تحقيق الانتصارات على صعيد تسخير الطبيعة، وممارسة عملية الاستخلاف في الأرض، وتعزيز السمّو الروحي والعقلي، والخروج من شرنقة الذاتية والأنانية، والجهل والظلام، ومن أوحال النزعات الشاذة والمنحطّة.

ولاشك أنّ كلّ مسلم مهما كانت توجّهاته يطمح لرؤية مجتمع إسلامي متحضّر وقوي ونشيط ومتقدم، تسوده روح الحوار والتفاهم، واحترام الرأي الآخر، والتعايش القومي والمذهبي، وتتجسّد فيه المفاهيم التي طالما أكّد عليها دينه الحنيف.

الفصل الثاني:

إستراتيجية الوحدة والانسجام الإسلامي

«على شعبنا الحفاظ على يقظته... والأهم من ذلك السعي إلى وحدة الكلمة والانسجام الوطني، وتوحيد الأمة الإسلامية، ولابدّ من الحفاظ على هذه الوحدة بتعقّل وذكاء، وحكمة وتدبير، وتقويتها باستمرار»

الإمام الخامنئي

إستراتيجية الوحدة والانسجام الإسلامي

إنّ الوعي السياسي والثقافي يعطي للأمة ثقلاً وتشخيصاً صحيحاً للحوادث الواقعة، وبصيرةً سياسية للتطوّرات الحاصلة، وبعكسه تكون الأمة عرضةً للشعارات المعادية والمضلّلة.

وقد شهدنا مشاهد من هذه الحالة الاستسلامية للجمهور في الساحات السياسية في العالم الإسلامي كثيراً.

وإشاعة الوعي من مسؤوليات العلماء وخطباء الجمعة والجماعة، كما هي أيضاً من مسؤوليات المثقفين والكتّاب والإعلاميين.

والمسؤولية الاجتماعية على العلماء والخطباء أهمّ من المسؤولية الفردية، وقد يجب على الإنسان أن يضحّي بشؤونه الفردية من أجل المسؤولية الاجتماعية. وما من شقاق وفرقة تهدّد وحدة وانسجام المجتمع الإسلامي إلّا ويتحمّل الناس عموماً، والعلماء خصوصاً، مسؤولية ذلك، حتّى ترتفع المسؤولية بإقدام البعض من المصلحين، وفي غير هذه

الصورة يجب على كلّ فرد في المجتمع - على نحو الكفاية - أن يقوم بواجبه تجاه مكافحة هذه الظاهرة.

على أنّ الاختلاف لا يعدّ خطراً فيجب على الناس دفعه ومكافحته، بقدر ما هو حالة صحيحة على الصعيد الفكري والفقهي والذوقي للمجتمع الواحد.

جاء في الكلمة التي ألقاها الإمام الخامنئي في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة والذي عقد في طهران:

«غير خافٍ عليكم أيها الإخوة أنّ المقصود من الوحدة ليس هو إزالة الاختلافات الفكرية والفقهية بين المسلمين، وليس هو دفع المسلمين إلى اعتناق مذهبٍ فقهي أو كلامي معيّن، فمثل هذه الاختلافات الفكرية والفقهية لا تحول دون وحدة المسلمين»[1].

بهذه الكلمات تقرّرت فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية عند سماحة الإمام الخامنئي، ثم تطوّرت حتّى أصبحت مشروعاً إسلامياً حضارياً يتمثّل بالإرادة الجماعية للأمة الإسلامية.

وأصبح واضحاً أنّ الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية لا يعني بأيّ حالٍ من الأحوال أنّ يتخلّى كلّ مذهبٍ عن معتقداته وثوابته ومقدساته إرضاءً للمذهب الآخر.

وقد اتّخذت الوحدة بين المذاهب الإسلامية على المستوى النظري عدّة معانٍ، نذكر منها:

أولاً: الوحدة بمعنى التخلّي والتنازل عن الخصوصيات والثوابت

وهذا الشكل من الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية لا يقول به أحد من المصلحين فضلاً عن رجال التقريب رغم الانتقادات التي وجّهت إلى هذه الصيغة من

---

١ - المقالات والدراسات: ٧١.

الوحدة والتقريب، وهكذا صيغة لا تخدم الدين الإسلامي الحنيف، وإنّما تزيد فيه عوامل الفرقة وأسباب الاختلاف، فلا يكون إلّا مزيداً من التعقيدات.

وينبغي أنّ يكون واضحاً أنّ إزالة أسباب الخلاف من الأمور المعقّدة؛ لأنّها تملك بُعداً تاريخياً، وبات واضحاً أنّ الخلاف الذي نشاهده اليوم هو أمر طبيعي في ظلّ التراكم التاريخي الطويل والمملوء بالعقد والأزمات، والمشحون بالجهل والوحشية.

فهذا النوع من الوحدة والتقريب مرفوض عند سماحته، لأنه لا يقبل به أيّ مصلح، وإن كان سماحته يبدي تفاؤلاً تجاه الحلّ مع وجود الاختلافات وبُعدها التاريخي، بقوله:

«وهذه الاختلافات الفكرية منها والفقهية لا تحول دون وحدة المسلمين»[١].

ثانياً: الوحدة والتقريب بمعنى دعوة الناس إلى التمذهب بمذهبٍ واحد

فليست فكرة الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية تكمن في إلغاء جميع المذاهب، والتمذهب بمذهب واحد معيّن. وهذا من الناحية العملية يؤدي إلى التخوّف من مشروع الوحدة برمّته:

«وهذا ما حصل فعلاً، إذ لاحظنا غضب التيارات الدينية المذهبية من هذا المشروع، وتوجّسها منه خيفةً، كونه يؤدّي - بنظرها - إلى التنازل عن المعتقدات والتخلّي عمن المبادئ... وما شابه ذلك»[٢].

وبات واضحاً أنّه من المستحيل إزالة الخلاف بين المذاهب الإسلامية، أو جعلها مذهباً واحداً؛ لذا فإنّنا **«نرحّب بالتعدّد لا بالوحدة، ففي التعدّد تنوّع المسلمين في رؤاهم ومظاهرهم واجتماعهم، وهذا التنوّع هو الذي يضمن وجود حراك ديناميكي داخلي في الاجتماع الإسلامي»**[٣].

---

١ - المصدر السابق: ٧١.

٢- مسألة المنهج في الفكر الديني، حيدر حب الله: ٥٠.

٣- المصدر السابق.

إذن ليس المراد من طرح مشروع الوحدة بين المذاهب الإسلامية الذي يتبنّاه سماحته هو إزالة أصل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، وإنّما أقصى ما يمكن الوصول إليه هو إزالة الأسباب التي تجعل هذا الخلاف سبباً للعداء، وأن يكون التعقّل والتفهّم بديلاً عن التعصّب الأعمى؛ لأنّ المسلمين مهما بلغ الخلاف بينهم فإنهم إخوة بنصّ القرآن، وثمة أحكام وآثار عديدة تترتّب بين الإخوة، أدناها: احترام بعضهم بعضاً، ورعاية بعضهم بعضاً.

فالمشروع يحاول طرح الأفضل للجميع، وأن لا يدع خلافاتنا تحول دون تحقيق مشروع الوحدة والتقريب والانسجام الإسلامي.

ثالثاً: الوحدة والتقارب بمعنى توحيد المواقف والمعالجات

كما أنّ الوحدة والتقارب المراد منه في المشروع الوحدوي المطروح بين المسلمين لا يعني بحالٍ من الأحوال مزج الآراء، وصهر المذاهب الإسلامية المختلفة، وإنّما هو تكريس العمل على الوصول إلى تقارب وجهات النظر المختلفة على الأصعدة: الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وتوحيد المواقف والمعالجاتِ لكثير من الحوادث اليومية والتحديات التي تواجه المسلمين؛ ليكون المسلمون صفّاً واحداً أمام العدوان الغربي، الذي اتخذ من «الإرهاب» ذريعةً لقتل المسلمين، واحتلال بلادهم، وانتهاك حرماتهم، وسرقة ثرواتهم، وهو يعلم أنّ «الإرهاب» يعيش وينمو ويترعرع في كنفه، وتحت رعاية عملائه ومنظماته.

وقد يرد عليه: أنّه بالرغم من أفضليته على غيره من حيث إمكانية حدوثه، والنتائج المتوخّاة منه، إلّا أنّه ليس هو المطلوب النهائي للمشروع، ولا يصحّ الوقوف عنده، إذ لا نريده فقط أنّ يسقط **«الجدار البرليني الماثل بين فئات المسلمين المختلفة مذهبياً وقومياً... إنّ هذه الخطوة تمثّل كسر العوائق للبدء بالمشروع، لا أنّها نهاية المشروع وغايته»**[1].

---

١ - مسألة المنهج في الفكر الديني: ٥٢.

وفي ضوء ذلك ثمة من يعتقد أنّ فشل مشروع الوحدة والتقريب من تحقيق النتائج المستقبلية المرجوّة إنّما يعود إلى ما ذكرناه، ويأملون بتحويل إحدى جلسات مؤتمر الوحدة الإسلامية السنوية وتخصيصها لدراسة أسباب فشل المسلمين في حصول التقارب بينهم بعد أكثر من نصف قرن على العمل التقريبي[١]، بل نسمع بين حين وآخر صيحات التمذهب ترتفع إلى السماء من دون رادع يردعها من أولياء أمور المسلمين المنتشرين على طول البلاد الإسلامية وعرضها.

رابعاً: الوحدة والتقارب بمعنى الألفة والانسجام

يطرح سماحة الإمام الخامنئي في ثنايا خطبه وكلماته ملامح مشروع جديد للوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية، ولكن ليس بمعنى التقريب الاصطلاحي وإنّما بمعنى تعميق التآلف والانسجام.

وإن كان هذا المشروع لا يزال في المرحلة النظرية، إلّا أنّه يرسم الأمل لإعادة تقييم مشروع الوحدة والتقريب، وتجديد الأدوات، وإعادة صياغة الخطاب الذي بدأه علماء التقريب بين المذاهب الإسلامية منذ نحو نصف قرن؛ لاجتذاب اكبر عدد ممكن من المسلمين الذين كان لهم رأي في مسألة التقريب بين المذاهب، وميول باتجاه تكريس الوحدة بين أطراف المسلمين.

ومن معالم وملامح هذا المشروع الذي يطرحه سماحته أنّه نابع من صميم رجلٍ يحمل هموم الأمة والرسالة الخالدة، يقول:

> **«إنّني أنظر بعين التقدير لما حقّقتموه في هذا المجال، إلّا أنّني أودّ أنّ ألفت انتباهكم إلى أنّ (وحدة الأمة الإسلامية) هي همّنا الأول في العالم الإسلامي»[٢].**

١- راجع المصدر السابق: ٤٤٨.

٢- في رحاب الولاية: ٢٣.

ففي هذا الخطاب الذي أُلقي أمام حشد من المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية المنعقد في طهران إشارة إلى الجهود القيمّة التي يبذلها رجال ودعاة التقريب والوحدة، إلّا أنّه تأكيد على مواصلة الدرب؛ لأنّه يعدّ أحد هموم المسلمين، لذا يستوجب ترتيب الأولويات على هذا الصعيد.

والمؤتمرات والندوات المعقودة لأجل التقريب بين المذاهب اقتصرت على النخب السياسية والفكرية، وبعض وجوه المذاهب الإسلامية، دون الحضور الشعبي الذي يضمّ الجماهير المسلمة الغفيرة التي هي نواة الوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية، وهم الذين يعبّر عنهم سماحة الإمام الخامنئي بـ «الأمة الإسلامية» فجاء مشروع الانسجام الإسلامي لسماحته ليشرك الأفراد والجماهير الغفيرة في مؤتمرات التآلف والانسجام، علاوة على النخب السياسية والفكرية ووجوه المذاهب الإسلامية.

وفي خطاب لسماحته بمناسبة حلول العام الإيراني الجديد وجّهه إلى الجموع الحاشدة من زوّار وضيوف الحرم الرضوي المطهّر، قال:

> **«على شعبنا الحفاظ على يقظته، وعليه أن يواصل جهوده في بناء البلاد، والأهمّ من ذلك السعي إلى وحدة الكلمة والانسجام الوطني، وتوحيد الأمة الإسلامية، ولابدّ من الحفاظ على هذه الوحدة بتعقّل وذكاء، وحكمة وتدبير، وتقويتها باستمرار، وأنا شخصياً أولي أهميةً خاصةً لوحدة كلمة شعبنا، وأرى أنّ هذا العام هو عام (الاتحاد الوطني والانسجام الإسلامي) أي: على المستوى الداخلي لابدّ من اتّحاد كلمة جميع أبناء الشعب على اختلاف قومياتهم، وتنوّع مذاهبهم وطبقاتهم الوطنية»**[1].

وأمّا على المستوى العالمي، فلابد من الحفاظ على انسجام جميع فرقاء المسلمين، وتحسين العلاقات الأخوية بين أبناء الأمة المسلمة على اختلاف انتماءاتهم واتجاهاتهم، يقول سماحته بصراحة:

١- في رحاب الولاية: ٦.

«وعلى المستوى العالمي لابدّ من الحفاظ على انسجام جميع المسلمين، والعلاقات الأخوية بين آحاد أبناء الأمة الإسلامية...»[١].

ويعني بالآحاد: الأفراد من ذوي الاختصاصات الأخرى غير المختصين بالعلوم الدينية، وهم الطلاب الجامعيون، والأساتذة، والأطباء، والمهندسون، والمدرسون، وحملة الشهادات العليا، وأصحاب المهن الحرة، والعمّال والفلّاحون، وأفراد الجيش وأفراد الشرطة... وغيرهم.

هؤلاء هم أفراد الشعب الذين أراد سماحته إشراكهم في عملية التقارب والانسجام في المجتمع المسلم، إذ بدون وجود هؤلاء في هذه العملية تكون العملية موتورة وغير مجدية، ولا تثمر عن شيء مفيد.

المعنى اللغوي للانسجام

إنّ مسألة تحديد المصطلحات والمفاهيم من الأولويات المعرفية الضرورية في ثقافتنا المعاصرة إذ إنّ القارئ اللبيب قبل أنّ يخوض في مطالعته يرغب أولاً بالوقوف على المعنى اللغوي للمصطلح، والإحاطة بدلالاته اللغوية والاصطلاحية السائدة؛ ليكون على علم بمتابعته.

وفي هذا الإطار نتناول معنى «الانسجام» في اللغة وما هو المراد منه.

يذكر اللغويون أنّ المعنى اللغوي للكلمة يختلف عمّا يراد بها من معنىً في متداول ثقافتنا المعاصرة، قال ابن منظور في لسان العرب: **«انسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم، أي: انصبّ»**[٢].

١- في رحاب الولاية: ٦.

٢- لسان العرب ١٢: ٢٨٠.

وقال في مقاييس اللغة: «سجم... وهو صبّ الشيء، في الماء والدمع»[١].

في مختار الصحاح ما لفظه: «سجم الدمع: سال، وبابه: دخل وسجاماً أيضاً، وانسجم وسجمت العين دمعها»[٢].

وقال في القاموس المحيط للفيروزآبادي: «سجم الدمع سجوماً وسجاماً ككتاب، وسجمته العين والسحابة الماء تسجمه وتسجُمه سجماً وسجوماً وسجماناً: قطر دمعها وسال، قليلاً أو كثيراً. والسَجَمُ بالتحريك: الماء والدمع....»[٣].

فالانسجام يعني لغةً: الانصباب والانحدار والسيلان، ويستعمل للماء وللدمع كما ذكر.

وقد استعمل العرب هذه اللفظة في أشعارهم وقصائدهم، وكذلك في نثرهم، ففي خزانة الأدب:

له انسجام دموعي في مدائحهبالله شنف بها يا طيب النغم

والمراد من الانسجام: أن يأتي كلامه مسترسلاً ومنحدراً؛ لخلوّه من العقادة، كانسجام الماء في انحداره ويكاد؛ لسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه[٤].

وقد يأتي «الانسجام» بمعنى آخر غير ما ذكره المتقدّمون من اللغويين وأرباب هذه الصناعة من أنّها تعني «الانصباب» و «السيلان» و «الانحدار»، وهو بمعنى «التوافق» و «الملاءمة» و «المطابقة»[٥].

ويظهر أنّه الأنسب إلى المعنى المتداول في ثقافتنا الحاضرة، والأقرب إلى ما يراد من هذا اللفظ من معنى على صعيد البحوث والدراسات الحديثة.

---

١ - مقاييس اللغة ٣: ١٠٥ مادة (سجم).

٢ - محمد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح: ٢٨٧.

٣- القاموس المحيط ١: ١٤٤٦.

٤ - خزائن الأدب ١: ٤١٧.

٥ - المصطلحات مركز المعجم الفقهي،: ٣٣، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله: ٢٦.

الانسجام الإسلامي وآية الانسجام الطبيعي

المراد من الانسجام الإسلامي هو محاولة الكشف عن ذلك التناسق الرائع والمذهل في التركيبة الإسلامية بجميع عناصرها الأولوية، على مستوى البناء والدعوة، والطرح والتطوير، بل وعلى مستوى التعايش الاجتماعي أيضاً داخل المجتمع الإسلامي الواحد، فهو أشبه ما يكون الانسجام الطبيعي الحاصل في تركيبة هذا الكون بكلّ عناصره وأجزائه المتعددة، والمختلفة الحجم والحركة، والتناسق الرائع الذي يُجسّده الكون بصورة مدهشة.

ومن هنا يقول سماحة الإمام الخامنئي في حديثه أمام أئمة الجمعة والجماعة في مؤتمرهم العالمي الثاني في طهران ١٩٨٤م:

> **«إنّ الرؤية الإسلامية للكون والحياة اعتبرت الكون ساحة للانسجام والارتباط والتناسق، وأنّ كلّ أجزاء العالم متناسبة مع الأجزاء الأخرى، ونظرة إلى المسيرة الطبيعية للعالم على أنّها عالم ازدواج الأزواج والأشباه، والى كلّ جزء من هذه الأجزاء بمفردها، ثم بمجموعها، على أنّها آية لانسجام الأجزاء وتناسقها وتناسبها»**[1].

إنّ آية الانسجام الطبيعي بين مكوّنات هذا الكون الكبير تبعث على الاطمئنان والروعة؛ لأنّنا نعلم ﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[2].

ونعلم أيضاً أنّ أرضنا هذه ليست ثابتة، وإنّما هي تدور بسرعة مقدارها ألف ميل في الساعة... ومع ذلك فالأرض لا تقذفنا ولا ترمينا بفعل القوة الطاردة عن المركز، بل

١- المقالات والدراسات: ٦٩.

٢- سورة يس، الآية: ٤٠.

نحن مستقرون عليها بفعل الجاذبية الأرضية التي توازن القوة الطاردة عن المركز[١].

ونعلم أيضاً أنّ هذه الأرض دائرة في الفضاء، وهي تؤدّي عملها بزاوية (٣٣) درجة، الأمر الذي تنشا عنه المواسم الأربعة، ويترتّب عليه صلاحية أكثر مناطق الأرض للزراعة والسكنى ودوام العيش، فلو لم تكن الأرض على هذه الزاوية لغمر الظلام القطبين طوال السنة، ولسار بخار الماء شمالاً وجنوباً، ولظلّت مناطق يغمرها البرد القارس دائماً، وأخرى يصيبها الحرّ دائماً!

وهذا يعني أنّ الكون يتجسّد فيه الانسجام والارتباط والتناسق، والتوازن والتناسب، إلى حدٍّ رائع لا يمكن تصوّره، إنّه الانسجام الطبيعي الذي أودعه الله سبحانه في ما بين مكوّنات هذا الكون الكبير.

وعرض الانسجام الطبيعي من قبل سماحته إنّما هو ليمهّد الطريق لعرض نظرية الانسجام بين المسلمين على المخاطبين، وبعبارة أخرى: إنّ آية الانسجام الطبيعي بين مكوّنات هذا الكون الكبير هي الأساس لتبلور نظرية الانسجام بين المسلمين، كما أنّ الانسجام الحاصل في الكون أثمر هذه الروعة في الأداء والجمال والدوام، كذلك يمكن للمسلمين في انسجامهم أن يثمروا الروعة في أدائهم، والدوام في معيشتهم وحياتهم، فالانسجام هي حالة طبيعية للتعايش بين مختلف الأشياء على تعدّدها.

وكثيراً ما ينتقل العلماء والمفكّرين من فعل الطبيعة التي تحكي عن ظاهرة معيّنة إلى فعل يمكن الاستفادة منه في الحياة اليومية.

وكذلك الإمام الخامنئي استطاع أن يستلّ مبدأ الانسجام الإسلامي من الانسجام والارتباط والتناسق والتوازن الحاصل بين مكوّنات هذا الكون الفسيح.

---

١ - الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان: ٦٣.

الوحدة والانسجام الإسلامي رأس الالتزامات

ومن خطاب لسماحته بمناسبة ذكرى ولادة الرسول الأكرم ﷺ والإمام الصادق عليه السلام أُلقي على حشد من مسؤولي النظام وسفراء البلدان الإسلامية، وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية المنعقد في طهران، يقول فيه:

«إنّ على العالم الإسلامي أن يفي بالتزاماته إذا ما أراد أن يأخذ بيد الأمة الإسلامية على الطريق الصحيح نحو النصر، وعلى رأس هذه الالتزامات: الوحدة الإسلامية والانسجام الإسلامي»[1].

صحيح أنّ العدوّ يحاول أنّ يفتّت إرادة الأمة الإسلامية من خلال آلته العسكرية، وحربه النفسية وإعلامه المأجور وتكنولوجيتهم المتطورة، ولكنّه يحاربنا وينتصر علينا إذا أردنا نحن الهزيمة، والخوف كلّ الخوف لو رأى العدوّ إرادتنا على الانتصار، والتسلح بسلاحين جوهريين، هما: طلب الوحدة الإسلامية، وإرادة الانسجام الإسلامي.

إنّ الرغبة في التسلّح بهذين السلاحين يثير فينا التطلّع إلى ما يؤدي بنا إلى النصر دون الهزيمة، وعندئذٍ سوف يدرك كلّ مسلم حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، والالتزامات التي يجب الوفاء بها تجاه أمته وإخوانه.

والأمة الإسلامية العريقة بما تملك من طاقات بشرية ومعنوية مادية هائلة، وبما تشكّل من حجم سكاني وموقع استراتيجي، مؤهّلة مستقبلاً لقيادة الحضارة الإنسانية، شريطة أنّ:

أ) تعود إلى أصالتها، وتعتمد على إرثها الحضاري الخصب

ب) تتوحّد وتنسجم مكوّناتها كما هو الكون منسجمة مكوناته وعناصره.

آليات تحقيق الانسجام الإسلامي في منظار الإمام الخامنئي

إنّ مشروع الوحدة والانسجام الإسلامي المطروح يجب أن يولي اهتماماً كبيراً بالعمل

---

١ - في رحاب الولاية: ٣٤.

على إزالة العقد والأدران والأورام من الكيان الإسلامي الكبير، والتي من شأنها إثارة الحقد والنزاع والعصبية والخلاف بين الفرقاء المسلمين في المجالات العلمية والعملية.

كما يبدي رعايةً كبيرةً بالعمل على إزاحة الغموض الذي يكتنف بعض الجوانب الفكرية والفقهية والتاريخية المتعلّقة بهذا المذهب أو ذاك. وبعبارة أخرى: أنّ المشروع القائم يجب أنّ يشدّد العمل الجدّي المتواصل والدائم على إذابة العقد وإزالة الخلافات التي تؤدّي إلى التنازع بين الإخوان، والتي ولدت في ظروف استثنائية، ساعدت على ظهورها بعض العوامل السياسية والعقدية، ثم تجمعت وهوت على الأمة الإسلامية، وهي تئنّ تحت وطأة التخلّف والجهل والأمية في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

فإذا كان مشروع الوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية هو دعوة المفكّرين والفقهاء والنخبة للحوار والتباحث لحلّ الخلافات العالقة بين المسلمين، فإنّ مشروع الوحدة والانسجام الإسلامي فهو صرخة في ضمير كلّ فرد مسلم على هذه الأرض، رجالاً ونساء، شيوخاً وشباباً، ومن جميع شرائح المجتمع وطبقاته الاجتماعية، من مثقفين وطلاب جامعات، ورؤساء مؤسسات ومدراء عمل و...، إضافة إلى عامة المسلمين، للتسامح والتحابب، والتآلف والتآخي، والتزاور والتجاوز لكلّ ما حصل في الماضي من انتهاكات ومصادمات وردود أفعال مختلفة.

إنّها دعوة للعمل الهادف الصامت، بعيداً عن التهريج، على ترميم ما هدمته معادل الكفر والنفاق وأصحاب المصالح الضيّقة، فإنّ المسلم والمؤمن أقرب الناس إلى هذه الدعوة الحسنة من الكافر المتجاهر بكفره والمنافق الشره:

١ - التآلف بين القلوب

ففي ملتقى علماء الشيعة والسنّة من أجل الإشادة بجهود العلّامة ابن ميثم البحراني، يشير سماحة الإمام الخامنئي إلى إحدى هذه الآليات التي من شأنها تحقيق الوحدة والانسجام الإسلامي، يقول:

«ثمة مسألة أهم في عصرنا هذا، وهي مسألة تأليف القلوب بين أبناء الأمة الإسلامية»[1].

فقد أعطى سماحته أهميةً كبيرةً لمسألة التآلف بين القلوب، لما لهذه الأُلفة من دور بالغ الأثر في توحيد المسلمين، وتوجيههم الوجهة المطلوبة.

إنّ هذا الاهتمام جاء امتداداً لتلك المراحل الصعبة التي تمخّضت عن ظهور الدين الإسلامي الحنيف وانتشار صيته في جميع الأطراف.

فقد ألّف الإسلام – حين ظهر – بين قلوب من أثبتوه واتّخذوه ديناً لهم، فجعل منهم جماعة متآلفة، يعاون بعضهم بعضاً وينصره ويؤازره، حتّى كان لهم من ذلك يوم ظهروا بمكة – وهم قلّة مستضعفة – منعة حفظتهم من شرور أعدائهم، وقوة أظهرتهم وردّت عنهم كيد خصوصهم الأقوياء، ولولا ذلك التآلف لقضي عليهم في مهدهم، وانتهى أمرهم في أول عهدهم.

ثم استمر ذلك التأليف بين قلوب المسلمين بإشراف مباشر من سيد الكون النبي الأكرم ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بشكل أجلى مظهراً، وأوسع مجالاً، وأبعد أثراً، وأشدّ قوة، بما عقد بين المهاجرين والأنصار من التآخي والتآلف والمشاركة في الأموال، والمناصرة في القتال، والدعوة لنشر الإسلام، والوصول إلى تلك الأهداف السامية التي جاء بها نبيهم الكريم ﷺ.

إنّ التآخي والتآلف بين قلوب المسلمين إنّما هو المرحلة الأولى والخطوة المتقدمة على تحقيق الحدّ الأدنى من التعايش السلمي داخل المجتمع الواحد. إذ إنّ التعايش يمكن تقسيمه إلى قسمين: عملي وعلمي، فالأول يحصل على مستوى الجماهير ونخبها وبكل

---

١ – في رحاب الولاية: ٤٦٩: ٢.

الميادين التطبيقية، بينما الثاني فيقتصر على النخب والحكومات واللجان ذات الطابع العلمي، وربّما السياسي والاجتماعي.

وقد أطلق الإسلام في حملته السلمية مبدأ التعايش السلمي مع كلّ المكوّنات البشرية، حتّى أتباع الديانات والثقافات غير الإسلامية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[1]، سواء بصورة أُلفة قلبية ومسالمة، أو بصورة عقود وعهود تعايش، وتبادل خدمات وضرائب مالية و...

نعم، بالنسبة إلى الحربيين فموضوع التعايش السلمي منتفٍ؛ لأنّهم إمّا يستقرّون خارج الحدود الإسلامية، فلا احتكاك بينهم وبين المسلمين، والنتيجة لا تعايش، وإمّا أن يكونوا في نزاع مع المسلمين وحروب، وحينئذٍ لا تعايش سلمي معهم وهو واضح.

إذن عدم التعايش مع الحربيّين هو طبيعي ومتناسب مع طبيعة الحرب التي تبرّر الكثير من الممارسات والأحكام.

وأمّا غير هؤلاء، ممّن هم مسالمون مع المسلمين، ولم يرفعوا سيفاً ولم يثيروا ضغينةً ضدهم، فهم يتمتّعون بكامل الحقوق في ظلّ الدولة الإسلامية ولو كانوا على دين آخر، وكان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، بل لهم مطلق الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وممارساتهم المذهبية، ولم يوجد نصّ ديني واحد يصرّح بمنع أهل الذمة حقوقهم كمواطنين، بل إنّ مواقف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والصحابة تستبطن الدعوة إلى معاملتهم كإخوة في الدين.

وأمّا ما يثار من وجود تفريق فهو لا يتعدّى في بعض الموارد الفقهية المتعلّقة بالقضايا المالية (الجزية) أو الأحوال (منع الزواج منهم) وهي موارد محدودة، قائمة على فلسفة خاصة من يريدها يطلبها في مظانّها.

١- سورة الحجرات، الآية: ١٣.

فإذا كان الإسلام ورؤيته العادلة، ودعوته المؤكّدة على مؤاخاة أهل الذمّة، وضرورة التعايش السلمي معهم، فهو إلى أطراف المسلمين آكد ولاشكّ. وهل ثمة دعوة أوضح وأوسع وأعمق من الإسلام حينما يقرّر القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1].

ويصف أصحاب الجنة والفوز الأبدي: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[2].

فالتآلف (نزع الغلّ من القلوب) ثم الأُخوّة (إخواناً) وبعد ذلك جسّدوا التعايش السلمي الذي يعبّر عنه القرآن بـ ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

العلاقة الوطيدة بين التآلف والانسجام الإسلامي

إنّ إعطاء الأهمية الكبيرة لهذه المسألة (مسألة التأليف بين قلوب المسلمين) من قبل سماحة الإمام الخامنئي هي إشارة إلى أنّ هذه المسألة لها تأثيرات كبيرة على مفصلٍ مهمٍّ من مفاصل قوة المسلمين ووحدتهم.

ومن الطبيعي أنّ يسعى زعماء ومفكّرون ومصلحون مسلمون إلى تكريس التأليف بين قلوب المسلمين، فيجعل منهم أمةً قويةً، متحدّة متماسكةً، قادرةً على مقارعة أعداء الإسلام؛ لكن هذا لا يحصل إلّا بالتمكّن من قلوبهم، والنفوذ إلى مشاعرهم وأحاسيسهم، ودغدغة أفكارهم، بعد طرد كلّ الأفكار غير المسؤولة، والوساوس والشبهات، والسعي إلى تحقيق الغاية المنشودة التي جاء الإسلام من أجلها.

من الملاحظ أنّ أيّ حزب أو تيار سياسي أو ديني أو ثقافي حضاري يجمع أتباعه بجملة قيم وشعارات معيَّنة فيعرفون بها، ويتعاونون في سبيل نصرتها وتحقيقها، والدفاع

١- سورة الحجرات، الآية: ١٠.

٢- سورة الحجر، الآية: ٤٧.

عنها، والدعوة إليها، فما بالك بتلك القيم والمبادئ والشعارات التي جاء بها الدين الإسلامي من دعوة الناس إلى الإيمان بإله واحد، وكتاب واحد، ونبي واحد؟

أليست هذه عناصر جديرة بالالتفاف حولها، وتشكّل محاور عملية بالنسبة إلى الوحدة والألفة؟

ولقد استجاب لها المسلمون في أول عهدهم، فأكسبتهم قوة وعزّة وغلبة، وتعزّزت بها الدعوة الإسلامية، فانتشرت وانتصرت على من عارضها، فتفتحت أمامها الطرق، واتسعت لها الآفاق.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

فانتصر الدين ونشر جناحيه الآفاق بفضل دعوته إلى تأليف قلوب المسلمين بعد أن كانت قاسية ومتهورة ومتوحشة.

وفي كلمته لأهل السياسة ومسؤولي النظام قال سماحته وهو يشير إلى خطورة التحديات وصعوبة الزمان وشدة مكائد الأعداء والمبطلين، ودور الوحدة والاتحاد والانسجام في ظلّ هذه الظروف الصعبة:

«إنّ المتوقّع من لُباب أهل السياسة ونخبهم أنّ يفهموا خطورة المرحلة الراهنة، وأهمية الاتحاد بين المسلمين فيها، ومؤامرات الأعداء الرامية إلى تفتيت وحدة المسلمين وتآلفهم»[2].

وفيها تذكير للسياسيين وأصحاب المراكز والقرارات بنقطة خطيرة للغاية، وهي أنّ الأعداء يعرفون نقطة القوة عند المسلمين، وهي الوحدة والتآلف والانسجام، وأنّهم

١- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

٢- في رحاب الولاية: ٤٤١.

ليسوا بقادرين على مواجهة المسلمين لو كانوا أمة واحدة متحدة متآلفة ومنسجمة، لذا فهم يخطّطون ويبذلون الغالي والنفيس من أجل تفتيتها.

٢- الأخوّة الإسلامية

إنّ التاريخ المعقّد الذي اكتنف العلاقات بين شرائح وفرقاء المسلمين، وما أفرزته الأحداث من تباعد بينها بالشكل الذي جعل لكلّ فريقٍ مجتمعاً خاصّاً به يتميّز عن بقية الفرق الأخرى، ليشهد أنّ ظاهرة الأخوة إذا ما خلت وانعدمت، برزت حالات الاقتتال والنزاع على أتفه الأسباب؛ إذ إنّ باعتقاد كلّ فريق وطائفة أنّ ما يُطرح يمسّ خصوصيّتها المذهبية؛ إذ يخيّل لكلّ واحدٍ منهم أنّه يمثّل الإسلام كلّه دون الآخرين.

فالأخوّة الإسلامية حلقة مهمة من حلقات الانسجام الإسلامي الكبير، وهو ما دعا الإمام الخامنئي كافّة المفكّرين والعلماء الإسلاميين المعاصرين إلى تعزيزها في مجتمعائهم، حيث قال أمام المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية المنعقد في طهران:

> «إنّنا دائماً ما نتحدّث عن الوحدة الإسلامية، وندعو إليها، كما نتحدّث عن الأخوّة الإسلامية، وهناك على أرض الواقع من يشعر حقيقةً بالأخوّة الإسلامية من نخب العالم الإسلامي - وهاهي روح الأخوة الإسلامية تتجلّى في هذا الاجتماع - وإنّنا ننظر إلى بعضنا البعض نظرة التآلف والانسجام، بلا فرق بين الواحد والآخر. إنّ هذه هي الحقيقة، سوى أنّنا لا نعبّر عن حقيقة وواقع العالم الإسلامي بالمعنى الصحيح للكلمة في المحافل السياسية، وعلى صعيد الحكومات، وفي الأوساط الجماهيرية»[1].

إنّ ما يدعونا هنا إلى التأمل في حديث سماحته هو أنّه يشير إلى نقطة جديرة بالاهتمام على هذا الصعيد، وهي أنّ المنهج الذي اتّبعه سماحته بخصوص «الأخوّة الإسلامية» هو

١- في رحاب الولاية: ٢٥.

الانتقال من الحديث عن الأخوّة الإسلامية إلى واقع الأخوّة الإسلامية.

حيث أوضح سماحته بأنّ الأخوّة الإسلامية هو شعور ينتاب المسلمين حقيقةً، وأنّ هذه الحالة الشعورية تمثّل عمقاً إسلامياً في شخصية المسلم، وأنّه يجب أنّ تستحضر كلّما تعرّضت العلاقة بين المسلمين لانتكاسةٍ وتضرّرت.

إنّ الأخوّة الإسلامية تنطلق من ثوابت أقرّها القرآن والسنّة المطهّرة في كثير من الروايات التي تحثّ على تعزيز العلاقات الأخوية بين المسلمين على أساس المحبة والمودّة الصميمية والعميقة.

فمثلاً عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذ له ولا يحرمه**»[1].

وفي أخرى أضاف: «**ولا يغشه ولا يغتابه ولا يخونه**»[2].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام يقول: «**مالكم وللرئاسات، إنّما المؤمنون رأس واحد**»[3].

بل في حديث أكثر صراحة يقول عليه السلام فيه: «**المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله..**»[4].

فحدود الأخوّة غير محدّدة، لدرجة أن أكّد الشارع على كون المسلم إلى الآخر كما الرأس إلى الجسد، أو كما العين والمرآة والدليل للآخر. وهي تعابير مبالغ فيها من أجل تصوير الدور المهّم الذي تمثّله الأخوّة على الصعيد الاجتماعي والسياسي والتربوي، بل وأيضاً على الصعيد الأمني.

والأمر لا يقتصر على المسلم كفرد، بل يشمل على مستوى أوسع، كأن تكون على

١- الكافي ٤: ٥٠ ح ١٦.
٢- المصدر السابق ٢: ١٦٧ ح ١١.
٣- وسائل الشيعة ١٥: ٣٥٣ ح ١٢.
٤- الكافي ٢: ١٦٦ ح ٥.

مستوى مذاهب وأحزاب وتيارات و... طالما كانوا ينتمون إلى الإسلام، ويستظلّون بمظلّته.

وهذا ما أدركه المسلمون في صدر الدعوة الإسلامية المباركة، إذ فوجئ الأنصار والمهاجرون في صبيحة يوم أنّ الرسول ﷺ يدعوهم في المسجد، ولّما تجمعّوا أعلن صلوات الله عليه المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين من جانب، وبين الأوس والخروج الأنصاريين من جانب آخر، ليؤكد ﷺ إنّ المؤاخاة ليس هي مقتصرة على الأفراد، وإنّها تشمل العشائر والقبائل والأقوام، والمذاهب أيضاً من باب أولى.

إنّ وحدة المذهب حقيقة واقعة مع تعدّد الاجتهادات داخل المذهب، كذلك وحدة الدين حقيقة واقعة مع اختلاف المذاهب.

وكانت محاولة سماحة الإمام الخامنئي على هذا الصعيد هو تحريك الواقع الإسلامي المعاصر من الجمود والتحجّر، وعدم الثقة، إلى التآلف والأخوّة والانسجام، وهذا يستلزم التصريح بضرورة التعبير الصادق عن واقع العالم الإسلامي وهمومه بالمعنى الصحيح للكلمة في المحافل السياسية، سواء على صعيد الحكومات وفي الأوساط الجماهيرية.

والتعبير عن واقع العالم الإسلامي الراهن بكلّ قضاياه المصيرية يجب أنّ يطرح في المحافل السياسية العامة، يعني أنّ يكون على مستوى النخبة من العلماء والمفكّرين والمثقفين، بل وعلى مستوى الحكومات أيضاً، وهي مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الحكومات الإسلامية من خلال وسائل إعلامها ودعاياتها من أجل نشر مبادئ الأخوّة والتآلف والانسجام بين المسلمين، وإلغاء كلّ البرامج التي تتعارض مع هذا الهدف الكبير.

وليس هذا فحسب، بل هي مسؤولية الأوساط الجماهيرية التي تمثّل عموم الناس الذين يحملون شهادات علمية في كلّ الاختصاصات الطبية والهندسية، والكادر العامل

في جميع المؤسسات الحكومية، وطلاب الجامعات، وسائر أفراد المجتمع... هؤلاء مسؤولون أيضاً عن التعبير عن الواقع الإسلامي السائد، وضرورة العمل باتجاه تعزيز التعاون والتسامح والاحترام من أجل تكريس روح الأخوة بين أفراد المجتمع الواحد.

الانسجام الإسلامي ضرورة ملحّة

إنّ الانسجام الإسلامي في أصدق صوره هو تهيئة الأرضية المناسبة لتطبيق الإسلام كلّه، في إطار وحدة إسلامية شاملة، تتلاشى فيه المصالح المذهبية الضيّقة والتوجّهات الطائفية السيئة الصيت، وتسود بدلاً منها المصالح الإسلامية الكبرى، ومصالح الكلّ من العناصر المكوّنة للنسيج الإسلامي الكبير.

وهذا يتطلّب منّا التأكيد على جملة من المفاهيم التي دعت إليها الشريعة المحمدية الأصيلة، نذكر منها: التحابب، والتسامح، والتعارف، والتآلف... والتشديد على تكريسها في المجتمع.

غير أنّ هذه المفاهيم إنّما تتكوّن وتتبلور إذا كان ثمة وعي لدور هذه المفاهيم في التغيير في الحقائق الاجتماعية والتجربة البشرية.

ولذا يشير سماحة الإمام الخامنئي في خطابه بمناسبة ولادة الرسول الأكرم ﷺ وأمام جمعٍ من مسؤولي الدولة وسفراء البلدان الإسلامية وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية فيقول:

> **«لماذا نعطي الفرصة للاستكبار حتّى يستهدف دولة ويفصلها عن الدول الأخرى، ثم يقضي عليها، ومن ثم يستهدف أخرى؟ إنّ على الجميع أن يدركوا هذه الحقيقة... وعلى الدول الإسلامية أنّ تحقّق وحدتها وانسجامها، وتتأكّد أنّها قادرة على ذلك»**[1].

إنّ الأمم الحيّة وعبر امتداد التاريخ قد شهدت نزول رسالات سماوية، فجسّدتها،

---

١ - في رحاب الولاية: ٤٠.

فقدّمت فيها للبشرية ناموساً حضارياً للتطوّر، وأغنت للإنسانية تجاربها على هذه الأرض، وهي بتقديمها مثل هذا الناموس الحضاري أضافت للتاريخ تنوّعاً وإثراءً، وحلقات كثيرة تلازمت مع حلقات الرسالة الخاتمة: الرسالة الإسلامية، فتكوّنت الحصيلة الإنسانية التي نعرفها.

وكذلك أوربا في بداية العصر الحديث قدّمت رسالة كبيرة للعالم عندما ظهرت فيها بواكير الثورة الصناعية، ثم تطوّرت بالشكل الذي أضافت لتجربة وحياة البشرية حلقة هامة من حلقات تطورها ونموها.

لكن ذلك لم يكن ليحدث لو لا أنّ أوربا قد اكتسبت ما يفيدها في نموها وتطوّرها على الصعيد العلمي والصناعي. إذ - كما هو معلوم عند الجميع - أنّ الإسلام قد أحدث ثورةً عارمة في الدنيا غيّرت وجه التاريخ، وهزّت جميع الحضارات السابقة، وقدّم للبشرية ما ينفع لنهضتها.

فقد كتب المستشرق «سيديلوت» يقول: **«كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون، وقد نشروها أينما حلّت أقدامهم، وتسرّبت عنهم إلى أوربا، فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها»**[1].

هذا في الوقت الذي قدّم فيه ديننا ذلك الكمّ الهائل من المفكّرين والفلاسفة والأدباء والشعراء والأطباء والكيميائيين والفلكيين والسياسيين والمختصّين بعلم الاجتماع والفن والأخلاق والحيوان والأعشاب والنبات و...

إنّ هذا يدلّ أكثر ممّا يدلّ على أمرين:

الأول: أنّ الأمة الإسلامية أمة حيّة ونشطة وفاعلة.

والثاني: عظمة الإسلام وسموّ تعاليمه. بحيث لم يدع جانباً من جوانب الإنسان

١- تاريخ العرب ١: ٢٨٦.

ومجتمعه وبيئته ومحيطه وعلاقته و... إلّا ووضع له مشروعاً لتنظيمه وتطويره، وليكون بالمستوى الذي يزيد من التجربة ويغنيها.

فمشروع الانسجام والتآلف لم يطرحه الإسلام بعنوان أُطروحة أخلاقية فحسب، بل هو مشروع حضاري يتميز بالشمولية والعموم لأصغر حلقة اجتماعية وهي الأسرة، ثم الأوسع منها، والأوسع... وهكذا.

الانسجام الأسري

الأسرة: هي عشيرة الرجل وأهل بيته[1]، وهي وحدة بناء المجتمع ولبنته، كما هي رابطة اجتماعية تتكوّن من زوج وزوجة وأطفال تحكمهم علاقة، تترتّب في كلّ مفصلٍ منها حقوق وواجبات على كلّ طرفٍ في هذه العلاقة الاجتماعية.

وغالباً ما تواجه الأسرة بعض الخلافات بين الزوجين تؤدّي إلى خلق أجواء من التوتر والتشنج تهدّد استقرار الأسرة وتماسكها، وقد تؤدّي إلى انفصام العلاقة الزوجية وتفكّك الأسرة، وهذا بحدّ ذاته عامل قلق لجميع أفراد الأسرة بما فيهم الأبناء؛ لأنّ الخلافات الدائمة والنزاعات التي تحدث بين الزوجين غالباً ما تؤدّي إلى عدم الاستقرار والخوف من المستقبل، وما يصاحب ذلك من تأثيرات سلبية على التفكير والسلوك الأسري، فتكثر التعقيدات والاضطرابات النفسية عادةً في أوساط المنحدرين من أسر مفككة بسبب كثرة الخلافات والتشنّجات الحاصلة، فتنعدم فيهم الثقة بالنفس وبالمجتمع.

هذه الخلافات والنزاعات التي تكون في بعض الأحيان تافهة وغير موضوعية قد تؤدي إلى حدوث الفراق والابتعاد بين الزوجين، وبالتالي سوف ترفد هذه الأسرة المضطربة المجتمع ببعض الأفراد المضطربين.

---

١ - لسان العرب ٤: ٢٠، مادة «أسر»

والتقارير الصادرة عن المؤسسات الاجتماعية والثقافية وحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة تستبطن حقيقةً، وهي أنّ الأسر المسلمة هي الأقلّ تعرّضاً للاضطراب الأسري، والتعقيدات التي تواجهها أغلبها اقتصادية، فبمجرد ما تسنح الفرصة لربّ الأسرة بالرفاه المادي حتى تستقرّ الأوضاع، بينما الأسر الغربية تعاني الأمرّين من الأمراض النفسية والعصبية.

والسبب يعود في ذلك إلى أنّ الأسرة المسلمة منظّمة وموظفة بمسؤوليات، إذ كلّ فرد يحرص على بقاء الأسرة تمارس نشاطها الحيوي والطبيعي في هذه الحياة بمسؤولية وإدراك، وذلك عن طريق «الانسجام الأُسري»

فالرجل الذي يمثّل ربّ الأسرة يحاول أن يتجاوز ويتسامح في بعض القرارات حفظاً على كيان الأسرة، ومخافةً من الله سبحانه، وفي مقابل ذلك تعمل الزوجة على خلق جوٍّ من التحابب والترابط والتواصل والانسجام الذي يبقي تلك الأسرة متماسكة ومستقرّة، وليس هذا إلّا شعوراً منها بواجبها الديني والاجتماعي ولو اقتضى ذلك التضحية ببعض الامتيازات.

والشواهد التي توضّح ذلك، وتشير إلى أنّ الأُسر المسلمة التي استطاعت أنّ تخرج من أزماتها ومآزقها عن طريق تهيئة الأجواء المناسبة لخلق الانسجام الأسري بين أفرادها لاعتبارات دينية وأخلاقية وتربوية، وضمنت بقاءها واستقرارها، ومساهمتها في بناء النسيج الاجتماعي الكبير بحيوية... كثيرة جداً، لا يسع المقام بسردها، وتكفي التقارير الصادرة عن مؤسسات الأمم المتحدة التي تعنى بشؤون الثقافة والاجتماع وحقوق البشر، ومنظمات التعليم والتربية والعفو و... في إثبات الفروق على الصعيد التربوي والأخلاقي والاجتماعي والفضيلة والنجابة و... بين الأُسر المسلمة الملتزمة بتعاليم الإسلام، والمتمسكة بأخلاقها الكريمة، وبين غيرها من الأُسر ذات الثقافات المختلفة! وكم هو البون شاسع بينهما!!

الانسجام الإسلامي والعقدة التكفيرية

لماذا تراجعت فكرة الانسجام بين المسلمين بعد أن كانت تعمّ العالم الإسلامي؟ أهي قصور في الفكر الإسلامي بحيث لا توجد نظريات أو أطروحات تؤسّس وتنظّر للانسجام بين المسلمين؟

أم هناك خلل أو ضعف في التنظيم والتخطيط لقيام هذا الانسجام الروحي والسياسي والاجتماعي والثقافي... بين المسلمين؟

أم هي الردّة، بمعنى الابتعاد عن روح الإسلام، والارتماء في أحضان الأفكار الدخيلة والقاصرة والمحدودة؟

أم هي المؤامرة لتشويه الفكر الإسلامي، وتمزيق المسلمين، وهي حالة التأصيل للفرقة والشتات، وللاحتراب بين المسلمين، حتّى أصبح الاحتراب بين المسلمين ديناً، وصار قتل المؤمن للمؤمن والمسلم للمسلم سبباً لدخول الجنّة؟!

ولهذا يشير سماحة الإمام الخامنئي في خطابه الذي ألقاه بمناسبة مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي عقد في طهران فقال:

> **«تعالوا لنحقّق معاً الوحدة الإسلامية على أرض الواقع، ولنتّفق على ميثاق عمل يرضى به كافّة علماء ومثقفي العالم الإسلامي، وتصادق عليه النخبة السياسية المخلصة؛ وذلك حتّى لا يتجرّأ أحد على تكفير من ينطق بكلمة التوحيد مهما كانت عقيدته ومذهبه، وحتى نصبح إخوة حقيقين»**[1].

والتكفير الذي تمارسه بعض الجماعات وما يترتّب عليه من قتل الأنفس، وانتهاك الحرمات، ليس من الفكر الإسلامي الأصيل بشيء، فالإسلام والمسلمون لم يألفوا هذه

---

١ - في رحاب الولاية: ٢٦.

الحالة وبهذه الحدّة في أيّ مفصلٍ تاريخي، وما حدث من اختلافات في بعض الأحيان فهي اختلافات فكرية وعقيدية وكلامية كانت الحكومات هي الطرف الأول فيها، يقول سماحته في هذا الصدد:

«إنّ ساحة الخلاف بين المذاهب والعقائد الإسلامية، والعقائد الكلامية والفقهية هي ساحة علمية، ولكلّ فرقة أنّ تحتفظ بمذهبها وعقيدتها، فالساحة ساحة بحث فقهي، وميدان بحث كلامي، ومن الممكن ألّا يكون لاختلاف الآراء الفقهية والكلامية أيّ تأثير على واقع الحياة، وعلى صعيد السياسة»[1].

نستنج ممّا ذكر سماحته بأنّ فكرة التكفير والقتل هي فكرة دخيلة، ولا نستبعد أن تكون فكرة استعمارية وصهيونية هدفها شقّ عرى الوحدة وتحطيم الانسجام بين المسلمين.

ثم يضيف سماحته قائلاً:

«فعلى علماء ومفكّري المسلمين أنّ يتكاتفوا على وضع دستور للوحدة الإسلامية، وأن يصدّروا بياناً بهذا الشأن؛ حتّى لا يتجرأ أولئك الجهلاء المتعصّبون المتمون إلى تلك الفرقة الإسلامية، أو ذلك التيار، على تكفير غالبية المسلمين، واتّهامهم بالخروج عن الإسلام بكلّ يُسر وحرية»[2].

وكما يشير إليه سماحته فهؤلاء التكفيريون يتمتّعون بخصلتين أو صفتين ذميمتين: ضرب القيم الإسلامية النبيلة، وتحدي الانسجام بين المسلمين.

فكلّ من يتجرّأ على تكفير أيّ مسلمٍ ينطق الشهادتين: «أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله» فإنّه يجهل أنّه جاهل بأبسط قواعد وتعاليم الإسلام، وأنّه

---

١ - المصدر السابق.

٢ - المصدر نفسه.

سقط ضحية مخطّط صليبي صهيوني مدروس، شوّه كثيراً من أفكاره حتّى فجعه بقتل أخيه المسلم.

وللأسف فقد أسهم بعض المغفّلين في هذا المخطّط الخبيث، ولم يكن ليأخذ أثره في المسلمين لولا وجود عاملين مهمّين ساعدا على ذلك، وهما:

١ - ابتعاد المسلمين عن خطّ الرسالة الأصيل، المتمثّل بالعلماء والفقهاء من أهل الذكر. وراحوا يظنّون أنّ كلّ مسلم يقرأ كتاباً أو كتابين صار «عالماً» و «محيطاً» بتعاليم دينه الحنيف، وصار يعتقد أنّه فقيهاً ومفسّراً لكتاب الله العزيز، ولا داع لسؤال العلماء والمفسرين في المسائل المستحدثة!.

٢ - الاستعمار المقيت بكلّ أجهزته الدعائية وفضائياته الإعلامية التي أدّت إلى وقوع المسلمين في الشبهات والأوهام والشكوك، وفي الخبط الفكري والعقدي، لدرجة أنّهم لم يدركوا ماذا يعني تحصين الإسلام دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بكلمه الشهادة.

إنّ ثقافة تكفير الآخر هي ثقافة دخيلة غير أصيلة، فالروايات المنقولة عن الفريقين تشير إلى حرمة دماء وأموال من يقول: لا إله إلّا الله، إلّا بحقّها، وبألفاظ متقاربة نقلتها الصحاح المعتبرة عند أهل السنّة، إضافة إلى فتاوى الفقهاء من الفريقين بتحريم قتل المسلم إلّا بحقّه، وإذا كانوا يحرّمون اغتياب المسلم، ويشدّدون على تحريم بهتانه وظنّ السوء به، فحرمة قتله والتمثيل به أولى.

وما قتل قابيل لهابيل في تلك الملحمة التاريخية التي يقصّها لنا القرآن الكريم - إلّا درساً يجب الاتّعاض به من قبل هؤلاء التكفيريين، حيث سقط قابيل ضحية نزواته ومصالحه الدنيوية، وارتفع هابيل على سلالم المجد والخلود في جنّات النعيم، فما كان جوابه إلّا أنّ قال: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وفي إشارة لسماحته إلى الثروة الحقيقية للمسلمين، وأنّ ثروتهم الحقيقية هي ليست

---

١ - سورة المائدة، الآية: ٢٨.

البترول، أو الموقع الجغرافي المتميّز والاستراتيجي، أو المواقع الأثرية لأقدم الحضارات في العالم، وإنّما هي شيء آخر أهمّ ممّا تقدّم، قال:

«وإنّما ثروة الأمة الإسلامية هي الدين الإسلامي ومعارفه البيّنة، وتعاليمه القويمة، وقوانينه الشاملة لحياة الإنسان. الإسلام بما يقدّمه من منهج عقلائي عميق بشأن الكون والإنسان، وتوحيد خالص، وتعاليم أخلاقية ومعنوية حكيمة، وقوانين ونظم سياسية واجتماعية مستحكمة وشاملة، وواجبات عبادية جماعية وفردية، يدعو جميع البشر إلى تطهير محتواها الداخلي من القبح والضعف، والدناءة والدنس، وإنارة وجدانها بالإيمان والإخلاص، والتحرّر والحبّ، والأمل والحيوية، كما يدعوها أيضاً إلى تحرير دنياها من الفقر والجهل، والظلم والتمييز، والتخلّف والركود، والتفرعن والتجبّر، والتحقير والحماقة»[1].

فمن أين استخرج هؤلاء التكفيريون قوانين القتل وانتهاك حرمة إخوانهم المسلمين بحجج واهية، لا تجد لها أيّ تفسير سوى الجهل والحماقة والتخلّف الحضاري؟ ألم يعلموا أنّهم أصبحوا بفعلهم هذا أدوات رخيصة لتنفيذ المخطط الصهيوني والأمريكي الرامي إلى تمزيق وحدة المسلمين وانسجامهم؟

يقول سماحة آية الله الشيخ التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في هذا الصدد:

«إنّ هذا المنحى خطر جداً، وإن كان دعاته اليوم كُثّر في عالمنا الإسلامي، متذرّعين بأنّ الإسلام لكل الناس، فلماذا تحصرونه بأيدي عدّة قليلة؟! خالطين بذلك بين هذا وبين كيفية فهم الواقع الإسلامي واستنباطه من النصوص، مثلهم في هذا مثل من يدعو لتسليم الذرة والقنبلة الذرية لكلّ

١- كلمة سماحته لحجّاج بيت الله الحرام عام ١٤١٩هـ.

من يطلبها ليستخدمها كيف يشاء! بحجة أنّها وجدت لصالح الجميع!!...
وإنّنا لننبّه أمثال هؤلاء إلى الآثار الخطيرة التي تنجم عن رأيهم هذا، من: شيوع الفهم القاصر للإسلام، وفقدان العمق والأصالة التي تميّزه عن غيره، وفسح المجال للأهواء أنّ تتلاعب بالمقدرات الإسلامية... هذا بالإضافة إلى أنه يجعل المذاهب بعدد الأفراد، فويل للأمة من مثل هذا اليوم الرهيب! يوم يفتي فيه العسكري، ويدلي فيه هذا الموظف أو ذاك برأيه في الإسلام، وذاك الملك، وهذا الرئيس، وهم لا يملكون مستوى فهمه واستنباطه... إنّنا نؤكد لزوم الحاجة إلى الأخصائيين الإسلاميين ونسمّيهم الفقهاء، ولزوم أنّ يكونوا عدولاً، لا يذعنون لهوى النفس، ولا يركعون أمام ظالم أو طاغوت»[1].

الانسجام والعقدة القومية والوطنية

وفي خطاب لسماحة الإمام الخامنئي يشير فيه إلى إحدى أدوات الأعداء التي مارسها من أجل تمزيق الأمة الإسلامية، وتكريس الاختلاف فيها يقول:

«وهنا لابدّ أنّ نؤكّد - أيها الإخوة - أنّ فكرة القومية التي أشاعوها في عالمنا الإسلامي لم يستهدفوا منها توحيد العرب، أو توحيد الفرس، أو توحيد الترك، كما يبدو من كلمة «القومية»، بل لخلق التناحر والحزازات بين أبناء العالم الإسلامي، وإشاعة الصراع القومي بين أبناء البلد الواحد، ومتى ما اتّجهت القومية اتّجاهاً وحدوياً خلقوا أمامها إقليميات؛ كالبابلية والفرعونية والفينيقية.. وأثاروا في وجهها حساسيات مختلفة، انتهت غالباً

---

١ - من مقال لسماحته بعنوان «أضواء على الوحدة والتقريب في الإسلام...» مطبوع في مقدمة كتاب «الوحدة الإسلامية في الأحاديث المشتركة بين الشيعة والسنّة»: ٢٣- ٢٤.

بصراعٍ دام بين أبناء القومية الواحدة، كما هو المشهود مع شديد الأسف على الساحة العربية»[١].

فالدين الإسلامي بقيمه وتعاليمه وشعاراته السياسية في مجال الحكم والإدارة، والاجتماعية والتربوية والأخلاقية في مجال الأُسرة والمجتمع، وبقيمه السامية التي تصقل الذات وتحيي الضمير، وتجعل الإنسان دائماً موصولاً بالله تبارك وتعالى وبإخوانه المسلمين، فهذا الدين بكلّ ما يملك هذه الجوانب الثرية فيه... هو أوسع أطراً ونظاماً، وأفسح فضاءً من شعارات القومية، وادّعات القطرية الواهية والكاذبة، والخاوية والمفتعلة، التي وجدت أصلاً لخلق الحزازات والتشنّجات بين المسلمين.

ومن المعلوم أنّ الدين الإسلامي بما يحمل من فكر أصيل وحضاري هو القادر الوحيد على استيعاب كلّ التيارات القومية والقطرية والإقليمية، وإلغاء دورها لو أخذ مكانه في المجتمع.

ولعلّ أبرز شاهد على ذلك أنّ الدولة العثمانية المسلمة قد استطاعت أنّ تكسر موجات الغزو الصليبي قرابة أربعة قرون، ولولا سوء السياسة، وضعف الحكّام وقصورهم عن التمسّك بقيم هذا الدين الحنيف، لاستمّر الصمود والتحدّي قروناً وقروناً، بل «ربّما كان للإسلام شأن آخر على مستوى العالم كلّه»[٢]، على حدّ تعبير أحد الكتّاب.

فالقومية فكرة استعمارية وجدت لغرض ضرب الانسجام الإسلامي، وتحطيم كلّ وحدة يطلبها المسلمون، يقول سماحته في هذا الإطار موضحاً:

«فمن يتعمّق في جذور الفكرة القومية في عالمنا الإسلامي، ويواكب

١- من كلمة لسماحته ألقيت في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة، نقلاً عن كتاب المقالات والدراسات: ٧٢- ٧٣.

٢- الرجل الصنم... بقلم ضابط تركي كبير: ٢١. نقلاً عن المدخل إلى القيم الإسلامية،د. جابر قميحة: ٧.

تاريخ تطوّر هذه الفكرة، يفهم بـما لا يقبـل الـشكّ أنّهـا مـؤامرة اسـتعمارية ظهرت لضرب المقاومة الإسلامية أمام الغزو الصليبي الصهيوني، ولازالـت تـؤدّي خـدمتها في تثبيـت مواقـع أقـدام المـستعمرين، ومحاربـة الأُطروحـة الإسلامية الرافضة للوجود الاستعماري»[١].

والقوميون غفلوا عن حقيقةٍ واضحةٍ، وهي أنّ الإسلام دين عالمي صالح لكلّ زمان ومكان، وأنّ كتابه الكريم نزل ﴿**بلسان عربي مبين**﴾[٢]، على نبي عربي، فإذا كانت فلـسفة القومية العربية ترتكز على الاعتزاز بكلّ ما هو عربي لغةً وقيماً وجنساً، فلماذا ينفر هـؤلاء من الإسلام؟!

مع أنّ كلّ ما يعتزّون به كان وما زال في الإسـلام العظـيم، إذ إنّ الوطنيـة والقوميـة بمفهومها الاعتزازي، الذي يعني حبّ الوطن والأرض، والقوم، واللغة، والحرص على صلات القربى والجوار، بعيداً عن التعصّب الأعمى والتـشدّد الـضيّق... هـذا المفهـوم يتّفق مع الإسلام، بل إنّ الإسلام يدعو إليه، ويلزم المسلمين به.

لقد هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة وفي قلبه حسرات لفـراق مكـة موضـع ولادته الشريفة، ومحطّ عشيرته وأحبابه، وكان يناجي مكة التي هي أحبّ بلاد الله تعـالى إليه على حد قوله ﷺ، ويدعو الله سبحانه أنّ يعينه على هول الدنيا وبوائق الـدهر، ومصائب الليالي والأيام، وأن يصبحه في سفره، ويخلفه في أهله[٣].

إنّ الإسلام بما يحمله من ثراء وعطاء، لا يـرفض التمـسّك بالقوميـة؛ لكونهـا نزعـة فطرية تدعو الإنسان إلى الحنين إلى أبناء لغته وقومـه، لكـن بحـدودها الطبيعـة وضـمن الإطار المعقول؛ بعيداً عن التعصّب الأعمى والتشدّد المقيت.

١- كتاب «الرجل الصنم: مصطفى كمال أتاتورك» لضابط تركي كبير، مقتبس من كتـاب المـدخل إلى القـيم الإسلامية، للدكتور جابر قميحة.

٢- سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

٣- أنظر: البداية والنهاية ج ٣: ١٧٨.

يقول سماحته في هذا السياق:

«على شعبنا الحفاظ على يقظته، وعليه أن يواصل جهوده في بناء البلاد، والأهم من ذلك السعي إلى وحدة الكلمة، والانسجام الوطني، وتوحيد الأمة الإسلامية، ولابدّ من الحفاظ على هذه الوحدة بتعقّل وذكاء، وحكمة وتدبير، وتقويتها باستمرار. وأنا شخصياً أولي أهميةً خاصةً لوحدة كلمة شعبنا، وأرى أنّ هذا العام هو عام (الاتحاد الوطني والانسجام الإسلامي) أي على المستوى الداخلي: لابدّ من اتحاد كلمة جميع أبناء الشعب على اختلاف قومياتهم، وتنوّع مذاهبهم وطبقاتهم الوطنية»[1].

فالدعوة إلى القومية والعنصرية بديلاً عن الإسلام لم تصدر من أصحابها عن اقتناع، بل هي نتيجة لمجموعة من النقائص الذاتية التي من أبرزها: العجز والأنانية وحبّ الذات، إضافة إلى سقوطهم وتورّطهم ضمن مخطّطات الاستعمار الذي يهدف إلى توسيع شقّة الخلاف بين المسلمين.

وفي مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي عقد بطهران يشير سماحة الإمام الخامنئي إلى هذه النقطة قائلاً:

«إنّ الأعداء يبذرون بذور الخلاف بين أبناء الأمة الإسلامية، وأنّ السياسيين المزيّفين، والعصبيات العمياء، والعجز عن مشاهدة الآفاق العالية للعالم الإسلامي، والتقوقع في بيئات مضمحلّة... كلّها من الأمور التي تمهّد السبيل أمام تفاقم هذه العصبيات»[2].

وفي المقابل نحن بحاجة إلى إستراتيجية مؤثّرة تتصدّى لهذه العوامل الشيطانية، وتساهم في بثّ الدعوة إلى «الانسجام الإسلامي» شعاراً صادقاً يرفعه المصلحون،

١- من كلمة سماحته بمناسبة بداية العام الهجري الشمسي الإيراني، نقلاً عن كتاب من رحاب الولاية: ٦.

٢- في رحاب الولاية: ٢٥.

وكأطروحة عمل وتطبيق، وليست دعوةً أخلاقيةً وإصلاحيةً فحسب، فثمة أنقاض لابدّ أنّ ترفع وتزال، وهناك رواسب ينبغي أنّ تزاح وتطهّر، كما يجب دقّ أسس وجذور التسامح والتآلف، والتحابب والتعارف بين المسلمين بكلّ مذاهبهم، وأن ترسخ وتضرب في الأعماق، من ثم ترتفع وتشمخ عليها صروح العقيدة وعزّة الإيمان.

نعم، لا يكفي الإصلاح بالترميم والطلاء؛ لأنّ ذلك لوناً من خداع النفس والكذب على الواقع، أريد منهما إخفاء ما في البناء من وهنٍ وعيوب، والحقيقة هي أنّ تبقى على أصالتها، لا تحتاج إلى طلاء ولا إلى ترميم وتعديل، قال تعالى: **﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[1].

إنّ الدعوة إلى الانسجام الإسلامي، والتآلف الصادق، والوحدة بنيّة وعمل وحكمة.. كلّ ذلك يجب أنّ يتمّ عن قناعة لدى النخب التي يقع على عاتقها نقل الصورة إلى الجماهير.

وفي هذا الصدد يقول سماحته:

> **«فوحدة أتباع المذاهب الإسلامية، وتآلف قلوبهم، ونبذ الخلافات الطائفية والقومية... يجب أنّ يشكّل أبرز شعارات هذه النخب، كما أنّ التحرّك العلمي والسياسي، والجهد الثقافي، وتعبئة كلّ الطاقات في هذه الطلائع، لابدّ أنّ يكون من أولويات خطابها المعلن»**[2].

فالدعوة إلى الانسجام الإسلامي والتآلف يجب أن يرافقها تحرّك علمي وسياسي مع بذل جهد على الصعيد الثقافي، من أجل ضمان أثره في شتى الميادين السياسية

١- سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

٢- في رحاب الولاية: ١١١.

والاجتماعية والتربوية والاقتصادية، وإلّا ليس ثمة فائدة من الدعوات الخاوية والشعارات البرّاقة غير المثمرة، حيث تنتهي برحيل مطلقوها أو موتهم.

الانسجام الإسلامي والبراغماتية

إنّ البراغماتية أو المصلحية آفة تهدّد انسجام المسلمين وتآلفهم ووحدتهم، فعندما تتعارض المصالح الشخصية مع القيم الإسلامية الكبرى لدى الفرد البراغماتي فإنّه لا يلبث طويلاً حتّى يقدّم مصالحه الذاتية على مصالح المجتمع الإسلامي الكبير.

وعندها يتحوّل الفرد إلى فرد براغماتي فإنّه يتحوّل إلى وحش كاسر، لا يثير إلّا الكوارث، ولا تكون دعوته لتحقيق الأهداف المتوخاة منها إرساء الوحدة والانسجام، إلّا بالقدر التي تتحقّق معها المصالح الذاتية والشخصية.

وقد أشار سماحته إلى هذا المفهوم(البراغماتية أو المصلحية) عندما استعرض المشكلات التي يواجهها المسلمون، ولخّصها في جانبين: جانب داخلي وآخر خارجي، فقال:

«الأفراد والجماعات البشرية يتعرّضون للكوارث من جانبين: الأول: من داخل أنفسهم، ومنشؤه الضعف البشري، والأهواء الجامحة، والشكوك، وجدب الإيمان، والخصال المخرّبة...»[1].

وكذلك أشار سماحته في فقرة أخرى من خطابه إلى شدّة ضررها على النسيج الاجتماعي الإسلامي، وما تفرزه من فساد وهلاك يصيب المسلمين أفراداً ومؤسسات وقطاعات، بل جميع المفاصل الحيوية في المجتمعات الإسلامية.

لذلك اتّخذ أعداء الإسلام برنامجاً معدّاً بشكل دقيق، يهدف إلى إفساد المجتمع الإسلامي وتحطيم مؤسساته ونسيجه الاجتماعي والاقتصادي.

إنّ المتتبّع لتصريحات المسؤولين الغربيين بعد حادثة ١١ سبتامبر / أيلول يجد الكثير

---

١ - الأبعاد التقريبية في نداء الإمام الخامنئي، بمناسبة موسم الحج: ١٦.

من الأدب «الاستعماري» في اللغة والخطاب المستعملين في كلماتهم وخطبهم، واستعمالهم ألفاظاً من قبيل «الحرية» و«القمع الجنسي» و«الديمقراطية» و «التحضّر» و«كسر الأغلال» و... ما تساهم في تعزيز الصورة التي تجسّد المسلمين على أنّهم أمة شاذّة ومعتوهة!! همّها فرض القيود والأغلال وكبت «الحريات» و... وكلّها محاولات رهيبة تصبّ في أهداف الاستعمار والاستكبار العالمي، والمتمثّل في طمس الحقائق، وتوظيفها في خدمة الصهيونية العالمية.

وهذه المحاولات لا تخفى على اللبيب ما ترمي إليه من ربط الإسلام بالإرهاب.

الإسلام بالعبودية

الإسلام بالعنف

الإسلام بتعدّد الزوجات

الإسلام بالصحراء والجمل و...!!!

الفصل الثالث :

مرجعيات الوحدة والانسجام الإسلامي

«لقد كان المسلمون يشعرون بالخجل في كلّ مكان من هذا العالم، والآن صاروا يفتخرون لانتمائهم للإسلام وللقرآن الذي يدعو إلى التمسّك به وبالوحدة والاتحاد، كما هي السنّة النبوية التي تؤكد الاعتزاز بهذا الدين الحنيف»

الإمام الخامنئي

مرجعيات الوحدة والانسجام الإسلامي

إنّ الدعوة إلى وحدة المسلمين واتّحادهم التي أطلقها سماحة الإمام الخامنئي لأكثر من مناسبة، إنّما هي تأكيد على أهميتها في الظروف الراهنة التي تستدعي تأسيس استراتيجية فعّالة لحماية ديننا وأمتنا من هجمات الأعداء الشرسة.

يقول سماحته في إحدى خطبه وهو يشير إلى دور الوحدة والانسجام بين المسلمين في دفع المخطّطات الرامية إلى قمع الإسلام واستئصال شأفته، والجذور الأولية للوحدة في القرآن والسنّة النبوية الشريفة:

«اليوم يشهد العالم هذه الصحوة الإسلامية، واليوم يوم النهضة والتحدّي الإسلامي لعوامل المخطّط الغربي، الذي يجد فيه المسلمون في جميع أنحاء العالم الإحساس بالعزّة والشموخ. لقد كان المسلمون يشعرون بالخجل في كلّ مكان من هذا العالم، والآن صاروا يفتخرون لانتمائهم

للإسلام وللقرآن الذي يدعو إلى التمسّك به وبالوحدة والاتّحاد، كما هي السنّة النبوية التي تؤكد الاعتزاز بهذا الدين الحنيف، والأمة المجيدة...»[١].

فالوحدة لها جذور عميقة في القرآن والسنّة الشريفة، ولم تكن مجرّد صيحة من رجلٍ مصلحٍ فحسب، أراد منها تحقيق إرادة وآماني الملايين من أتباع هذا الدين القويم، والإشارة إلى ضرورتها وأهمّيتها على صعيد مستقبل الأمة والأجيال المتعاقبة.

ففي خطاب سماحته في مؤتمر الوحدة الإسلاميّة المنعقد في طهران في ٢٥رجب١٤٢٧ قال:

«إنّ هذا الجمع وهذه الجماعة البارزة من أقطار العالم الإسلامي، إذا ما ألقت نظرةً واقعيةً على راهن الأمة الإسلاميّة، وتلمّست ما يعتريها من آلام، وفكّرت في علاجٍ ناجعٍ، فإنّ الأمل سيشرق بمستقبل زاهر لأمتنا الإسلاميّة»[٢].

لنلقي الضوء قليلاً على الأهمية التي يوليها القرآن والسنّة الشريفة للوحدة والاتحاد بين المسلمين، والعوامل التي تساعد على تعزيزها وتكريسها في الواقع الإسلامي، على ضوء القرآن الكريم والسنّة الشريفة للنبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام. وبذلك يمكننا أنّ نقف بوضوح على المشروع الوحدوي الذي يدعو إليه سماحة الإمام الخامنئي في العديد من خطبه وكلماته الموجّهة إلى الشعب الإيراني خاصةً، والعالم الإسلامي عامةً.

الوحدة والانسجام في القرآن الكريم

القرآن الكريم وضع الأسس الرئيسة التي تقوم عليها الوحدة والانسجام الإسلامي «إذ

١- من خطاب لسماحته لجمعٍ من قياديي الحرس الثوري الإسلامي، نقلاً عن كتاب الثقافة والحملة الثقافية المضادّة: ١٢٤.

٢- في رحاب الولاية: ٢٢.

قررّ أنّ يكون محور التجمّع البشري والتآلف الإنساني هـو الاعتـصام بحبـل الله، ونهـى عـن التفـرّق والاختلاف، ودعا أهل الكتاب إلى كلمة سواء مع المسلمين بالاستناد إلى قاعدة الإيمان بالله»[١].

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣].

وبهذه الآيات الكريمة يبدأ سماحة الإمام الخامنئي كلمته في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة الذين عقد في طهران ١٩٨٤، ثم أشار إلى تحديد معالم الوحدة في القرآن فقال سماحته:

«والنظرة القرآنية ترى أنّ الأيدي التي تعمل على تجزئة الحياة الإنسانية، وعلى إقامة السدود والفواصل والحواجز على الساحة البشرية هي أيدٍ شيطانية صدّامة...» ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ...﴾[٤]، فالقرآن يؤكّد أنّ التفرقة كانت دوماً وسيلة بيد الطواغيت والقوى الشيطانية لترسيخ قواعدِ تسلّطها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٥]...»[٦].

١- المقالات والدراسات: ٧٢.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

٣- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٤- سورة الشورى، الآية: ١٤.

٥- سورة القصص، الآية: ٤.

٦- المقالات والدراسات: ٦٩.

إنّ القرآن لا ينظر إلى البشر على أنّهم موجودات مجبرة على اتّباع قالبٍ فكري معيّن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[1].

فالقرآن مع إقراره بهذا الاختلاف ينهي المسلمين عن التنازع الذي يؤدّي إلى تبديد الطاقات وإهدار القوى الذاتية، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2].

إنّ آليات الوحدة والتقارب والانسجام بين المسلمين التي يعرضها القرآن الكريم تتجسّد في عدّة مفاهيم:

١ - **الاعتصام بحبل الله سبحانه**: وهو الخطوة الأولى باتجاه تحقيق حلم وأمل الأمة، لكن على شرط أنّ يكون الاعتصام للكلّ جميعاً.

٢- **الألفة والانسجام**: وهي نتيجة الاعتصام بحبل الله، إذ الاعتصام جميعاً يقرّر الألفة والانسجام بين المسلمين، ويزيد من وتيرة التقارب بينهم.

٣ - **عدم التنازع والفرقة**: وهو الخطوة الثانية بذلك الاتجاه، فلو كان اعتصام صوري وثمة تنازع وفرقة بين الأطراف، فلامناص من القول: إنّ الاعتصام غير مثمر ولا ذو فائدة لواقع الأمة الإسلاميّة، فعدم التنازع والفرقة مكمّل للاعتصام ومصحّح لمسيرته؛ وأمّا سبب التنازع والفرقة فالقرآن يورد بعضه: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾[3].

ووجود الاختلاف شيء صحي في الأمة، لكن بشرط أنّ لا يفضي إلى التنازع والفرقة ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فهو يعني تجميد الطاقات، وهدر القدرات، ثم الضياع كما ضاعت أمم من قبلنا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

١- سورة هود، الآية: ١١٨ - ١١٩.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

٤- سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

الوحدة والانسجام في السنّة الشريفة

الوحدة الإسلاميّة لم تكن يوماً أطروحة أخلاقية تطرح في محيط ما ثم لم تلبث أنّ تختفي باختفاء دعاتها، بل هي مشروع حضاري شامل لكلّ المجالات الأساسية: الثقافية والسياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية، الحاضر منها والمستقبلي، دعت إليه السنّة الشريفة في أكثر من موضع، بل هي مشروع إسلامي عالمي، يعوّل عليه لمواجهة التحديات الحضارية والسياسية والاقتصادية والثقافية الكبيرة التي تواجهها الأمة الإسلاميّة اليوم.

روي عن رسول الله ﷺ قال: **«وأنا آمركم بخمسٍ، الله أمرني بهنّ: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنّه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلّا أن يراجع، ومن ادّعى دعوى الجاهلية فإنّه من جُثى جهنّم»**[1].

وكما أنّها تعدّ مشروعاً إسلامياً يحمل البركة للمسلمين، ويصون حقوقهم المهدورة، ويحمي قيمهم من أيادي التخريب والفساد الحضاري، فهي تمثّل أيضاً مشروعاً إنسانياً، بما تحمل للبشرية من الخير الكثير، لأنّها لا تدعو إلى النزاع مع أحد، ولا تحبّذ التنافس في وجوه الشرّ والضلال وفساد البشرية، فهي بذلك تساهم في تعزيز الأمن العالمي، وتصون حقوق كلّ ملل العالم.

روي عن رسول الله ﷺ قال: **«جاءني جبرائيل فقال لي: يا أحمد! الإسلام عشرة أسهم، وقد خاب من لا سهم له فيها، أولها: شهادة أن لا إله إلّا الله وهي الكلمة، والثانية: الصلاة وهي الطهر... إلى أن قال: والتاسعة: الجماعة وهي الألفة، والعاشرة: الطاعة وهي العصمة»**[2].

ولذا كان الاهتمام بالغاً من قبل القرآن والسنّة النبوية الشريفة، وعلى الامتداد أهل بيت النبوة عليهم السلام، حيث لم يدعوا فرصة إلّا وحضّوا الناس على التمسك بالوحدة.

١- سنن الترمذي ٤: ٢٢٦ ح ٣٠٢٣، بحار الأنوار ٦٦: ٤٠٣ ضمن ح ١٠٥.

٢- بحار الأنوار ٦٥: ٣٨٠ ح ٣٠، كنز العمال ١: ٢٩ ح ٣١.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال في خطبة: **«وألزموا ما عُقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة»**(١).

وعن عبد الرحمان بن الحجاج قال: بعث إليّ أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بوصية أمير المؤمنين عليه السلام وهي: **«بسم الله الرحمن الرحيم... إلى أن قال: ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»**(٢).

ومن هنا فهذا المشروع يحتاج إلى دراسة كثيرة، وتخطيط شامل ولائق بالنسبة إلى المرحلة الراهنة وكذلك للمراحل القادمة، ويجب أنّ يساهم في إنشائه وحمايته ودعمه كلّ المفكّرين والعلماء والمثقفين والنخب السياسية والاجتماعية والدينية الإسلاميّة، لأنّه ليس خطاباً إنشائياً وشعارات برّاقة مرتبط بوقت محدّد ينتهي بانتهائه، بل هو مشروع حضاري متكامل وشامل، لذا فالحاجة ماسّة إلى طرح ثقافة الوحدة والتقريب أولاً، ومن ثم عرض المشروع الحضاري المتكامل الذي همّه تحريك الشارع الإسلامي والجماهير الغفيرة باتجاه تحقيق الأهداف الكبرى.

روي عن الإمام الحسن الزكي عليه السلام أنّه لمّا أراد أن يرحل إلى المدائن قام فخطب الناس، فقال: **«أيّها الناس! إنّكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت. وإنّي - والله - ما أصبحت محتملاً على أحدٍ من هذه الأمة ضغينة في شرقٍ ولا غرب، ولما تكرهون في الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات خير ممّا تحبّون في الفرقة»**(٣).

فثقافة السلام والتوادد والانفتاح على الآخرين يجب أن تنزل عملياً في الشارع والبيت والمدرسة و... أولاً، ثم طرح مشروع أُلفة الجماعة والأمن والاستقرار في المجتمع على الجماهير المسلمة ثانياً.

١- بحار الأنوار ٣٤: ٢٢٦ ح ٤.

٢- الكافي ٧: ٥١ ضمن ح ٧.

٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٦.

اجتماع المسلمين كماً أم كيفاً؟

واجتماع المسلمين يمثّل منزلةً خاصةً في هذا المشروع، كمنزلة التوحيد والإيمان بالله وبرسوله؛ لأنّ القوة الحاصلة بالاجتماع ليست من زاوية «كمية» كما قد تتراءى للناظر والباحث لأول وهلة، على أنّها حالة كمية حاصلة من تجمّع المسلمين تجمّعاً كمياً، بل هي منظورة من زاوية أخرى تتعلّق بالكيفية، لأنّها حاصلة من إمداد الله سبحانه ورعايته لهذا الاجتماع، كما قال رسول الله ﷺ في رواية عنه:

«يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة يركض»[١].

فتجمّع المسلمين يقترن - كما يبدو من الحديث الشريف - دائماً بمعية الله سبحانه، واختلاف الناس وانفراطهم عن الجماعة يقترن دائماً بمعية الشيطان الرجيم، كما روي عنه ﷺ:

«يد الله على الجماعة، فإذا اشتذّ الشاذّ اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة الشاذة من الغنم»[٢].

وقول علي عليه السلام: **«ألزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذّ من الناس للشيطان كما أنّ الشاذ من الغنم للذئب»**[٣].

والاجتماع المراد منه في نظرية أهل بيت النبي الأكرم ﷺ: هو الاجتماع الهادي الرشيد على هدى الكتاب والسنّة المطهّرة، مثل اجتماع المؤمنين للصلاة والجمعة، والدعاء، والتشاور بمصير أمتهم ومجتمعهم، والتزاور، والتعاون على البرّ والخير وذكر الله سبحانه... هذه هي الاجتماعات الراشدة الهادية التي تكون يد الله عليها، وليس

١- مجمع الزوائد ٥: ٢٢١ وقال: رواه الطبراني، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٤٨، ميزان الحكمة ١: ٤٠٦ رقم (٥٢٧).

٢- كنز العمال ٧: ٥٥٨ رقم ٢٠٢٤١، ميزان الحكمة ١: ٤٠٦ ذيل رقم(٥٢٧)

٣- خصائص الوحي المبين لابن البطريق: ١٢، ٥٢، نهج البلاغة: الخطبة(١٢٧).

الاجتماعات الباطلة، كأن يجتمعون على البدع، ومخالفة القرآن والسنّة الشريفة، ولا المراد من الجماعات المجتمعة تلك الجماعات الغوغائية غير الراشدة ولا الهادية التي تميل مع كلّ ريح، ولم يستضيئوا بنور العلم ولا الإيمان.

وبهذا يشير أمير المؤمنين عليه السلام حينما سئل عن معنى الجماعة فقال: «**والجماعة - والله - مجامعة أهل الحقّ وإن قلّوا، والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا**»(١).

وهذا نفس جواب رسول الله صلى الله عليه وآله حينما سئل: ما جماعة أمتك يا رسول الله؟ قال: «**من كان على الحقّ وإن كانوا عشرة**»(٢).

والملفت للنظر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ومنذ قرون كان يشير إلى هذه النظرة الواقعية للاجتماع وأثرها في انتصار الأمة، والفرقة ودورها في اندحار الأمة وتقهقرها، فيقول:

«**فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ! فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقَى قَصَصَ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ.**

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ! تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ، عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ المَعَاشِ،...» إلى آخر الخطبة(٣).

١- بحار الأنوار ٢: ٢٢٦.

٢- المصدر السابق.

٣- نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٢.

الوحدة أمل وأساس ومعيار

الوحدة في الإسلام ليست كلمة عادية يؤتى بها للبيان أو التعبير عن مسألة فقهية أو دينية، بل الوحدة في وجهة نظره تعني أصلاً من الأصول التي يعتمد عليها في تعامله مع الآخرين، بمعنى أنّها تمثّل أساساً ومعياراً عملياً للتعامل مع مواضع الاختلاف الفكرية والتطبيقية على صعيد السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والاجتماع و... غير ذلك.

فإذا ما واجهنا أمراً من المجالات المذكورة، وكان موضع خلاف مع الآخرين، كانت الوحدة أصلاً وأساساً في التعامل مع الآخر. وبذلك فالأصل يثبت منهجية علمية للتعامل واتخاذ المواقف، وليس غوغاء وضجّة لا طائل منها.

والقرآن الكريم يقرّر ذلك في آيات عديدة:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

و﴿وَأَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢].

و﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[٣].

ولا شك أنّ الاختلاف حقيقة واقعة لا يمكن نفيها، ولا يصحّ إنكارها، ولذا وضع

١- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣- ١٠٥.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

الإسلام أصلاً في طريقة التعامل مع الاختلاف، وهو أصل الوحدة، من أجل تثبيت منهجية علمية في طريق التعامل مع الأشياء والحوادث الواقعة، وعلى الامتداد أسس وقواعد تنظيم فقهية لتكريس التعايش الفقهي والاجتماعي والتربوي بين المسلمين، ولاشك أنّ التعايش الفقهي أحد الضرورات للحياة الاجتماعية المرفهة.

ومن هذه القواعد على سبيل المثال لا الحصر:

١ - قاعدة الإلزام والالتزام

٢ - قاعدة الحصانة والحرمة حيث تمنح الإنسان المسلم(على إطلاقه) حصانة وحرمة عظيمة، بل أعظم حرمة من حرمة الكعبة، كما في رواية ابن عمر: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول:

«ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمةً منك»[1].

وعلى الامتداد كان استقبال ولده الباقر عليه السلام الكعبة وقوله لها[2].

بل إنّ حرمة المسلم أعظم من كلّ الحرم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«وفضّل حرمة المسلم على الحُرم كلها»**[3].

أخلاقيات الوحدة على ضوء السنّة

لم يطرح الإسلام الوحدة في أدبياته وتعاليمه كشعار استهلاكي أو أمنية عابرة، بل طرحها كمشروع عمل وفقه حياة وأخلاق أيضاً، فللوحدة أخلاقية كما أنّ للفرقة أخلاقية ولكنّها معاكسة.

١- سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٧ ح ٣٩٣٢.

٢- بحار الأنوار ٧١: ٢٣٣.

٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ٢٨٨.

فمن أخلاقية الوحدة: المداراة، والمسامحة، واللا عصبية، بينما أخلاقية الفرقة والاختلاف: الحسد، اللجاج، المشاكسة، العناد... وهذه الأخلاق يرويها لنا دعا الإمام زين العابدين:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الغَضَبِ وَغَلَبَةِ الحَسَدِ وضَعْفِ الصَّبْرِ وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ وَشَكَاسَةِ الخُلُقِ، وَإلحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَمَلَكَةِ الحَمِيَّةِ، وَمُتَابَعَةِ الهَوَى، وَمُخَالَفَةِ الهُدَى، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ، وَإِيْثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الحَقِّ وَالإِصْرَارِ عَلَى المَأْثَمِ، وَاسْتِصْغَارِ المَعْصِيَةِ، وَاسْتِكْثَارِ الطَّاعَةِ، وَمُبَاهَاةِ الْمُكْثِرِينَ، وَالإزْرَاءِ بِالْمُقِلِّينَ، وَسُوءِ الْوِلاَيَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا، وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا، أَوْ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِماً، أَوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفاً، أَوْ نَرُومَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ نُعْجَبَ، أَوْ نَقُولَ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ عِلْم وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشِّ أَحَد، وَأَنْ نُعْجَبَ بِأَعْمَالِنَا، وَنَمُدَّ فِي آمَالِنَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيرَةِ، وَاحْتِقَارِ الصَّغِيرَةِ، وَأَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ، أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ، أَوْ يَتَهَضَّمَنَا، السُّلْطَانُ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الإِسْرَافِ، وَمِنْ فِقْدَانِ الْكَفَافِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَى الأكْفَاءِ وَمِنْ مَعِيشَة فِي شِدَّة وَمَيْتَة عَلَى غَيْرِ عُدَّة. وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الحَسْرَةِ الْعُظْمى، وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى، وَأَشْقَى الشَّقَاءِ وَسُوءِ المآبِ، وَحِرْمَانِ الثَّوَابِ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

ومن أخلاق الوحدة: الألفة والرفق وحسن الخلطة، ومن أخلاق الفرقة: البطش والعسف والجور، كما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في سياق مقارنته ما بين إمارة بني أمية وإمامة أهل البيت عليهم السلام حيث يقول:

«إنّ إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وإنّ إمامتنا بالرفق والتآلف والوقار، والتقية وحسن الخلطة، والورع والاجتهاد»[2].

١- الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٧ رقم(٨)(دعاؤه عليه السلام في الاستعاذة).

٢- بحار الأنوار ٦٦: ١٧٠.

فالأخلاق الوحدوية تحضّر الأجواء للتعايش والتآلف والتفاهم بين المسلمين، وتثير فيهم نزعة الوحدة والانبعاث نحو الاتّحاد والتعاون، وعدم التهاون في شيء هو ضدّه وعكسه. وبذلك يمكن تحقيق الغاية الكبرى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

الوحدة والانسجام عند أهل البيت عليهم السلام

تمثّلت فكرة الوحدة والانسجام لدى أهل البيت عليهم السلام من خلال المفاهيم والتعاليم التي أثرناها عنهم، من قبيل الأمور الآتية:

١- التواصل والتعايش

ولم يكن اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالتعايش وتعزيزه في الأوساط الجماهيرية بأقلّ من اهتمامهم بتربية وتعليم هذه الجماهير الغفيرة، فلا يرضون بالتفرقة والاختلاف، ولا يقبلون بالتقاطع مع الآخرين لاعتبارات واهية، فقد كانوا هم أنفسهم يعيشون مع الناس بكل مشاربهم واتجاهاتهم، يجتمع إليهم المسلمون من كافة الأطراف، ويحضرون مجالسهم ويأخذون عنهم العلم والحديث..وهذه الظاهرة لم تكن بخافية على أحد، حتّى باعتراف أئمة المذاهب أنفسهم، وهي سيرة إنّ دلّت على شيء فإنّها تدلّ على حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الايجابي السليم مع كل الأطراف ولو المخالفة فقهياً ومذهبياً وسياسياً.

وفي الأحاديث الواردة على أهل البيت عليهم السلام دعوة واضحة وصريحة إلى هذا الانفتاح مع المسلمين، والتعايش السلمي والتواصل الخلقي الكريم معهم:

عن زيد الشحّام قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام «**وأوصيكم بتقوى الله عزّ وجّل، والورع و... صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا**

---

١ - سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

جعفري، فيسرّني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل: هذا أدب جعفر»[١].

وعن معاوية بن وهب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال: «تؤدّون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم...»[٢].

وعن مرازم عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لابد لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس، والناس لابد لبعضهم من بعض»[٣].

٢- لزوم محبة المسلم لأخيه المسلم وحرمة هجره

ثمة روايات عديدة تشير إلى لزوم محبة المسلم لأخيه المسلم وحرمة هجره، لدرجة أنّ تثير فينا العجب من هذا التأكيد الوارد عن النبي وأهل بيته عليهم السلام.

فعن الإمام علي عليه السلام قال: «القريب من قرّبته المودّة وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته البغضاء وإن قرب نسبه، وشيء أقرب من يد إلى جسد، وإنّ اليد إذا غلت قطعت، وإذا قطعت حسمت»[٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودّد إلى الناس»[٥].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان»[٦].

١- وسائل الشيعة ٨: ٣٩٨ أحكام العشرة، ب ١، ح ١.
٢- المصدر السابق: ح ٢.
٣- المصدر نفسه ٣٩٩ ح ٥.
٤- كنز العمال ١٦: ١٢٢ ح ٤٤١٤٣، وفي وسائل الشيعة ٨: ٤٣٣ ح ٤ عن الحسن بن علي عليه السلام.
٥- الجامع الصغير للسيوطي ١: ١٨٦.
٦- الكافي ٢: ١٢٥ ح ٣.

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ من حقّ المسلم الواجب على أخيه إجابة دعوته**»[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يحلّ لمسلم أنّ يهجر أخاه فوق ثلاث**»[٢].

إضافة إلى الروايات والأخبار المستفيضة التي تدعو المسلم أن يجعل نفسه ميزاناً فيما بينه وبين غيره، وأن يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه... والروايات التي تحثّ الناس على التحبّب إلى الناس، وأنّ أفضلهم أشدّهم حبّاً لأخيه...

٣- اللقاء والاجتماع

يعدّ اللقاء والاجتماع من أجل التحاور والتشاور والمناقشة في الأمور العلمية أو الثقافية أو السياسية المصيرية من أبرز السبل الكفيلة التي تصبّ في هدف تحقيق التآلف والانسجام الإسلامي. فقد جعل الله سبحانه في لقاء المؤمنين الرحمة والبركة والخير والفلاح، وجعل في الحوار الأُلفة والتحابب والوداد، بينما جعل الشيطان في التباعد والقطيعة سبباً في النفور والخلاف والتباغض.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة، فإنّ يد الله مع الجماعة**»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ قوماً جلسوا عن حضور الجماعة، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ يشعل النار في دورهم حتّى خرجوا وحضروا الجماعة مع المسلمين**»[٤].

والشرع يحضّ على مثل هذه اللقاءات، ويراها من صلب تشريعه، حيث شرّع الله سبحانه في هذا الدين للمسلمين: الجماعة والجمعة والحجّ، وصلاة العيدين تدخل في

١- المصدر السابق ٦: ٢٧٤ ح ٥.

٢- صحيح مسلم ٨: ٨، وفي الكافي ٢: ٢٤٤ ح ٢ بلفظ: «لا هجرة فوق ثلاث».

٣- كنز العمال ١: ٢٠٥ ح ١٠٢٥.

٤- مستدرك الوسائل ٦: ٤٥٠.

الجمعة، وهي برمّتها تجمّعات إسلامية، الغرض منها جمع وحشد المسلمين من مختلف المذاهب والألوان والاتجاهات والاجتهادات والأذواق الفقهية والكلامية و... على صعيد واحد، وهي فرصة سانحة على المسلمين اغتنامها بالصورة الصحيحة.

ولم يدع أئمة أهل البيت عليهم السلام التأكيد لشيعتهم ومحبّيهم على حضور الجماعات والجمعات لأهل السنّة وإن كانوا مخالفين لهم.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«من صلّى معهم في الصفّ الأول كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله»**[1].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: **«إذا صلّيت معهم غُفر لك بعدد من خالفك»**[2].

بل التأكيد كان جارياً وإن لم يسألهم أحد عن شيء من هذه الأمور، كما في رواية إسحاق بن عمّار حينما بادره الإمام الصادق عليه السلام وسأله: **«يا إسحاق! أتصلّي معهم في المسجد؟» قال: قلت: نعم يا بن رسول الله، قال: «صلّ معهم، فإنّ المصلّي معهم في الصفّ الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله»**[3].

فمن الضروري تعبئة هذه التجمّعات الجماهيرية المسلمة بالحوار الهادف والموجّه بينهم في الشؤون السياسية والثقافية والاقتصادية، وبحبّ بعضهم بعضاً، وبفكرة كسر الحواجز الطائفة والمذهبية، وبالخطاب الوحدوي والتقريبي.

هذا وأنّ مساحات اللقاء والاجتماع لا تقتصر على المساحة العبادية، بل تشمل أيضاً المساحة الثقافية والمعرفية والسياسية والاقتصادية والتربوية والعلمية و...، بل وحتى العملية؛ كأن تكون مشاريع تنموية، ومساهمات جماهيرية، وأعياد وطنية وإسلامية عامة، كالذي يحصل في مصر وبعض البلدان العربية يوم ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، من

١- الكافي ٣: ٣٨٠ ح ٦، مَن لا يحضره الفقيه ١: ٣٨٢ ح ١١٢٥.
٢- مَن لا يحضره الفقيه ١: ٥٦٧ ح ١٥٦٨.
٣- تهذيب الأحكام ٣: ٢٧٧ ح ٨٠٩.

نشر الدفوف، وفرش السجاد في الطرقات، وتوزيع الحلويات على المارة، كائناً من كان، وتقبيل بعضهم بعضاً، مهنّئاً له بهذا اليوم الميمون.

والسؤال هنا: هل ثمة شروط ليكون اللقاء والاجتماع ناجحاً؟ نعم، ثمة شروط عديدة، من أهمّها:

١- تقديم المصلحة الإسلاميّة على سائر المصالح.

٢- حسن الظنّ بالآخر.

٣- الاعتدال في اللقاء.

٤- أنّ يكون مثمراً وإيجابياً.

الوحدة والانسجام عند علمائنا وفقهائنا

وعلماؤنا وفقهاؤنا من المتقدمين والمتأخرين، والمعاصرين أيضاً، لم يألوا جهداً في تكريس أو تعزيز الوحدة والانسجام بين الطوائف والمذاهب الإسلامية، ولم يدعوا فرصةً تسنّى لهم إلّا وقاموا بتقديم ما يلزم من النصيحة والرشاد، والدعوة إلى التمسّك بالوحدة والتعاون على البرّ والإحسان؛ اقتداءً بنبيّنا الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ، كما أنّهم من خلال الترافد والتلاقح الفكري والعلمي فيما بينهم وبين علماء وفقهاء المذاهب الأخرى، قد خدموا مسيرة الوحدة والعلم والمعرفة بأفضل السبل.

إنّ للترافد الثقافي والفكري بين النخب أثراً بالغاً في تعزيز التكامل العلمي والثقافي في المراكز العلمية الإسلاميّة، إذ لا ريب أنّ الجهود العلمية والثقافية المختلفة عندما تلتقي مع بعض، وفي جوّ موضوعي وعلمي محض، غير متشنج ولا ملتهب، يكون هذا اللقاء سبباً للإثراء والتكامل العلمي والفكري لكلّ الروافد المشاركة في مثل هكذا لقاء من جهة، ومن جهة أخرى يؤدي هذا الترافد إلى التقارب والتعارف من كثب بين المذاهب والاتجاهات الإسلاميّة المختلفة، والإحاطة بشكل علمي وواقعي بآراء وأقوال

«الآخر» من دون واسطة، وهو ما يمنح الفرص الكثيرة لتصحيح النظرة تجاه «الآخر».

ومن هنا قيل: إنّ الترافد الثقافي والفكري من نتائج التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ومن عوامله أيضاً.

كما أنّ ظاهرة الترافد تساعد على مكافحة عوامل الفتن الداخلية، وتصحيح النظرة الخاطئة التي كانت متصوّرة عن الآخرين، بل هي تعين على فتح الدوائر المغلقة وغير المترابطة، وتمنع أيضاً من ضمور العلم والمعرفة بين الناس.

إذن فظاهرة الترافد الفكري والثقافي، بل والحضاري، هي ظاهرة مباركة في حياة هذه الأمة المجيدة، تضخّ فيها النشاط والحياة، والتجديد والتطوير.

وقد أدرك علماؤنا وفقهاؤنا المتقدّمون بركة هذه الظاهرة، ودورها في التنمية والتطوير العلمي، حيث كان علماء المسلمين وطلبة العلوم الإسلاميّة يتوافدون على مدارس فقهية من مذاهب مختلفة، ولم يجدوا حرجاً في أنّ يتبادلوا الإجازات في رواية الحديث وإن كان الآخر على غير مذهبه وذوقه الفقهي.

فكان طلبة العلم من العراق - ومعظمهم من الشيعة - يفدون إلى الحجاز ومصر والشام، بل والى شمال أفريقيا ومعظمهم من السنّة، كما كان يفد إلى العراق(مدرسة الحلّة) طلبة من الحجاز ومصر والشام والمغرب العربي للدراسة وطلب العلم. إضافة إلى أنّه كان لعلماء المسلمين زيارات مختلفة للأقاليم الإسلاميّة.

فمن جملة فقهائنا الكبار: الشيخ المفيد قُدِّسَ سِرُّه كان يحضر عند عددٍ من كبار علماء وفقهاء ومتكلّمي أهل السنّة، منهم: أبو ياسر مولى أبي الخُنيس، وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما، كما أنّ السيد علم الهدى قُدِّسَ سِرُّه يحضر على عدد غفير من علماء وفقهاء أهل السنّة، وبنفس الوقت كان يحضر عنده عدد من علماء أهل السنّة[١].

---

١ - أنظر: مواقف الشيعة للميانجي ١ : ٢٣، ٤٣، ٤٤ وغيرها.

ومن يقرأ تاريخ الفقه والأصول وتطورهما، يجد أنّ هنالك تعاطياً واسعاً بين علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلماء المسلمين من سائر المدارس. وهذا التعاطي والتداول العلمي، والترافد الثقافي والفكري: دراسةً وتدريساً، وبحثاً وروايةً، عُدّ من أهم الآليات العلمية التي ساهمت في تحقيق الوحدة والتوادد بين المسلمين، ودفع خطوة أضافية إلى الأمام باتجاه الانسجام الإسلامي.

والى هذا يشير سماحة الإمام الخامنئي في حديث له فيقول:

> **«إنّ كتبنا الفقهية كانت منذ ما قبل الشهيد الأول مليئة بآراء أهل السنّة أيضاً، أنظروا كتب «المبسوط» و «تذكرة الفقهاء» و «منتهى المطلب» وكتب العلّامة. وكتاب «الخلاف» أساساً يتمحور حول ذكر آراء أهل السنّة في مقابل آراء الشيعة، وفي «التذكرة» والكتب الأخرى أُدرجت آراء أهل السنّة لا بصفتها آراء مخالفة ومعارضة للشيعة، بل بصيغة: قال الشافعي... كان هذا النهج متّبعاً ومتعارفاً».**

واليوم تحتضن الحوزة العلمية في قم، وهي حوزة علمية ودينية عريقة تابعة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتدار تحت إشراف ومتابعة ورعاية آية الله العظمى الإمام الخامنئي، تحتضن طلبة العلوم من أكثر من مائة دولة في العالم، ومن القارات الخمس المختلفة الطباع والألوان واللغة والقومية، لكن يجمعهم الإسلام وحده، وبعض من هؤلاء الوافدين إلى هذه الحوزة من أهل السنّة، حيث يتلقّون فقه الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية... ولا يجدون حرجاً أبداً في الدراسة في حوزة شيعية، كما لا تجد الحوزة حرجاً في أن تحتضن طلبةً من المدارس الفقهية الأخرى، وتجري دراسة فقه المذاهب الإسلاميّة الأربعة الأخرى في أروقتها كما تجري دراسة الفقه الإمامي.

آليات تحقيق الوحدة عند العلماء

ذكرنا أنّ الوحدة ليست مجرد شعار وخطاب يلقى على الجماهير في مرحلة معينة ثم يطرح جانباً في أخرى، بل هي مشروع عمل فقهي وسياسي واجتماعي، فهي مشروع

واسع وكبير، وتحتاج إلى تظافر العقول والجهود من أجل تحقيقها بالكامل. ومن هنا كان من الضروري توفير آليات علمية وعملية تساعد على تحقيق هذا المشروع في ظل أجواء مطلوبة.

ويمكن تلخيص الكلام حولها في نقطتين:

١ - **تسليط الأضواء على المساحات العلمية والثقافية المشتركة بين المسلمين كمذاهب** وفرقاء واتجاهات، سواء في الأصول أم في الفروع، في مصادر التشريع أم في المصادر العامة، وهي مساحات واسعة في مجال العقائد والفقه، وعلوم القرآن والحديث، والرجال والتراجم، والسيرة والفلسفة والفرقان و...

فإنّ الدراسات والبحوث والموسوعات التي تسلّط الأضواء على هذه المساحات الشاسعة تعدّ من عوامل التفاهم والتقارب والانفتاح على الآخر، إذ تمنح الفرص الجزيلة لكلّ الأطراف في مطالعة آراء الآخرين، وبذلك يتسنى لها الوقت الكافي للوقوف على آراء وأقوال الآخرين، والإحاطة بما كان خافياً من قبل ولوقت طويل.

ويذكر أنّ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة قد بذل جهداً كبيراً في سبيل المساهمة في تحقيق الكثير على صعيد الدراسات المشتركة، والتحقيقات العلمية المقارنة، والتي تبرز هذه المساحات المشتركة منها:

أ) سلسلة الأحاديث المشتركة بين الفريقين: السنّة والشيعة.

ب) سلسلة فضائل أهل البيت عند أهل السنّة.

جـ) الفقه المقارن.

د) الأصول المقارن.

هـ) التفسير المقارن.

و) الرجال والرواة المشتركون.

إضافة إلى عشرات الكتب والمؤلّفات التي تصبّ في هذا الهدف، وغير ذلك من الجهود المباركة في هذا السياق.

٢- التعاطي العلمي والثقافي المباشر بينهم، والتلاقح المعرفي بين المذاهب الإسلاميّة المختلفة، كما كان علماؤنا المتقدّمون يصنعون من دون خشية أحد أو تردّد من شيء.

ألم يحضر أبو حنيفة النعمان(٨٠ - ١٥٠هـ) عند مجلس الإمام الصادق عليه السلام سنتين، حتّى اشتهر عنه قوله: «لولا السنتان لهلك النعمان»؟[١].

ألم يداوم مالك بن أنس(٩٣ - ١٧٩هـ) الحضور لمجلس الإمام الصادق عليه السلام بالمدينة، وكان الإمام يوليه اهتماماً خاصاً؟

وليس هذان العالمان فحسب، بل يروي ابن عقدة أنّه كان يروي عن الإمام الصادق عليه السلام أربعة آلاف شيخ، كلّهم يقول: حدثني الصادق...[٢].

وفي كتاب المراجعات يذكر السيد شرف الدين العاملي أسماء مائة من الرواة الشيعة وثّقه أهل السنّة، وأوردته الصحاح في أسانيدها[٣].

وليس هذا فحسب، فإنّ الشيخ الطوسي يذكر في رجاله ٣٢٢٣ رجلاً من رجال ورواة أهل السنّة على أنّهم من أصحاب الأئمة عليهم السلام[٤].

بل إنّ من فقهاء الشيعة الكبار: الشيخ المفيد، كان يحضر درس عدّة من كبار علماء وفقهاء أهل السنّة[٥].

فمن يطالع تاريخ الفقه والأصول وتطوّرهما يذهله هذا التعاطي الواسع بين علماء المدرستين، وهذا التداول العلمي والتلاقح الثقافي بين علماء وحواريي أهل البيت عليهم السلام وعلماء سائر مدارس شرق الأرض وغربها.

١- التحفة الاثنى عشرية للآلوسي: ٨.

٢- رجال النجاشي: ٣١ عن الوشاء وقال: إنّي أدركت في هذا المسجد «مسجد الكوفة» ٩٠٠ شيخ كلّ يقول: حدثني جعفر بن محمد...

٣- المراجعات: ١٠٥- ١٨٠.

٤- أنظر بحث آية الله الآصفي، التحديات المعاصرة:

٥- المصدر السابق.

٣- الدعوة إلى الطاعة لله وللرسول ﷺ.

فقد جعل الله سبحانه «الطاعة» الآلية والوسيلة الملائمة لتحقيق الهدف الأسمى وهو وحدة الأمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...﴾[1]، فالطاعة تؤدّي إلى حصول الوحدة وعدم التنازع، وبالعكس الانفلات والتمرّد وعدم الطاعة يؤدّي إلى التنازع الذي هو بدوره يؤدّي إلى تشتّت الكلمة والأمة، ومنه تعرف المواقف الفاشلة، ذلك أنّ الفشل لم يأت اعتباطاً، وإنّما يأتي إثر تشتّت الكلمة والموقف، والفشل يعني العجز والتقهقر والانحدار إلى الهاوية، بدلاً من الصعود إلى القمة.

فظاهر الآية الكريمة: أنّ الطاعة هي الأداة لحفظ وحدة الأمة، بوحدة الصفّ والموقف والكلمة.

وإلى هذا يشير سماحة الإمام الخامنئي في إحدى خطبه:

«الإسلام دين التوحيد، وهو يعني ترك الإنسان كلّ عبودية وطاعة وتسليم لأحد أو لشيء إلّا لله وحده، ويعني كسر كلّ القيود التي تفرضها الأنظمة البشرية والتحرّر منها،... يعني الاستظلال بظلّ الإيمان به وحده، والالتفاف حول ما أمر به ونهى عنه، يعني أن تكون طاعته المحور الذي تلتفّ حوله البشرية وتتّحد».

٤- نشر الوعي بين الجماهير

لاشك أنّ من أبرز مسؤوليات النخبة العالمة والفقيهة في خضمّ الصراع والمواجهة، هو نشر الوعي بين الجماهير، إذ لو حلّ الوعي في الشارع الذي تتحرك فيه الجماهير، وتسلّحت بالوعي اللازم، فقد سندت النخبة بقوة، وأصبحت لها ظهيراً في الصراع الدائر مع أعداء الأمة والإسلام، ولم تعد الحيل واللعب السياسية بقادرة على تضليل الناس، وتدفعهم إلى متاهات الفتن والاقتتال.

١- سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

والوعي عندما ينزل إلى الشارع وتتثقف الجماهير الغفيرة به، فإنّه يحصّنها من كلّ ما يراد بها من سوء وضرر، فالجماهير التي تمتلك نسبةً عاليةً من الوعي بما يجري من حولها من أحداث ومؤامرات وحيل مضلّلة، تمتلك درجةً عاليةً من الحصانة التي تحول دون وقوعها في الفتن والمطبّات القاتلة.

والنخب الحقيقية هم الذين يدركون هذا الأمر جيداً، ويحاولون قيادة الجماهير على أساس ربّاني سليم، من خلال ضخّها بتعاليم الإسلام وتغذيتها الغذاء السالم: أوامر الإسلام ونواهيه، وتحذّرها من مغبّة الوقوع في الفتن والضلالة؛ لأنّ الثقة بالجماهير وكفاءاتها وإمكانياتها الهائلة هي رأس مال النخبة، وفي القرآن إشارات إلى ذلك: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾[1].

الوعي والخطاب

ربّما الاختلاف جرى في لغة الخطاب، لكن من المؤكّد أنّ الاتفاق جارٍ في أنّ لابدّ للوعي من خطاب، إذ كما للتضليل خطاب، ولإثارة النزاعات والفتنة خطاب، ولحرف الناس عن صراطهم الذي أمر به الشرع خطاب، كذلك للوعي خطاب يوجّه إلى الناس.

واللغة المحبَّذة والمطلوبة للخطاب هي لغة العقل، بل هي اللغة المفضّلة على هذا الصعيد. صحيح أنّ العاطفة جزء ضروري من خطاب الجماهير، لكن من غير الصحيح الاقتصار عليها في هذا المضمار، ولابدّ من ترجيح للغة العقل واستخدامها في سبيل ذلك، جنباً إلى جنب لغة العاطفة، على أنّ تكون ساندة للعقل ليخرج خطاباً صالحاً وراشداً، وقادراً على توجيه الجماهير إلى الوجهة الصحيحة، ومتمكّناً من التصدّي للسيل الجارف من الأباطيل والمزيّفات.

١- سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

إنّ مشكلة الخطاب الإسلامي المعاصر لدى أصحاب التوجّهات السياسية، ولدى النخب، هي الحالة العاطفية الطاغية على خطاباتها، والحالة الشعارية، والابتعاد عن لغة العقل.

ولعلّ سرّ ترجيحهم هذه اللغة هي ما يلمسون من سرعة في استجابة الجماهير لهم، قد يفتقدونها لو استخدموا اللغة الأخرى: لغة العقل.

ومع ذلك يبقى استخدام لغة العاطفة والشعار محضاً وحصراً نوعاً من الخيانة للجماهير، ولاسيّما على هذا الصعيد الذي يتطلّب - أكثر ما يتطلّب - لغة العقل في مجال كشف الحقائق، وإماطة اللثام عن الزيف الذي يُطّن وغُلّف بالأغلفة الملوّنة والجميلة!

على أنّ الجماهير المثقفة بالخطاب العقلائي أكثر صلابةً ووعياً وثباتاً في المواقف والمبادرات من تلك التي تلقّت الخطاب العاطفي في مضيّها، إذ تكون عادةً جماهير متقلّبة في الرأي، متغيّرة في الموقف.

ولعلّ هذا ما دعا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى تعميق الوعي باستخدام لغة العقل والعلم والتنوّر بالمعرفة للجماهير الغفيرة التي خلّت الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأطفاله وأصحابه مع ابن زياد الدعي ابن الدعي بجيشه الجرّار، فذُبحوا وهُرسوا تحت سنابك الخيل، وقُطعت رؤوسهم (وهم أهل بيت النبوة) وحُملت على الرماح، وطيفت بها البلاد!! ولم تحرّك هذه الجماهير ساكناً، ولم تتمكّن حتّى من الاعتراض!! ولمّا خطبت بهم السيدة العلوية زينب الكبرى، راحت الجماهير تسكب الدموع وتنوح وتلطم!!

فوجد أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد حادثة كربلاء أنّه من الضروري تغيير الخطاب من لغته العاطفية إلى لغة العقل والعلم، من خلال تأسيس المدارس، وبثّ العلوم الدينية والتطبيقية، وحثّ الناس على التفقّه، وخوض الحياة بقوةٍ وعلى أساس العقل والعلم والإيمان، وتفسير الحوادث على أساس عقلائي، وشرح المظلومية على أساس متين، لتبقى الأجيال على علاقة وارتباط صميمي وعميق بينها وبين أهل البيت عليهم السلام، لا يمكن أنّ تنساهم أبداً.

وأمير المؤمنين علي عليه السلام كان على علم وإحاطة بشرائط الخطاب ولغته، لكن الفرصة لم تكن تسنح له بالعمل على هذا المنهج، فحروب واعتداءات ومعارضة مسلحة هنا وهناك كان يثيرها أهل الشغب والباطل،لم تدعه يكمل المسيرة التي أرادها، وكذلك الحال بعد شهادته وتصدّر الإمام الحسن عليه السلام الإمامة والزعامة، حتّى زمان الإمامين الهمامين الباقر والصادق عليهما السلام حيث واتتهما الفرصة فتحرّكا وفق منهج جدّهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي كان يجد من الضروري كون الخطاب عقلانياً وصادقاً، وشجاعاً وصريحاً.

وهذا بالضبط ما نجده في كلّ خطابات قائد الأمة الإمام الخامنئي، فهو لا يثير العاطفة بقدر ما يحرّض العقل على التفكير والتنبّه والتأمل والالتفاف إلى الأوضاع والحوادث الواقعة، بل تراه دائماً يشير إلى ضرورة التعقّل في التفكير والممارسة، في الإنشاء والعمل، ومتابعة الأحداث والبحث عن عللها الحقيقية، لا العلل الظاهرة المزيّفة.

يقول سماحته في هذا الصدد ضمن خطاب وجّهه إلى الجماهير الحاشدة:

«إنّي أدعوكم يا أعزّائي، ولا سيما الشباب، أن تتقيّدوا بالمسائل الدينية وتمتثلوا للواجبات الشرعية، وارفقوا إيمانكم بالعمل الصالح، وأن تتصدّوا للفساد الأخلاقي والانحراف العقدي. قوّوا أبدانكم وأذهانكم وروحكم وأيمانكم أكثر فأكثر، وعوا ما يحصل من حولكم من أحداث، ودعوا عقولكم وتعقّلكم يفسّر ما يريده منكم أعداؤكم والمتربّصون بكم»[1].

ضرورة الوعي ضرورة مرحلية

إنّ مكافحة العوامل المانعة من تحقيق الوحدة والتقارب بين المسلمين ليس بالأمر الهيّن، إذ يجب أن نخوض المعركة بأسلحة(فتاكة) تزيح هذه العوامل عن الطريق، وتزيل سائر الموانع الصغيرة والكبيرة عن سبيل تحقيق هذا الهدف الأسمى في حياة الأمة.

١- من خطاب لسماحته لحشدٍ من الجماهير أثناء زيارته لمدينة (چهار محل)، نقلاً عن كتاب الثقافة والحملة الثقافية المضادة: ٢١٤.

فالمساعي التقريبية وتكريس أسس التفاهم والتضامن والتعاون بين المسلمين من ثوابتنا السياسية والحضارية الإسلامية ولاشك، وأنّها تدخل في تكوين الأمة الواحدة الصامدة القوية ولا ريب، لكن من دون العمل على إزاحة الموانع لا تتحقّق هذه الأهداف، بل يتوقّف عليها انتصارنا في المعترك السياسي والثقافي والحضاري، والعسكري أيضاً.

إذ غير خفي أنّ التقاطع والانفلاق والجهل والتعصّب وسوء الفهم والشكّ بالآخر... وسائر عوامل الاختلاف كلّها تؤدي بالضرورة إلى الضمور الثقافي والعلمي، وبالتالي التخلّف عن ركاب المدنية الحديثة، والتأخّر عن مواكبة التطوّر الحاصل في أركان الحياة الراهنة. وبعكس ذلك التواصل واللقاء والحوار البنّاء و... يؤدّي كلّه إلى التلاقح والإفادة المشتركة، ثم التكامل العلمي والثقافي في كلّ جوانب حياتنا كمسلمين ومتحضّرين.

ولعلّ السلاح الأكثر فتكاً وفعاليةً وأثراً في مكافحة هذه العوامل السلبية هو «الوعي» بكلّ الأشياء والظروف والحوادث المحيطة. فإذا انعدم الوعي في الأمة ضلّت وتخبطّت، ولم يزل التخبطّ بها حتّى يؤدّي بها المطاف إلى الفشل أو السخرية! فنشر الوعي السياسي والثقافي والعلمي والأخلاقي، وبكلمة أخرى: الوعي الديني والحضاري ضروري جداً في هذه المرحلة، لما يمثّله من سلاح فاتك ضد كلّ العوامل المانعة من تحقيق متطلّبات وحاجات الأمة الإسلامية.

فلابدّ - إذاً - من السعي إلى نشر الوعي الحضاري بكلّ أشكاله في أوساط الجماهير المسلمة، وهي:

١ - **وعي الأمة الواحدة:** وهو كون هذا الأمة أمة واحدة، لا أمماً شتى، كما يشير اليه القرآن بصراحة:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[١].

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٢].

لكن النقطة المهمة التي ينبغي الإشارة إليها هنا هي أنّ وحدة الأمة لا تعني التطابق الكامل في الرأي والاجتهاد، بل معنى ذلك التفاهم والاتفاق على الأصول، والتعاون والتلاقي في المواقف السياسية، وتوحيد الولاء والطاعة في القضايا المصيرية ولو كان ثمة اختلاف في الاجتهاد والرأي.

٢- وعي وحدة الموقف في الصراع الحضاري: إنّ الصراع الذي تخوضه الأمة ضد حضارة العسكر والاستكبار الغربي صراع شرس، والخصوم في هذا الصراع يتمتّعون بالتقدّم التكنولوجي وبالوعي السياسي ووحدة الهدف ولو تعدّدت توجّهاتهم، فليس من الصدفة أن يتعاون اليهود مع مسيحيي أمريكا والاتحاد الأوربي على معاداة الإسلام، وتنفيذ الأعمال العدوانية تجاه المسلمين، أو يتعاون الغرب المسيحي مع الشرق الشيوعي على ضرب كلّ تحرك واعٍ للمسلمين، وتحطيم كلّ جذوة إسلامية في البلاد العربية والإسلامية!

يقول سماحته في خطاب موجّه:

«إنّ قوى الاستكبار العالمي: الشرقي والغربي، قد علمت أنّها لو سمحت لهذا الفكر الجديد(الإسلام) وهذا النظام الجديد، وهذه الحضارة الجديدة، أن تصعد على مسرح الأحداث العالمية، فإنّما يعني أنّ عليها أن تلملم أغراضها وترحل! وعندها يرحل معها كلّ أذنابها من العملاء والحكّام الديكتاتوريين والمحتلّين والانتهازيين، ولن يبقى لهم مكان يختبئون فيه»[٣].

١- سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

٣- من خطاب سماحته لحشود من الناس عند زيارته لحرم الإمام الرضا عليه السلام بمشهد، نقلاً عن كتاب الثقافة والحملة الثقافية المضادة: ٢٠٢.

فاليوم يواجه الإسلام صراعاً حضارياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، ومن أشرس ما يكون من الصراع، والانتصار لهم يعني الكثير، فهو يعني التخلّص من منافس آخر شرس، ليخلو لهم الجو في التحكّم برقاب الشعوب والأمم المستضعفة، وكذلك الخسارة بالنسبة إلينا تعني الكثير، لأنّنا سوف نعود مرة أخرى إلى دورة جديدة من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية للغرب.

هذا، والغرب يعي جيداً أنّ المسلمين لو اتّحدت كلمتهم، واتّحد موقفهم في هذا الصراع الحضاري، فهو يعني الفشل بالنسبة له، والخسارة في معركته الصعبة. ومن هنا كان لزاماً على علماء الأمة ومفكّريها أن ينشروا هذا الوعي في صفوف الجماهير المسلمة، ويحضّوهم على العمل من أجل كسب المعركة، ومن كافة المواقع.

ومن خطبة لجمعٍ من العلماء وطلبة العلوم الدينية يشير سماحة الإمام الخامنئي إلى دور العلماء في تعميق الإيمان والفضائل الحميدة في نفوس الناس، وما يمكن أن يساهموا في نشر الوعي والمعرفة بين الناس، يقول:

«إنّ للعلماء دوراً كبيراً في الحفاظ على معارف الدين والفقه الإسلامي، وصيانة الأحكام الإلهية عن التحريف، وجعل شعلة الإيمان متّقدة دائماً في قلوب الناس، ويساهموا في تعزيز اهتمام الناس بالقرآن وتعاليم أهل البيت عليهم السلام. وكانت مسؤولية مقارعة الطغاة والظلمة تقع دائماً على عاتق العلماء»[١].

وضمن خطاب آخر يشير سماحته إلى هذا المطلب فيقول:

«إنّ المسؤولية الأساسية للعلماء هي هداية الناس إلى الأهداف التي رسمها القرآن الكريم والأنبياء على طول تاريخ النبوة، وكانت وسيلتهم في هذا الأمر

---

١ – نقلاً عن كتاب الثقافة والحملة الثقافية المضادة: ٢٨٥.

هو الإنذار ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾[١]، ﴿أن انذر قومك﴾[٢]، ﴿وانذرهم يوم الحسرة﴾[٣]...»[٤].

وأمّا وعي وحدة الموقف فيتمّ من خلال التأكيد على النقاط التالية:

أ) **مكافحة حالة الهزيمة النفسية:** فمن الخطأ تهويل العدو وتحدّياته، لأنّ ذلك يورث الشعور بالهزيمة النفسية تجاهه، وبالتالي الإحساس بالهزيمة والفشل قبل أن تختتم المعركة.

وكذلك من الخطأ الاستهانة بالعدوّ والغفلة عنه، فهو يترقّب مواضع الغفلة، من أجل أن يوقع بجسد الأمة في لحظة الغفلة الضربة المهلكة.

لذا ينبغي مقاومة الشعور بالخوف، وضّخ النفوس بمشاعر القوة والصلابة، وهذا لا يكون ضخاً فرادى بل بتوجيه الأمة كلّها، وتعزيز وعيها بوحدة الموقف والصفّ لمواجهة الأعداء.

ب) **الإعداد التربوي للجيل الناشئ والصاعد:** فمن الضروري أن يمتلك الشباب مزايا وكفاءات عالية: علمية ونفسانية لمواجهة التحديات والصمود والمقاومة، وهذا لا يحدث إلّا بعد إعداد منهج تربوي يلبّي الحاجات الأساسية على هذا الصعيد.

ج) **إشاعة ثقافة الجهاد والمقاومة:** إنّ ثقافة المقاومة والجهاد جزء لا يتجزّأ من ثقافة الإسلام، صحيح إنّنا فقدنا هذه الثقافة في زمن الهزيمة النفسية، لكن هذا لا يعني أنّها مفقودة أو منفية من هذا الدين. والإسلام دين رحمة وتسامح ومداراة، لا شكّ فيه،

---

١ - سورة الفرقان، الآية: ١.

٢- سورة نوح، الآية: ١.

٣- سورة مريم، الآية: ٣٩.

٤ - المصدر السابق: ٢٨٤.

والآيات والأحاديث الكثيرة التي تؤكّد ذلك، ولكن ذلك لا يدعونا إلى إلغاء الجانب الآخر عنه وهو استعمال الغلظة والقوة مع الظالمين والمعتدين والمفسدين. واليوم حيث المواجهة والتحدّي بحاجة إلى التأكيد على هذا الجانب، وضرورة إشاعة ثقافة المقاومة والجهاد بين الأوساط الشبابية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ...﴾[١].

﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

والنقطة الجديرة بالذكر هنا هي ضرورة تحديد المفاهيم التي تتناول مصطلحات على هذا الصعيد، من قبيل: الإيمان، الكفر، الشرك، الارتداد، إهدار الدم،... وأمثال ذلك، إذ التناول غير العلمي للمفاهيم الفقهية والكلامية الإسلامية يؤدي إلى كثير من اللبس والانحراف والضلالة.

وفي عالمنا الإسلامي اليوم ثمة من وقع في مثل هذا اللبس وكفّر المسلمين على أسس واهية ومنحرفة، والعراق خير دليل ومثال على ذلك. فالحالة التكفيرية والإرهابية المعاصرة قد وقعت أيضاً في مثل هذا الخبط العلمي، وهي أيضاً نتيجة عدم تناول هذه المواضيع الحساسة بصورة علمية، ولم يستشار فيها أهل الاختصاص الفقهي من المسلمين.

هذا وأنّ المقاومة لا نريد منها العسكرية والمسلّحة فحسب، فثمة مقاومة سياسية وإعلامية، وأخرى اقتصادية أيضاً، كأن يمتنع المسلمون عن استخدام البضائع الغربية،

١- سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

٢- سورة التوبة، الآية: ٤١.

أو عن تصدير النفط إلى الكيانات العدائية للإسلام وللمسلمين، وعدم الاعتناء بالحصار الاقتصادي الذين يفرضه الاستكبار الأميركي والأوربي على بعض الدول الإسلامية، لا لشيء إلّا لعدم إطاعتها لأوامره، أو رفضها الانصياع لإرادته.

كما أنّ هناك مقاومة ثقافية وأخلاقية وتربوية أيضاً.

فالمقاومة أمر أساسي في حياة المسلمين السياسية والاقتصادية والثقافية المعاصرة، أمّا نوعها فتقرّره الظروف والمصلحة والمرحلة الراهنة.

الفصل الرابع:

الوحدة والانسجام الإسلامي بين الرؤى السياسية والفلسفية

«يؤكّد إمامنا الراحل في وصيّته الإلهية على جملةٍ في غايـة الأهميـة لا يجـب أن ننـساها أبـداً، وهـي: أنّ العوامل التي ساعدت الثورة على الاستمرار، يعني: الاتّكال على الله سبحانه، وإيمان الشعب بالإسلام، والعـزم علـى إنجاز المـسؤولية الإلهيـة والإسلامية، ووحدة الكلمة»

الإمام الخامنئي

الوحدة والانسجام الإسلامي بين الرؤى السياسية والفلسفية

إنّ الوحدة الإسلامية التي يراها سماحته متعدّدة الزوايا والأبعاد، بسبب تعـدّد جوانبهـا، والنظرة الثاقبة له إنّما هي على أساس تعدّد الرؤى، من سياسية وفكرية وفلسفية.

فمن كلام لسماحته يعرض فيه جوانب الوحدة والانسجام الإسلامي فيقول:

«نحن حين نتحدّث عن الوحـدة لا نقـصد البحـث في مـسألة سياسـية صرفة، بل نستهدف دراسة واحد من أهم أركان الفكر الإسلامي والفلـسفة الإسلامية»[1].

فالوحدة الإسلامية كما يراها سماحته مفهوم ذو جانبين: جانب سياسي وآخر فكـري فلسفي.

---

١ – المقالات والدراسات: ٧٠.

١- الجانب السياسي

إنّ المراقب للأحداث التاريخية خلال القرن العشرين يلاحظ أنّ المسلمين قد تعرّضوا إلى التقسيم، وهذا التقسيم الذي تعرّض له المسلمون لم يكن عفوياً، ولا جغرافياً أو قومياً، بل كان تقسيماً سياسياً الهدف منه إطفاء شعلة الإسلام، بالإضافة إلى أهداف اقتصادية وتجارية.

وقد تعرّض المسلمون إلى جملة من الضغوط للقبول بالأمر الواقع، وقد حيكت المؤامرات التي يندى لها جنبين الإنسانية، حيث تعرّض المسلمون لأبشع أنواع القتل والابتزاز، وقد تمكّن المحتلّون - آنذاك - من إحكام سيطرتهم على المسلمين بعد أنّ كرّسوا عوامل التمزّق والتشرذم والاقتتال بين المسلمين.

والسياسة التي اتّبعتها الدول المستكبرة تجاه الدول الإسلامية كانت تروم إلى تكريس التضعيف في الموقف السياسي لهذه الدول.

لذا كان لابدّ من إيجاد سلاح استراتيجي سياسي ينهض بهذا الواقع الخطير الذي تمرّ به الأمة، ليرجع بالبلاد إلى ما كانت عليه قبل التقسيم.

وليس ثمة سلاح أقوى وأجدر من الوحدة والانسجام الإسلامي في هذه الظروف الصعبة، ينضوي تحت لوائها جميع المسلمين، لهذا وغيره وصف الإمام الخامنئي قائد الثورة الإسلامية الوحدة الإسلامية بالحركة السياسية التي لابد لها أنّ تعبّئ جهودها وطاقاتها المادّية والمعنوية والإعلامية للمطالبة بالحقوق المهدورة، فقال:

«الوحدة الإسلامية واجب ديني، إضافة إلى أنّها حركة سياسية».

فالوحدة والانسجام الإسلامي ليست نزعة ولا أطروحة أخلاقية، وإنّما هي حركة تحمل مشروعاً سياسياً متكاملاً.

٢- الجانب الفكري والفلسفي

يراد بالفكر الإسلامي هو مجموع والآراء والنظريات التي أنتجتها المدرسة الإسلامية

من المصادر التشريعية للإسلام طيلة القرون الماضية وحتى وقتنا الحاضر، في مختلف فروع المعرفة البشرية؛ كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والفلسفة و...، على أساس معطيات الكتاب المجيد والسنّة المطهّرة.

وفي الجزيرة العربية حيث كانت تقطنها القبائل العربية، وقبل هبوط الوحي على الرسول الكريم محمد ﷺ، لم يكن لدى الناس من معارف وعلوم وفكر غير حشدٍ من المعتقدات الخرافية والأباطيل الكاذبة، حتّى جاء الإسلام بنوره الذي انتشر في جميع أطراف الجزيرة، وصار الناس يحملون علماً ومعرفةً عن الكون والأخلاق والعلاقات مع الآخرين، بفضل ما جاء به الإسلام من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه الكريم ﷺ حيث يشكّلان المعين الفكري الذي لا ينضب، وهما الأساس والأصل الذي استنبط منه الفكر الإسلامي وفلسفته موضوعاته.

وقد كان للفكر الإسلامي دور كبير في تقدّم وتطور البشرية، ودفع العلوم الإنسانية والتطبيقية خطوات إلى الأمام حتّى أصبحت مدينة في تقدّمها ومدنيتها للإسلام ورسالته، عن طريق ما حمله المستشرقون من مفاهيم ومبادئ ونظريات أولية كان لها الأثر البالغ في ما وصلت إليه الحضارة الغربية الآن.

ومن اهتمامات الفكر الإسلامي: الجانب السياسي الذي رافق نشأة الدولة والحكومة الإسلامية في المدينة المنورة، وراح يطرح من المبادئ والقيم ما تتعلّق بمجتمع المسلمين، والتفافهم حول النبي محمد ﷺ.

ولعلّ من أبرزها: طرحه لمشروع الوحدة والانسجام المتكامل بين المسلمين.

ولكي نستل هذه المبادئ التي تدعو إلى الوحدة والانسجام بين المسلمين، لابدّ من معرفة المصادر التي يأخذ منها الفكر الإسلامي مادته.

مرجعيات الفكر الإسلامي والوحدة الإسلامية

١- القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم مصدر الفكر الإسلامي الأول، ومنبع المعرفة والتشريع والحضارة، وعلى أساسه يبني المسلمون أفكارهم ومعارفهم وثقافتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية و...

لقد كان نزول الوحي في أرض الجزيرة العربية على الرسول الكريم محمد ﷺ بداية التغيير والانقلاب الفكري والحضاري والعقدي والسياسي والاجتماعي الشامل. فبعد أن كانت الجزيرة العربية ممزّقة إلى عدّة مراكز قوى متناحرة، سواء كانت مراكز سياسية أو مراكز اقتصادية، فدعا القرآن الكريم إلى عدم التنازع والتناحر، وشدّد في نصوصه على تعزيز وحدة الأمة الإسلامية وانسجام أطرافها وأبنائها بعضهم مع بعض.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[١].

وقال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٢].

وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٣].

وبهذه الآيات الشريفة يكون القرآن الكريم قد وضع الأسس والكلّيات العامة للوحدة بين المسلمين، والانسجام بينهم، محرّرة من قيود الزمان والمكان، وأرسى قواعدها الفكرية.

إنّ القرآن الكريم إذ يحبّذ الوحدة والانسجام الإسلامي يضع خطّةً شاملةً كبرى

١- سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

لتحقيقها، ولو أنّه لم يدخل في التفاصيل في توضيح هذه الخطّة إلّا أنّه أشار إلى بعض المبادئ المهمة، نذكرها هنا لإتمام الفائدة[١].

١/١- بيان محور الوحدة

الملاحظ أنّ القرآن الكريم يبيّن المحور الأساس الواضح للوحدة،والملاك القويم الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يبعّض ولا يمزّق على أيّ حال، وفي أيّ مجال متصوّر.

إنّه بتعبير القرآن: «حبل الله» والوسيلة لتحقيق مرضاته، إنّه الإسلام نفسه: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

٢/١- التذكير بآثار الوحدة

وذلك لإبقاء الإحساس بضرورتها حيّاً دائماً في النفوس، دافعاً إلى تجاوز الخلافات الوقتية: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٣].

٣/١- التأكيد على وحدة الأصل والمسير والهدف

والقرآن يؤكّد على أنّ الأصل واحد: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٤]، ويؤكد على أنّ المسير أيضاً واحد: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾[٥].

١- قد اعتمدنا في هذا البحث على مقال قيّم بعنوان أضواء على الوحدة والتقريب في الإسلام: الأسس والقيم والواقع المطلوب، لآية الله الشيخ محمد علي التسخيري، طبعت كمقدمة لكتاب: الوحدة الإسلامية في الأحاديث المشتركة، للسيد شهاب الدين الحسيني: ١٢.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

٤- سورة النساء، الآية: ١.

٥- سورة الشورى، الآية: ١٣.

كما يؤكد على أنّ الهدف واحد: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢].

٤/١- غرس الأخلاق والتضحية بمصالح الذات في النفوس

إذ إنّ من شروط الوحدة والمسير المشترك نسيان الكثير من المصالح الذاتية،والعمل لصالح المجموع الواحد، والإسلام إذ يشكّل المبدأ الوحيد الذي يحلّ المشكلة الاجتماعية(مشكلة التعارض بين الذاتيات ومصالح المجموع)، فإنّه يضع أساس الوحدة والانسجام بين مكونات المجتمع الإسلامي.

ومن ضمن خطة الإسلام غرس الروح الأخلاقية في النفس، مثل روح الإيثار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣].

وروح العمل في سبيل الله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا﴾[٤].

ومن الواضح أنّ هذه الروح إذ تسري في الأفراد تذهب بكثير من عناصر التمزّق والتفرّق والشقاق.

٥/١- تصوير الهدفية السامية والوظائف الكبرى

ومن أساليب القرآن الكريم أنّه يصوّر للأمة أهدافها السامية، ويمنحها وظائف حضارية كبرى، من مثل قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٦].

١- سورة الذاريات، الآية:٥٦.

٢- سورة البقرة، الآية: ٢٠٨.

٣- سورة الحشر، الآية: ٩.

٤- سورة الإنسان، الآية: ٩.

٥- سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٦- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

ومن الواضح أنّه كلّما تجلّت الأهداف السامية في خلد الأمة، اندفعت بشكل طبيعي إلى الوحدة والتآلف والعمل المجموعي؛ لأنّ الأهداف الكبرى لا يمكن أنّ تتحقّق إلّا من خلال ذلك.

وعلى هذا النسق بيّن القرآن وحدة المصير، إذ يقول: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١].

٦/١- حذف مقاييس التفاضل المزّقة

أشرنا من قبل إلى أُسس مطروحة للوحدة بديلة عن الوحدة الإسلامية، كأن تكون قومية أو طائفية أو...، وأنّها أسس باطلة وغير قويمة، وانّ الإسلام إذ رفضها أُسساً للوحدة، رفضها أيضاً أُسساً للتفاضل الاجتماعي، وأعطى مقياساً إنسانياً شاملاً، يضمن الجوّ الصالح لقيام الوحدة المطلوبة ودوامها.

وملاك التفاضل الذي يصوّره القرآن هو الأمور التالية:

أولاً: التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢].

ثانياً: العلم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

ثالثاً: الجهاد والعمل: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾[٤].

ومن الواضح أنّ هذا الملاك إذا طبّقه المجتمع صار في تماسك وتآلف وانسجام كبير.

٧/١- الدفع نحو التأكيد على نقاط الالتقاء

وهو منهج قرآني أصيل، لا بين المسلمين أنفسهم فحسب، بل حتّى مع معتنقي

١- سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

٢- سورة الحجرات: ١٣.

٣- سورة الزمر، الآية: ٩.

٤- سورة النساء، الآية: ٩٥.

الأديان السماوية الأخرى، وهم أهل الكتاب. إنّها خطوة عملية في مواجهة الإلحاد: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

وعمل كهذا لابدّ أنّ يهيّئ أرضية صالحة للتفاهم والوصول إلى الحقيقة، إنّ هذا المنهج يجب أنّ يدفعنا نحن المسلمين للتأكيد على نقاط الالتقاء بيننا، وسنجد أنّها أكثر مما نتصوّر، بل إنّها تشمل كلّ المجالات تقريباً.

والغريب أنّ البعض منا مستعدّ لأن يتعايش مع شيوعي ملحد، ويناقشه بهدوء وروية، في حين أنّه غير مستعدّ للنظر إلى مسلم مثله يختلف معه في بعض النظرات الجزئية! أليس هذا يثير العجب والحزن؟!

٨/١- التربية على أسلوب المحاورة البنّاءة

إنّ القرآن يطرح أُسلوباً موضوعياً رائعاً للمحاورة مع أعدائه، فضلاً عمّا يطرحه بين أتباعه. فهاهو يعلّم الرسول الأكرم أنّ يقول للكافرين رغم إيمانه الشديد بما يعتقد: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2].

إنّها الموضوعية الكاملة في النقاش، وإنّه الأسلوب الأمثل للوصول إلى نتيجة صحيحة، أمّا السبّ والشتم والطرد... وأمثال ذلك، فهي أمور لا تفيد في النتيجة، ولا تؤثّر فيها، وربما أثّرت العكس كما هو واضح.

إنّ الاختلاف في وجهات النظر أو في الرؤى والتوجّهات السياسية والاجتماعية والتربوية والمذهبية و... لا يعدّ ظاهرة مرضية وإن كانت ذريعة يتوسّل بها بعض القادة والملوك لإثارة الحروب والنزاعات، ولتحقيق مآربهم التوسعية، بل الاختلاف في حدّ

١- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٢- سورة سبأ، الآية: ٢٤.

ذاته لا يؤدّي إلى الحرب مباشرة، وإنّما هو نزعة إنسانية نحو التنوّع، ورغبة في توسّع نطاق المعرفة والرؤى نحو مختلف القضايا، إذ لولا الاختلاف في وجهات النظر لما وقفنا على حقائق الأمور، ولما استطعنا أن نعالج القضايا الاقتصادية والاجتماعية والتربوية و... بل إنّ الاختلاف نفسه يعدّ دعوةً للحوار والنقاش، إذ لو كنّا على اتّفاق دائماً ما حصل حوار ولا نقاش ولا جلسات ولا طاولة بحث وتداول!

كتب أحد الباحثين يقول في هذا الصدد: «**إنّ الحوار فرصة تمنح لأصحابها لإبداء آرائهم ورؤاهم والاستدلال عليها، فكلّ يطرح ما عنده من الأفكار والرؤى التي تشكّل البنى لديانته أو مذهبه أو ثقافته، فهو ميدان للعرض لا ينحصر بزمان أو مكان ولا بفكر دون آخر، ولا بديانة دون أخرى، بل يسعها جميعاً، ويمنحها فرصة للعيش والتنافس**»[١].

٢- السنّة النبوية المطهّرة

وهي المصدر الثاني من مصادر الفكر الإسلامي بعد القرآن الكريم، لذا فهي المصدر والمنبع الآخر للوحدة والانسجام الإسلامي، وقد ورد فيها تحديد دقيق للمباني العامة للتمسّك بها، ونبذ كلّ أشكال الفرقة، وذكر لعناصر قيمومة الوحدة والتآلف بين المسلمين، وتشخيص للأمراض والأسباب التي تحول دون ذلك بين المسلمين، وتصوّر الصورة الحقيقية للوحدة، وترسم العلاقة الحميمة بين المسلمين، كما تعرض لنا آثارهما في الحياة الدنيا والآخرة.

٢/ ا- في وجوب التمسّك بالوحدة ولزوم الجماعة

قال رسول الله ﷺ «**ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم**»[٢].

١- حوار الحقيقة في ضوء رؤية التوحّد الديني الثقافي، تحسين البدري: ٣٤.

٢- سنن ابن ماجة ٢: ١٠١٦ ح ٣٠٥٦.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله عزّ وجلّ أمر أُمتي على ضلالة أبداً، اتّبعوا السواد الأعظم... من شذّ شذّ في النار»[١].

٢/ ٢- في النهي عن الفرقة والاختلاف

عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٣]، قال: نهاهم عن الاختلاف والتفرقة[٤].

وعن رسول الله ﷺ من خطبة له قال: «أُوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه: من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه...» إلى أنّ قال: «إنّ الاختلاف والتنازع والتثبّط من أمر العجز والضعف وهو ممّا لا يحبّه الله، ولا يعطي عليه النصر والظفر»[٥].

٢/ ٣- عناصر هدم الوحدة بين المسلمين

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم»[٦].

وعن حمران بن أعين،عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: سمعته يقول في حديث: «... والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر، وأُضيفوا إلى الإيمان»[٧].

١- ميزان الحكمة: ١: ٤٠٦.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

٣- سورة الشورى، الآية: ١٣.

٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ١٩١.

٥- بحار الأنوار ٢٠: ١٢٦ ضمن ح ٥٠.

٦- سنن النسائي ٨: ١٠٥.

٧- الكافي ٢: ٦ ح ١٢.

فالسنّة النبوية المطهّرة هي المحطة الثانية - بعد القرآن الكريم - التي يجب التوقّف عندها للاطلاع من كثب على الأحاديث الشريفة التي تدعو إلى الوحدة ونبذ الفرقة، بعد أنّ شخصت الأسباب التي تعطّل الوحدة، وتمنع التلاحم والانسجام بين المسلمين، وقد عدّ البعض هذه الأسباب كانت وراء ما نشاهده اليوم من تفرّق المسلمين قد رويت هذه الأحاديث(الأسباب) النبوية الشريفة عن طريق كلا المدرستين[1]، نذكر منها:

أ) النميمة، وشحن القلوب بالحقد والكراهية

عن عبد الرحمان بن غنم عن النبي ﷺ قال: **«خيار أُمتي الذين إذا رؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبّة»**[2].

ب) تتبّع عورات الآخرين

عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذمّوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنّه من تتبّع عوراتهم تتبّع الله عورته»**[3].

ج) التعصّب الأعمى

عن رسول الله ﷺ قال: **«من تعصّب أو تعصّب له، فقد خلع ربق الإيمان من عنقه»**[4].

وعن علي عليه السلام قال: **«فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية، فإنّه ملاقح الشنآن، ومنافخ الشيطان التي خدع بها الأمم الماضية والقرون الخالية»**[5].

---

١ - انظر: الوحدة الإسلامية في الأحاديث المشتركة بين السنّة والشيعية، السيد شهاب الدين الحسيني: ١٠١.

٢ - مسند أحمد ٤: ٢٢٧.

٣- الكافي ٢: ٢٥٤ ح ٢.

٤ - المصدر السابق: ٣٠٧ ح ١ و ٢.

٥- نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

د) المراء والخصومة

عن علي عليه السلام قال: «إياكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليها النفاق»[١].

هـ) خبث السريرة وسوء الضمائر

عن علي عليه السلام قال: «إنّما أنتم إخوان على دين الله، ما فرّق بينكم إلّا خبث السرائر وسوء الضمائر»[٢].

٣- العقل

وهو المصدر الثالث من مصادر المعرفة والفكر الإسلامي، بما حوى من آفاق وأبعاد واسعة، وعطاء ثري وبنّاء. فالعقل هو الأداة الفعّالة التي استخدمها العلماء والمفكّرون في اكتشاف العلوم والمعارف والأفكار والمفاهيم الحضارية المختلفة، وبناء صرح الحضارة لبنة لبنة.

وما الدعوة إلى الوحدة والتآلف والانسجام الإسلامي إلّا نتاج ممارسة العقل دوره في تشخيص مكامن القوة عند المسلمين، واكتشاف أهم الأخطار التي تهدّد المسلمين جميعاً وإن كان الأمر يبدو في أول وهلة وكأنّ الخطر لا يهدّد جميع المسلمين وإنّما يهدّد طائفةً واحدة.

إنّ من بديهات العقل المقرّرة: أنّ المسلمين أمة واحدة؛ لأنّه أمر معلوم من الدين بالضرورة، لا يماري فيه مؤمن، ولا ينبغي أن يجادل فيه مسلم، ولكنّنا نجد أنفسنا في هذه الأيام بحاجة إلى أن نبيّنها، وندافع عنها، وندعو لها، بل ونتقي بعض الناس لأجلها. فالعقل يحكم بأنّه لا عزّة للإسلام ولا لجماعة المسلمين إلّا بالوحدة والتآلف والتلاحم بينهم، ولا قوة للمسلمين إلّا بوجودها.

١- وسائل الشيعة ١٢: ٢٣٦ ح ١.

٢- ميزان الحكمة ١: ٧٦٦.

خاصة إذا علمنا بأن الفكر الغربي المعاصر يعتبر الوحدة بين المسلمين سلاح فتّاك يضرّ بمصالحه في الشرق والشرق الأوسط، ويقضّ مضجعه، لذا يجب القضاء عليه ومهما كلّف الثمن.

٤- الإجماع

وهو المصدر الرابع من مصادر الفكر الإسلامي، والإجماع بالرغم من ضيق مساحته في مجال الفكر،ولكنّه قد يثري ويغني في بعض المسائل العقدية والفقهية، وفيما يتعلّق بالوحدة بين المسلمين نستطيع أنّ نقول بأنّ المتأخرّين والمعاصرين من المسلمين قد أجمعوا على ضرورة الوحدة والانسجام بين المسلمين في دفع الأخطار المحدقة بهم.

وقد يعنون بالعقل المستريح الإجماع بكلّ أدواته وممارسته الفكرية، إذ لا يتعب العقل نفسه إذا ألقى بنظرة إلى الماضي بعض الحاضر ليحرز إجماعاً في قضيةٍ ما تغنيه عن البحث والتقصّي الدقيقين، لكن هذا الكلام غير دقيق، لسببٍ واضح وهو أنّ مسألة الإجماع من المسائل التي تمتلك الزمان كلّه، بلا فرق بين الماضي والحاضر وربما المستقبل، والتشريع الصادر من هذه الآلية يتحرك في نطاق واسع.

فلو حصل الإجماع على أنّ للعدل أو الصدق قيمة ثابتة على مرّ العصور، فهذا معناه أنّ الماضي والحاضر بكلّ أطرافه وأشكاله ووسعته يؤكّد عليه، وكذلك لا يأباه المستقبل بأن يضمّه إلى مفرداته.

وكذلك أنّ متغيّرات الحياة التي تفرض نفسها على الواقع تجعل الباحث مستنفراً في مواجهة المستقبل أثناء حديثه عن المفاهيم الحاضرة، يتعاطى معه كتعاطيه مع الماضي والحاضر.

وبذلك نكتشف أنّ الإجماع وتحصيله لا يمكن أنّ يحرز بسهولة من دون بحث وتقصّي ومتابعة مستمرة على طول الأزمان الثلاثة، حتّى يقف على الإجماع المزعوم ويحرزه فيثبته بصورة قطعية، وإلّا لم يكن ثمة إجماع محصّلاً بل هو منقول عن غيره تحمّل مشقّة تحصيله،

وإلّا فهو منقول عن ثالث تحمّل مشقّته... وهكذا حتّى تنتهي السلسلة بشخص كان له الدور المؤثّر في إحرازه وتحصيله.

ومن هنا فليس الإجماع ينضوي تحت مقولة العقل المستريح، ولا نتصور بأنّ إحرازه هو من بدع البعض من ذوي الفكر والثقافة والخلاقية في البحث، لأنّ كلّ من أوتي حظاً من الفكر والعمل، في كلّ مجال من مجالات الحياة، لابدّ وأن يتعاطى في عمله من مكتسبات الماضي وانجازاته، ومعطيات الحاضر ومستجداته، وإشارات المستقبل وأنبائه، والتي لولاها لا يتمّ التوافر على أيّ مكتسبٍ جديد.

والأمر نفسه ينطبق على مسألة الوحدة والتآلف والانسجام، وإحراز الإجماع فيها، فالباحث يتعاطى مع الماضي بما هو تاريخ يختزن الكثير من التجارب والشواهد، وبما هو تراث للمكتسبات والانجازات التي صرّح بها الأئمة المعصومون عليهم السلام ولوّح إليها أصحابهم من فقهاء الأمة، وأشار إليها علماء وفقهاء ومصلحو هذه الأمة الكبيرة على طول التاريخ الطويل، ممّا يعني أنّه ثمة اتفاق بين آراء المتقدمين وآراء ونظريات المتأخّرين والمعاصرين على اختيار الأوفق والأصلح على مستوى الأمة والتحديات المعاصرة.

ومن جانب آخر يبدو من المفيد التأكيد عليه وهو أنّ هذا الاتفاق والتسالم الإسلامي على مسألة الوحدة والانسجام لم ينطلق اعتباطاً أبداً، بل هو انطلاقاً من المصلحة الحقيقية للشعوب والأمم، إذ لامناص من الاعتراف من أنّ التسالم على الشيء يورث الظنّ بجدّيته وهدفيته وفائدته، وإلّا لما صار ثمة تسالم ولا إجماع في البين، فهو أشبه شيء بالتقنين والتشريع عن جهة معصومة عن الخطأ، على مستوى اكتشاف الشعوب والأمم لمصالحها، والتقنين وفقاً لهذه المصالح، ولا نجد أحداً من يقول العكس، ويعتقد أنّ الاختلاف والفرقة ذو منفعة وخير للشعوب والأمم.

الفصل الخامس:

التحدّيات التي تعوق مشروع الوحدة الإسلامية

«لو ألقينا نظرةً فاحصةً على عالمنا المعاصر اليوم، وما تستهدف أمتنا من مخطّطات ونوايا عدوانية، لاتّضح لنا أكثر أهمية هذه المسألة: الوحدة الإسلامية»

الإمام الخامنئي

التحديات التي تعوق مشروع الوحدة الإسلامية

إنّ مسألة التحديات التي تواجه مشروع الوحدة بين المسلمين اليوم هي الشغل الشاغل للمخلصين من أبناء هذه الأمة، الذين يهتمون بعزّة أمتهم وكرامتها، غير أنّ الأماني وحدها لا تكفي للقضاء على مجمل التحدّيات التي تواجه هذا المشروع، فلا بدّ من الدعوة إلى مواجهة هذه التحدّيات والعمل على تشخيصها، ومن ثم تحديد العلاج المناسب لها.

فمن حديث لسماحة الإمام الخامنئي بمناسبة إقامة الملتقى الثاني لتكريم العلّامة ابن ميثم البحراني ١٢٤٧ هـ.ق، بطهران قال في هذا السياق:

«... كما أنّ العلماء والنخب كانوا يسعون من أجل الحؤول دون نشوب صدامات بين ذوي المستويات والكفاءات العلمية الواطئة، رغم ذلك دخل على الخطّ عامل آخر في فترةٍ من الفترات - وما زال - وهو «الاستعمار» لكنّي لا أريد القول: إنّ الاختلاف بين الشيعة والسنّة كان مردّه الاستعمار

دوماً، فأحاسيسهم هم أيضاً كانت السبب لذلك، بالإضافة إلى جهل البعض وتعصّبهم واستنتاجاتهم الخاطئة، ولكن حينما دخل الاستعمار استفاد من هذا السلاح استفادةً قصوى»[1].

فثمة التفافة ذكية ذكرت في هذا النص، وهي أنّ الاستعمار الخارجي لم يؤسّس قواعد التفريق المسلمين، وإنّما وضع بنيانه على أُسس وجدها عند المسلمين أنفسهم، هذه الأسس قد حدّدها سماحته في خطابه بشكل عام على مستويين: شعبي ونخبي.

ومن هذه التحديات التي تعوق مشروع الوحدة الإسلامية:

١- مخططات الاستكبار العالمي

من الخطأ أنّ نغضّ النظر عن دور الاستكبار العالمي ومخططاته المقيتة ضد الإسلام وأهله، مع كلّ هذا التاريخ وشواهده العديدة التي تثبت دوره اللئيم في زرع الفتن بين المسلمين، وتكريس حالة الفرقة والاختلاف بين أبناء المسلمين، فمن الخطأ الفادح أنّ ننظر إلى ما يهتك الوحدة ويعيق تحقّقها نظرة سطحية وبمعزل عن اللعبة السياسية الدولية التي تمارسها الأنظمة والمراكز التابعة للاستكبار الغربي.

والآثار التخريبية الواسعة والأضرار الفادحة التي تعقب كلّ فتنة طائفية، وفرقة واقتتال مذهبي، من سفك دماء وحرائق وتهديم مساجد وبيوت واختطاف واغتيال و... لا يمكن أنّ تغيب عن عيون هذه المراكز والمؤسسات التي يديرها الاستكبار الغربي بعناوين مختلفة.

والنماذج غزيرة على هذا المستوى من التناول، في العراق أو باكستان أو أفغانستان أو الجزائر أو لبنان أو فلسطين أو السودان أو...، فما من انتصار يتحقّق للمسلمين في أيّة تبعة، ويتذوق المسلم طعم الحرية أو النصر حتّى تتحرك جحافل الظلام التابعة

١- في رحاب الولاية: ٣.

للاستكبار العالمي بغية قمع هذا الانتصار، والحيلولة دون ظهور آثاره على سائر البقع الإسلامية؛ لأنّه يدرك جيداً أنّ هذه الحوادث إذا ما وقعت فسوف يكون لها دور مباشر أو غير مباشر في إزالة الحواجز النفسية والطائفية والمذهبية بين المسلمين، وإعادة الوئام والانسجام إلى الصفّ الإسلامي، والشعور لدى الجميع: سنّة وشيعة بأنّهم أمة واحدة، وهي علائم عودة العافية لجسم الإسلامية،وهو ما يشكّل خطراً عظيماً على مصالح الاستكبار العالمي يجب إزاحته وقمعه، وذلك عن طريق:

١ - إثارة الفتن الطائفية.

٢ - إشعال الحرائق المذهبية.

٣ - دعم المجموعات المسلحة المعارضة.

٤ - الحصار الاقتصادي والسياسي.

٥ - افتعال الأزمات.

٦ - إثارة الأقليات.

٧ - شنّ الغزو الثقافي، والعسكري إذا اقتضت الضرورة وانعدمت سائر الحيل.

دور دويلة إسرائيل في هذه التحديات

لا شكّ أنّ من أغراض الصهاينة الحاقدين والمتربّصين بالأمة الإسلامية زوال هذه الأمة، وإن لم يحصل هذا واقعياً فمعنوياً، بزوال شخصيتها وهويتها، وذلك إمّا أن يكون بمحو ثقافتها وعقيدتها، أو بالسيطرة عليها(الاحتلال) أو الهيمنة على مقدّراتها، ووقوعها تحت تأثير المخططات الصهيونية الحاقدة.

يشير سماحة الإمام الخامنئي في خطاب له إلى هذه النقطة المهمة، فيقول:

«لقد كان بإمكان هذا الغزو الصهيوني أن يكون عاملاً على تجمّع الدول الإسلامية صفّاً واحداً للوقوف بوجه هذا التحدّي، ولاستعادة كرامة المسلمين المنتهكة، ولكنّ الأيدي التي أوجدت إسرائيل، لم تكن غافلة عمّا

يمكن أن تحدثه هذه الدويلة في وحدة المسلمين، فعملت بنفس القوة على إثارة كلّ ما من شأنه أنّ يخلق التناحر بين البلدان الإسلامية. وازداد هذا التناحر يوماً بعد يوم، بينما ازدادت دويلة الصهاينة تجبّراً وبطشاً وتعنتّاً، حتّى قرّر المتناحرون أخيراً أن يجلسوا حول طاولة واحدة...ولكن لا لتعبئة طاقات المسلمين وإعدادهم لمعركة المواجهة مع العدو الصهيوني الغاصب، ولا لاستثمار ما أغدقه الله على أمتنا من نعم قادرة على صعيد قوة المسلمين وعظمتهم وشوكتهم، بل للاعتراف... وما أصعب عليَّ أنّ أقولها، للاعتراف رسمياً بحدود آمنة لإسرائيل! وكأنّ القرآن يشيد إلى هؤلاء القوم إذ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ الله كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾»[1].

فالصهاينة المحتلون لن يتخلوا عن المناطق الإسلامية المحتلّة، إلّا إذا أحسّوا بقوه المسلمين واتحادهم وتلاحمهم، لذلك لن يتهاونوا في العمل ليلاً ونهاراً من وضع المخططات الكفيلة بزرع الفتنة في الدول الإسلامية.

وهذا الجهد العدواني الذي نلحظه عند العدو يجب أنّ يوضع في الحسبان عند دراسة أيّ مخطط إصلاحي للأمة الإسلامية، وقد رأينا كثيراً من البلدان الإسلامية تقع في شباك هذه المخططات عن جهل أو عن طبيعة مؤاتية مشوهة، من حبّ الترف أو الزعامة والسيطرة، فسيقت إلى الموافقة على التوقيع والسماح باستيراد منظومات حربية واقتصادية لغرض الاستهلاك والقتل، لا للبناء والتطوير والاكتفاء الذاتي، وإلغاء الهوية الإسلامية وليس لتأكيدها، ثم توجيه الاقتصاد في الدول الإسلامية وجهة استهلاكية تعمل على تدمير الاقتصاد المحلي والوطني، وتجنّب تأسيس مشاريع إنتاجية ترفد الاقتصاد القومي بالناتج الذي يعزّز من مكانة الاقتصاد الوطني.

١- المقالات والدراسات: ٧٣. والآية: ٢٨ من سورة إبراهيم.

وبذلك تطوّق رقاب البلدان الإسلامية بسلاسل من حديد، وتجرّ المسلمين على المدى الطويل إلى الذلّ والهوان.

وإلى هذه الحقيقة يشير سماحة الإمام الخامنئي في خطاب له موجّه إلى المسلمين، ويشير إلى النتائج التي تمخّضت عن هذا الركون إلى الظالمين، والاستسلام إلى مطالبهم المقيتة، إذ يقول:

«عانى العالم الإسلامي خلال القرن الأخير نتيجة تفرّقه وتشتّته بمأساة ضياع فلسطين، هذه المأساة مع دون شكّ أفظع ما مرّ على المسلمين بعد الهجوم المغولي والصليبي، إنّه لذلّ ما بعده ذلّ أنّ تجتمع زمرة موتورة من شذاذ الآفاق في قلب العالم الإسلامي لتتحدّى كلّ القيم الإسلامية والإنسانية، ولتتحدّى كلّ العواطف والمشاعر والأفكار، ولتعلو وتتجبّر، وتبطش وتفتك، وتشرّد وتمحو من على الساحة الجغرافية بلداً إسلامياً، وتسيطر على مقدّسات المسلمين، وتعبث بها ما شاءت أنّ تعبث، وتعيث في الأرض الفساد»[1].

٢- الانغلاق وتكفير الآخر

يعدّ انغلاق الشخص على رأيه وتكفير غيره من أخطر العوامل المعوّقة لتحقّق الوحدة والوئام بين المسلمين.

إذ لا يشك أحد أنّ كلّ رأي يحتمل الخطأ ويحتمل الصواب أيضاً حتّى يثبت بالدليل القطعي أحد الاحتمالين، وهذا ما جرت عليه سيرة العقلاء منذ فجر الإنسانية وحتّى وقتنا الحاضر، وتستمر حتّى آخر يوم من أيام الدنيا، وما أكثر ما يكتشف الإنسان الخطأ في رأيه بعد مدة طويلة، وأنّ الصواب كان في الرأي الآخر، وكذا العكس أيضاً ينظر

١- المقالات والدراسات، المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة: ٧٣.

الإنسان إلى الاتجاه الآخر فيعتقد بخطئه، وبعد مدة مديدة يجده هو الصواب، وأنّ رأيه أو اتجاهه كان هو الخطأ.

ذلك لأنّ الإنسان قاصر عن بلوغ كلّ المعرفة، وعاجز عن الإحاطة بالأشياء كلّها، فيقف موقفاً ثم لا يلبث أنّ يدعه ويقف موقفاً آخر حينما تستجدّ أمور أُخر، أو تظهر له أُشياء لم يكن يراها من قبل.

وهذا لا يقتصر على الإنسان البسيط، بل يعمّ الأنبياء المعصومين أيضاً رغم ما تمدّهم السماء من أنباء الغيب، كما يحدّثنا القرآن قصة يونس عليه السلام وطلبه بإنزال العذاب على قومه بعد ما رأى عدم الفائدة واليأس من صلاحهم، وكذلك إبراهيم عليه السلام حينما كشف له الغطاء وراح يرى الأشياء ويحكم من دون دراية، وموسى عليه السلام وعيس عليه السلام و...

ولذا ينبغي للإنسان الانفتاح على الرأي الآخر، يمنحه فرصة للاستماع إليه، ويحاوره، ثم يتّبع أحسن القولين، يقول تعالى في صفة عباده: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1].

والاستماع هو الانفتاح على رأي الآخر، وعدم الانغلاق على رأي النفس، واتّباع الأحسن هو دعوة إلى عدم تكفير الغير بمجّرد أنّه (غير) والتزام الحقّ من الآراء، فكان الانفتاح وعدم الانغلاق والتكفير هو المعيار الذي جعله القرآن للهداية والعقل والرشاد.

والتاريخ الإسلامي مليء بالشواهد على آثار الانغلاق والحدّية وتكفير الآخر المخالف، لكن أول ما ظهرت هذه الحالة السلبية كانت في صفّين، وراح التكتّل المعارض لأمير المؤمنين عليه السلام يجرّ نفسه بعيداً عن الجماعة والمجتمع الإسلامي، ويحشّد الحشود ضد كلّ من خالفه بالرأي، لأنّه عدّ الآخر كافراً وخاطئاً، والصواب في رأيه هو،

---

١ - سورة الزمر، الآية: ١٧ - ١٨.

ولّما حطّ جمعهم في النهروان وراحوا يعيثون في الأرض الفساد، نهض إليهم أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يشأ البدء بالهجوم عليهم ومباغتتهم لعلّهم في غير وعيهم، أو ثمة ما يحجبهم عن الحقيقة، فحاول الكشف عن الحقيقة، وبيان الحقّ في الأمر الذي اختلفوا فيه، وأوضح لهم بأنّه عليه السلام مستعد للاستماع إليهم ومحاورتهم وإذا لم يبغوه هو فلا بأس من إرسال غيره، فأرسل ابن عمه ابن عباس شارحاً لهم حالهم، ومؤكّداً عليهم ضرورة عودتهم إلى حظيرة الإسلام، ودعوتهم إلى الانفتاح وعدم تكفير الآخرين بمجّرد أنّهم مخالفون لهم في بعض الأفكار... ولّما ثبتت الحجّة، وعاد من عاد، وبقي من بقي، وأصرّ من أصرّ، فعندئذٍ قاتلهم الإمام عليه السلام وهزمهم في تلك المعركة شرّ هزيمة، فهدم تكتّلهم السياسي، وحطم هيكلهم العسكري، واستأصل شوكتهم بالكامل.

وهل تمّ هلاكهم وانقطاع أمرهم؟ يجيب الإمام عليه السلام قائلاً: **«كلّا! والله إنّهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء»**[1]، أي: أنّ حالتهم الخارجية لم تنته، إذ ما أن يهلك منهم قوم حتّى ينجم منهم آخر، وما أنْ تتحطم منهم طائفة حتّى تظهر أخرى ولو بعد حين.

والخطورة لا تكمن فيهم بقدر ما تكمن فيما يسبّبونه من أضرار كبيرة وفادحة للأمة الإسلامية، ومن أبرزها:

١- تعميق الفجوة الطائفية بين المذاهب الإسلامية، وهذا عامل خطير جداً تنعكس آثاره على الوحدة بصورة مباشرة.

٢- ضرب الانسجام الإسلامي في العمق، وتحطيم مرتكزاته وقواعده العامة.

٣- تأجيج الفتن المذهبية وإشعال لهيبها.

٤- دفع العقل والعقلانية إلى عنق الزجاجة.

٥- ضرب الاعتدال اللازم وجوده في المجتمع الإسلامي.

١- نهج البلاغة: الخطبة ٦٠.

٦- تمكين الاستكبار العالمي من التدخّل في شؤون العالم الإسلامي.

٧- إشغال الأمة بأمور هي في غنىً عنها.

٨- فسح المجال أمام الأبواق الدعائية والإعلام المضاد ليأخذ موقعه الخطير على صعيد تشويه صورة الإسلام وأهله، على أنّه دين إرهاب أو راعي الإرهاب!

ولاشكّ أنّ الحركة التكفيرية قد قدّمت خلال السنوات الأخيرة صورة مشوّهة جداً عن الإسلام، وأضرّت بتقدّم هذا الدين، وتراجعه عن موقع الصدارة التي كان عليها؛ ولذا يعبّر الإمام الخامنئي عن دور وأثر هذه الحالة بقوله:

«لا أريد أن أقول: إنّ الاختلاف بين الشيعة والسنّة كان مردّه الاستعمار دوماً، فأحاسيسهم هم أيضاً كانت السبب لذلك...».

٣- الجهل

ليس هناك أصعب من البحث عن تعريفٍ للجهل الذي يرافق المسلمين قروناً طوال، لا لغموضه، ولكن لاتّساعه وتنوّعه.

فالحديث عن الجهل يعني الحديث عن التخلّف كلّه.

ألم يكن أول ما نزل من القرآن يعدّ في ذاته دعوةً للقراءة وتلقّي العلم الهادف لبناء الإنسانية: ﴿اقْرَأْ...﴾ باسم من؟ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ...﴾ والربوبية عطف وتعاطف ورحمة، لذا نقول: ربّ البيت، وربّ الأسرة و...

ومن ربّي؟ إنّه ﴿الَّذِي خَلَقَ...﴾ الذي بنى وخلق... إنّه التلميح البعيد... بل القريب... القريب جداً إلى أنّ القراءة والعلم يجب أنّ يرتبطا بهدف إنساني نبيل هو «البناء والتشييد»، لا «التخريب والشهير».

فالمعرفة ينبغي أنّ تكون أساس تركيب الإنسان، وأول واجب علينا هو أن نجعل هذه المعرفة نافعة[1].

١- انظر: الإنسان ذلك المجهول، شفيق أسعد فريد.

والجهل يمكن أنّ نعبّر عنه بأنّه التخلّي عن مصادر القوة والعزّة والوحدة الإسلامية، والركون إلى الضعف والذلّة والتفرّق.

وقد اعتبره سماحة الإمام الخامنئي من الآلام التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ففي كلمته التي أُلقيت في افتتاح القمة الإسلامية الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٤١٨هـ بطهران، قال:

«آلام البشر الحقيقية التي سعى الإسلام لإزالتها كانت على مرّ العصور والأزمان – ولا تزال – واحدة لا تتغيّر، وهي: الفقر، والجهل، وألوان التميز، والنزاعات...»[1].

فعدّ الجهل منها، والجهل إحدى وسائل الأعداء المؤثّرة، إذ إنّ نشره بين المسلمين معناه ارتفاع الحصانة عن التضليل الإعلامي الواسع الذي تقوم به أجهزة الإعلام السياسية الغربية، في قلب الحقائق، وإظهار الحقّ باطلاً، والباطل حقاً، وتكريس اللبس في تحديد المفاهيم، وإيجاد الانحراف الفكري، فيختلط على الشباب المسلم مفاهيم من قبيل «الإيمان» و«الكفر» و «الشرك» و «الارتداد» و «إهدار الدم» وأمثال ذلك.

كما أنّه بالجهل تتهيأ الأرضية والمناخ لتقبّل المسلمين كلّ دعاوي الغرب وادّعاءاته، ولا يرفضون ما يتعرّضون من انهيار واسع للحواجز السياسية والثقافية والاقتصادية التي تفصل العالم الإسلامي عن الغرب وحلفائه، بحكم «العولمة» التي ترفض وجود الحواجز في العالم، بعدما حكّم الغرب سيطرته على وسائل النقل والارتباط والاتصال والإعلام في العالم، وعاد كقرية كبيرة يحكمها بعض المستثمرين والسياسيّين الغربيين.

إنّ تساقط هذه الحواجز لم يكن ليحصل لولا وجود الجهل وانتشاره بين المسلمين، وفقدت الساحة الإسلامية الحصانة من غزو الغرب بثقافته المادية والإباحية التي يتمتع بها وحضارته المتهرّئة.

وقد أكّدت الروايات عن النبي الأكرم ﷺ حثّه الشديد والمتواصل على طلب

---

١ – في رحاب الولاية: ٩.

العلم ولو كان في الصين، ولو كان من مشرك، وأن لا يدع ذلك حتّى اللحد.. واكتساب العلم يعني تحطيم إحدى أسلحة العدّو الإستراتيجية، ودفع الغزو الثقافي والإعلامي بتحصين النفوس عن الاعتقادات الباطلة، وبالتالي لا ندع الساحة لغيرنا والصدارة لسوانا، والأهم من كلّ ذلك منافسة الغرب في التحدّي المعاصر، ومقارعته في عقر حضارته وكيانه الثقافي كما قال علي عليه السلام: «ردّوا الحجر من حيث جاء»[١].

٤- التعصّب

لسنا بحاجة للبحث عن جذور هذه الكلمة، ومقارنتها، فمعناها واضح وإن كان هذا المصطلح يعدّ حديثاً، في حين كان التعبير السائد بدلاً عنه هو «الطائفية». ولسنا نرى بينهما كثير فرقٍ في الاستعمال، ومن هنا فإنّ ما يقال عن أحدهما يقال عن الآخر.

وإذا رجعنا إلى طبيعة الحياة الإنسانية، سواء الشخصية منها أو الاجتماعية، لوجدنا هذه الصفة تكمن في أنماط متنوّعة من السلوك الإنساني، بل وتشكّل جوهرها المحرّك، وصفتها الغالبة أحياناً، وربّما تحوّلت إلى شعار يتبجح به أصحابه علانيةً.

إنّنا نعتقد أنّ التعصّب العقدي الذي أشار إليه الإمام الخامنئي لا يختلف عن التمييز العنصري والحزبي والقومي و...، ولكن لا نعتقد أنّ التعصّب هو شرّ على كلّ حال؛ لأنّ التعصّب الذي لا يسيء إلى الآخر هو حالة طبيعية ومعقولة وإيجابية، ولكن التعصّب السلبي هو التعصّب الأعمى الذي يؤدّي إلى الانحراف والسلبية، والذي لا فائدة منه ولا طائل تحته.

وإذا أردنا أنّ نقارن بين التعصّب بكلا قسميه وبين الغفلة الإنسانية، لوجدنا أنّ الغفلة الإنسانية - وهي حالة فطرية - لها إيجابياتها بلا ريب، إذ لولاها ولولا حالة النسيان التي تواكبنا لتجلّت أمامنا كلّ مصائبنا وأحزاننا وآلامنا في كلّ آن، وهو أمر ينغّص علينا الحياة، إلّا أنّ الغفلة والنسيان إذا تجاوزتا حدودهما الطبيعية، تحولت إلى حالة سلبية ما بعدها سلبية.

١- نهج البلاغة: الحكمة رقم(٣١٤).

وأمّا الجانب الإيجابي للتعصّب فيمكن أنّ نلحظ تطبيقاته في الميول الطبيعية نحو الطائفة، والتي ينسجم معها الإنسان عقدياً وعاطفياً وغيرها من الميول. فذلك أمر طبيعي، خصوصاً إذا اقترن بمصالح مشروعة وطبيعية؛ كاستمداد القوة، والتعاون لتحقيق الأهداف السامية والقيم النبيلة والأخلاق الأصيلة، وقد عوّدنا الشارع الإسلامي على ضرورة تهذيب الميول الطبيعية،ولا يكبتها تماماً.

إنّ الشرع الإسلامي يوظّف هذه الميول الطبيعية عند الإنسان لتقوية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، والعلاقة مع الطبيعة، والميل إلى القربى والوطن والأرض...، هو ميل طبيعي، عدم كبحه يخلق الانسجام التام بين سلوكيات الإنسان وهذا الميل.

ومن هنا نجد أنّ إطلاق عبارات التعصّب والطائفية السلبية على المواقف المبدئية، إنّما هو إطلاق غير مسؤول، أو متعمّد مغرض.

ونعني بالمواقف المبدئية: تلك التي تتطلّبها تصوّرات الإنسان المنطقية عن الكون والحياة والإنسان، منهجاً وسلوكاً من أجل تحقيق الأهداف السامية.

فإذا ما استقرّ الوعي الإنساني في هذه الجوانب على أرضية صُلبة، كان من الطبيعي أنّ يصوغ كلّ مواقفه وفق مبادئه، وليس لنا والحال هذه أنّ نصفه بالطائفية والتعصّب... نعم نستطيع أنّ نناقش مبادئه(الواحد بعد الآخر) وأمّا أنّ نلومه على الانسجام مع مبادئه فذلك هو المنطق المعوجّ... إذ معناه أنّ نطلب منه ألّا يكون إنساناً يسعى إلى تحقيق التوازن بين(العقيدة) و(العواطف) و(السلوك) ونلومه على تحقيق هذا الانسجام والتوازن بينها.

وأمّا التعصّب لمقتضيات التوحيد الإلهي، والإيمان بالنبوة والمعاد، والإسلام كمنهج حياة، ومحاربة الظلم، والالتزام بما تقرّره الفطرة الأصيلة المتواجدة لدى أفراد البشر جميعاً، فهذه الإيجابية بعينها.

والواقع أنّنا لو اعتبرنا السلوك الفطري المبدئي تعصّباً مرفوضاً، كان علينا - والعياذ بالله - أنّ نصف سلوك الأنبياء والمصلحين بهذه الصفة، وهو أمر تمَّ لا يبقي قيمةً إنسانيةً واحدة، والويل للإنسانية عندما تفقد القيم والمعايير!

وفي توجيهات سماحة الإمام الخامنئي للحجّاج حيث أوصاهم قائلاً:

«فلا بدّ من إيجاد التآلف والاتحاد، وأنّ عليكم أنتم أنّ تتعاملوا بوعي وحذر، وأن تعرفوا أنّه من الخطأ الشديد إثارة النزعات المذهبية في نفوس الإخوة من أهل السنّة، بل وإنّه لأثم، وأن تأخذوا ذلك على أنّه أصل وقاعدة لا ينبغي الخروج»[1].

حيث يشير إلى ذلك الجانب من التعصّب الذي يثير النزعات ويكتب لأصحابه الإثم.

نعم، يوجد خلاف واختلاف، ولكن يجب أن تكون هناك إدارة لهذا الخلاف، نسعى جميعاً من خلالها لتحقيق الأهداف المنشودة للأمة الإسلامية الكبيرة، فتطرح نقاط الخلاف بروح إيمانية عالية، تنطفئ من خلالها نار الفتنة والعصبية وتخمد جذوتها.

وفي هذا قال سماحته:

«نعم، ثمة نقاط للخلاف، ولكن التركيز على تلك النقاط، وإشعال نار العصبية من خلالها، هو بعينه ما تسعى نحوه أجهزة التجسّس الأمريكية والإسرائيلية، وهو ما يريدون تحقيقه»[2].

وبنفس السياق، فإنّ الانحراف عن المقتضيات الطبيعية، الذي ينشط نتيجة ظهور عوامل الضعف في الشخصية، وعلى جميع الأصعدة: العقدية والعاطفية والسلوكية، فإذا ما صادف هذا الانحراف توفّر عامل خارجي تحريفي، أدى ذلك إلى ظهور أوهام وشبهات عقدية من جهة، وتعصّب جاهلي مقيت من جهة أخرى.

والمقصود بالعامل الخارجي: تلك التأثيرات المادية والمعنوية التي يمتلكها ذوو المصالح الضيّقة والمشبوهة، ويسعون إلى غرسها في النفوس؛ تحقيقاً لمطامعهم الشخصية، أو مطامع أسيادهم، وتمويهاً على الآخرين من أجل تحقيق تلك المآرب الدنيئة.

١- في رحاب الولاية: ١٠.

٢- المصدر السابق.

إنّ سعي ذوي المصالح الضيّقة والمشبوهة، وما تمارسه من مصادرة فاضحة للأهداف الكبرى للدين الإسلامي الحنيف، واستخفاف بالناس، قد تربح الموقف بعض الوقت، لكنّها ستكون الخاسر الأكبر.

فقد ورد في القرآن رصد للظواهر الكونية والاجتماعية و...، وأورد قصصاً عن نماذج في التاريخ اتسموا بتلك الصفة، فإنّ فرعون استطاع أنّ ينال ثقة قومه وطاعتهم بالاستخفاف بهم وبعقولهم، ففي تلك المناداة التي يمكن أنّ نطلق عليها «مناداة الاستخفاف» والتي جاءت في سورة الزخرف، طلب منهم أنّ يطيعوه لأسباب غير منطقية، فأطاعوه، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[1].

وعلى أية حال فالضعف في الشخصية، وتأثيرات ذوي المنافع الضيّقة قد تجرّ الإنسان من فسحة الاعتدال إلى ضيق التعصّب.

ومن الأمور المهمة على هذا الصعيد هي أن نعلم بأنّ التعصّب والطائفية وكلّ المفاهيم هي أُمور نسبية، قد تكون طبيعية في حدود معقولة، أمّا الخطر كلّه فيكمن فيما لو حاول الإنسان أنّ يصعّد بهذه الأمور إلى مستوى المطلقات، فحينئذ تكون الكارثة، حيث تكون الطائفية والتعصّب قد تجلّى بأبشع صوره وأخسّ أشكاله، وحينئذٍ يتحوّل النسبي النافع إلى قيد للذهن الإنساني، يمنعه من الانطلاق الحضاري الرحب، باعتبار أنّ هذا النسبي يرتبط بظروفه الموضوعية، فإذا جعل مطلقاً لن يمكن للإنسان أنّ يتخطّى هذه الظروف، وحينئذ يسود الجمود والانحطاط المقيت.

فنحن عندما ننبذ التعصّب، وندعو إلى إدانة الطائفية، لا نقصد ذلك مطلقاً، كما لا نقصد أن لا يدافع الإنسان عن مبادئه التي آمن بها بالسبل المشروعة والمنطقية

١- سورة الزخرف، الآية: ٥١ - ٥٤.

والأخلاقية، بعيداً عن الاتهامات والشتائم، وإنّما الذي نعنيه هو رفض كلّ انحياز غير موضوعي إلى عقيدةٍ أو طائفةٍ أو قوميةٍ أو حزبٍ... أو غير ذلك.

إضافة إلى أنّ الذي نقصده من نبذ التعصّب هو الابتعاد عن المنطق المريض والحوار المتشنج وغير البنّاء، وعدم السماح لذوي الأمراض النفسية والعقلية من مناقشة القضايا ذات الصلة بالدين والعقيدة، والوصول من خلال ذلك إلى مآربهم المنحرفة.

٥- الفقر والحاجة والمرض

إلقاء نظرة على واقع الأمة الإسلامية اقتصادياً يتبّين أنّ نسبة كبيرة من عموم المسلمين وفي مختلف البلاد الإسلامية هي تحت مستوى الفقر. رغم أنّ بلدانهم غنية بالثروات الطبيعية والمعادن الثمينة، وبالنفط الذي هو اليوم عصب الاقتصاد العالمي.

ففي معظم الدول توجد بيانات توضّح مستوى الفقر في تلك البلدان، وكيف هي الأرقام مريعة!!

وأيضاً في المجال الصحي، فالتقارير تشير إلى استفحال الأمراض في أغلب الدول الإسلامية، وعدم وجود الدواء والعلاج الكافي لمكافحتها.

وهذه الأمراض الثلاثة: الفقر والحاجة والمرض لا شك أنّ لها انعكاسات على ميزان التخلف التي تعاني منه أغلب الدول الإسلامية، والتخلّف الذي نقصده أعم من الحضاري والعلمي والثقافي والصناعي.

ولسنا هنا بصدد دراسة الأسباب الحقيقية التي آلت بالمسلمين إلى هذا الحال من التخلّف والتشرذم، وهل أنّ هذه الأسباب حصلت بشكل طبيعي، أو أنّها جاءت أثر مخطّطات قام بها الأعداء كان الغرض منها تحجيم المجتمع الإسلامي، ولكنّا بصدد عرض آثار هذه الأمراض وعلاقتها بالعوامل الضاغطة على جميع مفاصل الحياة الضرورية للمسلمين، وأثرها السلبي على الواقعي الوحدوي والتقريبي لهم، إذ لا تقدّم ولا رفاه ولا سعادة ولا وحدة في ظلّ هذه الأمراض، كما أشار إلى ذلك الإمام الخامنئي.

أرقام مروّعة

هناك أرقام مروّعة تشير إلى انخفاض المستوى المعاشي لأغلب الدول الإسلامية إلى مستويات هي في أحسن حالاتها دون مستوى الفقر!! بالرغم من وجود برامج توزيع الدخل في النظام الضريبي للإسلام والمتمثّل بجمع الزكاة، والخمس عند الشيعة، وإعادة توزيعها على فقراء المسلمين وفق نظام يتكفّل القضاء على حالات الفقر الشديدة التي يعاني منها المسلمون.

ولا مراء أنّ الفقر يؤدّي بالضرورة إلى استغناء الأسرة المسلمة عن بعض حاجاتها الضرورية، فضلاً عن حاجاتها الترفيهية والترويحية، وبالتالي تنعكس آثار ذلك على المشروع الوحدوي المطروح.

ففي المجال العلمي فقد تضطرّ الأسرة المسلمة الفقيرة إلى منع أبنائها من الالتحاق بالمدارس؛ شعوراً منها بأنّها اتّخذت قراراً صائباً من أجل للمحافظة على مدخولها الشهري، ولم تعلم أنّها اقترفت ذنباً كبيراً ومصيرياً في حقّ أبنائها، فحرمان الأولاد والأطفال من التعليم يعني خلق جيل من المسلمين الجهلة والأمّيّن، خاصةً إذا علمنا أنّ النبي ﷺ قال: **«طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة»**.

كما أنّ انخفاض المستوى العلمي لأجيال المسلمين يؤدّي إلى الابتعاد عن الوقاية من الأمراض، فيقع قسم كبير من المسلمين فريسة سهلة للأمراض المختلفة، فيتحوّل هذا المجتمع الإسلامي الفقير إلى مجتمع جاهل ومريض أيضاً بشتى أنواع الأوبئة والأمراض المزمنة، وهو ما يثلج قلوب الأعداء والمنافقين قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[1]. حيث قرن سبحانه بين عبادته والجوع مشيراً إلى العلاقة بينهما.

وأمّا في جانب الثقافة والفكر فالفرد المسلم يضطرّ إلى الاستغناء عن المخصّص من مدخولاته لصالح ثقافته وتنميتها، والاستمرار في مواكبة التطوّرات التي تحدث في العالم والاطلاع عليها.

---

١ - سورة قريش، الآية: ٣ - ٤.

وكذلك يضطرّ الفرد المسلم إلى إلغاء الساعات المخصّصة للراحة، وإضافتها إلى ساعات العمل ليستطيع المحافظة على مستواه المعيشي الداني. وحتّى على مستوى توفير السكن المناسب فإنّه يتخلّى تدريجياً عنه بسبب الفقر والحاجة، وهو ما يعني المزيد من الضياع وهدر للطاقات.

وهكذا أصبحت الأسرة المسلمة مشغولة بترميم كيانها المهدّد بالانهيار والسقوط، والتحلّل والتمزّق. أمام المغريات والمتطلبات الكثيرة، ولا حول ولا قوة لها في السعي إلى تحقيقها، وبذلك لم يتسنّ لها الوقت الكافي للتفكير والمطالبة بتحقيق مصالح الأمة الإسلامية الكبرى، والتطلّع إلى أهدافها السامية، أو المشاركة على هذا الصعيد.

إنّ هذه الأمراض والآفات هي الأسلحة التي يرفعها الأعداء في وجه الشعوب الإسلامية، ويحاول تسليطها على الدول الأخرى النامية من أجل القضاء على نهضتها وعزّتها.

كما تترشحّ في المجتمع الإسلامي عدّة إفرازات سلبية غاية في الأهمية والخطورة. ومن هذه الإفرازات: السلوكيات السيئة التي تلتهم كلّ شيء حضاري، وتعمل على خلق أجواء عدم الثقة بين أفراد المجتمع الواحد، وتعمل كذلك على تمزيق المجتمع الإسلامي إرباً، وإفشاء الأمراض الاجتماعية المختلفة، من السرقة والغش والرشوة والكذب والتفسخ الأخلاقي.. وغير ذلك من السلوكيات المنحرفة عن الفطرة والقيم الإسلامية الأصيلة.

إضافة إلى تكريس العديد من العادات والأمراض النفسية من قبيل: الحقد والحسد والغيبة والنميمة والرياء... وغيرها من العادات السيئة، فإذا تفشّت هذه الأمراض والعادات في المجتمع أصبح هذا المجتمع مفكّكاً منخوراً، خالياً من القيم والمبادئ والأخلاق، جاثياً على ركبتيه، باسطاً يده يسأل الآخرين، ولا يتحرّج من التعامل مع أيّ شخص أو فئة أو جهة مهما كانت توجّهاتهم منحرفة، من أجل تهيئة القليل من الطعام والشراب والمسكن.

إنّ العقول المتعبة والمنخورة يمكنها أنّ تصبح ذات يوم عقولاً تقود الإرهاب

والتكفير وإعاقة المشاريع الوحدوية والتقريبية، لأنّها أرض خصبة، وأداة مهملة ومستهلكة لا تحتاج إلّا لصيانة بسيطة، وتوجّه إلى ما يشاء أصحاب المال والقوة والنفوذ.

فالفقر والجهل والمرض بكلّ أنواعه أدوات مانعة للمشروع الوحدوي والتقريبي الإسلامي، وليس ببعيد أنّ تتحوّل إلى عوامل تهدّد بإشعال الفتن الطائفية بين المسلمين، وتعرّض للخطر كلّ الجهود التي يبذلها العلماء والمصلحون من الفريقين لجمع الشمل، وإعادة الوئام والانسجام والتفاهم إلى الصف الإسلامي.

نتائج... وخيمة

في خضَمّ هذه النتائج التي تمخّضت عن التخلّف الذي ترشّح من مكوناته الرئيسية وهي الفقر والجهل والمرض، غطّت الأمة الإسلامية في سبات عميق، وبدأت تفقد سيطرتها التي كانت لها على مشاعر المسلمين، وتخلّت عن دورها القيادي في الحياة، وتحوّلت من أمة قائدة رائدة في مختلف المجالات العلمية والفكرية والاقتصادية والثقافية، إلى أمة متخلّفة تابعة، تقلّد الآخرين، وتستورد الأفكار والحلول.

فوقعت الأمة فريسة سهلة للغزو العسكري والاحتلال، وأصبحت صيغة أخرى تمثّل انعكاساً لنمط الحضارة الغربية، بعيدة عن الصيغة الإسلامية التي يوضّح معالمها القرآن الكريم، وترسمها السنّة المطهّرة عبر تراثها الثري.

وعلى الرغم من وجود هذه أمراض التي أصابت المجتمع الإسلامي، وما ترشّح عنها، فقد بدأت تستعيد روح النهضة واليقظة، بعدما بدأت عوامل التحرير تدبّ في المجتمع الإسلامي، والمتمثّل بمرجعياته الدينية الحكيمة، وبدأت روح الرفض للقيم المادية التافهة، والدعوة إلى قيم السماء والمبادئ الحقّة والأخلاق الرفيعة.

إنّنا إذ نحدّد هذه المشاكل التي يعانيها المسلمون علينا أنّ نسعى لوضع العلاج الناجع لرفع معاناتهم.

وفي الكلمة التي ألقاها سماحة الإمام الخامنئي في مؤتمر الوحدة الإسلامية المنعقد في طهران، نلحظ بوادر وبدايات طرح نظرية لحلّ مشاكل المسلمين، حيث يقول سماحته:

«لو حقّقت الأمة الإسلامية وحدتها، ولو كشفت القوى الإسلامية عن معناها الحقيقي، ولو تحقّق الاستقلال الإسلامي بمعنى الكلمة في هذه المناطق، لاستطعنا قطع دابر الأعداء، وتغلّبنا على سيطرتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية»[١].

ثمة قضايا أساسية أشار إليها سماحته، من شأنها أن تحقّق لنا أهدافنا في القضاء على التخلّف وعوامله الذي نرزح تحته، وهي:

أولاً: الوحدة الإسلامية بصيغتها العامة والمشروعة.

ثانياً: الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي، إذ إنّ هذا الواقع مرتبك بشكل خطير، ويحتاج إلى عمليات ترميم واسعة النطاق.

وأمّا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية فـ:

«لقد حقّقت السياسة المستقلّة - اللا شرقية واللا غربية - بدل السياسة التابعة للشرق والغرب، وإقامة حكومة الإمام العادل والفقيه الزاهد بدل حكومة الجبابرة وعملائهم، وأحلّت قيم التقوى والإيمان بدل قيم قوة المال والسلاح، وأصغت السمع لنداء الشعوب المظلومة بدلاً من أنّ تسمع ما يمليه الشرق أو الغرب، واعتمدت على قوتها الذاتية بدلاً من الانصهار في الثقافات المستوردة، ونزعت الثروات المادّية من الغاصبين بدلاً من فسح المجال الاقتصادي أمام المبتزّين»[٢].

ثالثاً: بذل الجهود والمساعي في هذا المجال، وتوظيف كلّ الطاقات المادّية والمعنوية على هذا الطريق، من دون ملل أو كلل، للتعريف بحقيقة المشروع، وأهدافه، وغاياته، والثمار التي قد تجنيه الأمة لو تحقّق على مستوى علمي وعملي، وبصورة دقيقة.

---

١ - في رحاب الولاية: ٢٥.

٢ - كلمة سماحته التي أُلقيت في المؤتمر الثاني لأئمة الجمعة والجماعة، الذي عقد في طهران ١٩٨٤م.

الفصل السادس:

تجلّيات ومظاهر الوحدة والانسجام الإسلامي وبواكير الوعي الوحدوي

«لو أردنا أن نطرح شعاراتنا وقيمنا الإسلامية إلى العالم، ونجذب قلوب الإنسانية والشعوب برمّتها، فيجب على المسلمين التمسّك الحقيقي بتعاليم الشريعة والحضور الدائم في جميع الميادين والساحات السياسية والاجتماعية والدينية، ليدرك العالم حقيقة الإسلام وعظمته، ويحيط علماً بعزّة المسلمين في وحدتهم وانسجامهم في تلك الميادين»

الإمام الخامنئي

تجلّيات ومظاهر الوحدة والانسجام الإسلامي

يمتلك الإسلام عقيدةً شاملةً على مجموعة من المبادئ والقيم والتعاليم العبادية والمعاملاتية من شأنها تنظيم حياة الإنسان ومجتمعه وبيئته، فلم تهمل شأناً من شؤونه الفردية ولا الاجتماعية. ولاشك أنّ ديناً يمتلك هذه الإحاطة، وهذا الشمول، وأنّه يثير في نفوس معتنقيه ما يحفز مظاهر سلوكهم على الأداء المهذّب والمقبول.

ومن أبرز هذه المظاهر «الانسجام الإسلامي» الذي من شأنه تلبية الحاجات الفردية والاجتماعية للإنسان المسلم وغير المسلم أيضاً إذا كانا يتشاطرا الحياة في مجتمع واحد، فكما أنّه يثير في الفرد روح المسؤولية والنظام واحترام الآخر، كذلك يحفّز المجتمع على الاستقرار والطمأنينة والأمن بين مكوناته.

والملفت للنظر أنّ الأمة الإسلامية تـؤمن بالانـسجام الإسـلامي إيمانـاً إجماعيـاً، أو لنقل: إيماناً نظرياً، وتقوم به في بعض شعائرها الدينيـة والوطنيـة ولكـن لا تفهمـه فهـماً إجماعياً، أو لنقل: فهماً عملياً. وقد يبدو غريباً لأول وهلة، فكيف تؤمن الأمة بالانسجام الإسلامي نظرياً، وهي لا تفهمه عملياً؟

ولكن هذا هو الواقع الذي تعيشه الأمة منذ منيت بالمؤامرات المستترة والسافرة مـن أبناء الصليبيين المـستعمرين والـصهاينة أعـداء الإسـلام التـاريخيين، ومنـذ أن عاشـت الازدواجية في ثقافتها وحياتها.

والإسلام ضمن حثّه عملياً على تكريس الانسجام في المجتمع المسلم قد جعل بعض الشعيرات الدينية بصورة مرتبة وجماعية.

ويمكن أن نحدّد معلمين إسلاميين أشار إلـيهما الإمـام الخـامنئي في بعـض خطبـه، نوردهما كمثالين للانسجام الإسلامي، وهما: **شعيرة الحجّ، والمولـد النبـي الـشريف** ﷺ. وستناول هذين المعلمين، كمشهدين متجلّيين للانسجام الإسلامي:

١- الحج

يعدّ الحجّ أحد مشاهد الاجتماع الجماهيري المليـوني للمـسلمين، والـذي تـتجلّى فيـه مظاهر الانسجام الإسلامي الرائع.

فهو مشهد اجتماع ملايين المسلمين سنوياً في بقعة معيّنة ومحدّدة وهي بيت الله في مكّة المكرمة، وهذا الاجتماع كما يقول سماحة الإمام الخامنئي:

> **«يعيد ربط القلوب بقبلة عالم الكون من جهة، وبالأحبّة الذين يعيـشون منفصلين عن البعض من جهة أخرى، ليضخّ الطـراوة والحيويـة في جـسد الأمة الإسلامية روحياً وسياسياً...»**

ويستمر سماحته في تصوير هذا المشهد الرائع لاجتماع المـسلمين في المـشاعر المقدسـة بقوله:

«إنّه ليمثّل زاداً ثميّناً للإنسان أن يتحرّر من التعلّقات المادّية، ويرى الله باستمرار في كلّ مكان، وفي كلّ عمل ولو لأيام معدودات. وإنّ جميع مناسك الحج هي من أجل أن يتوصّل الحاج إلى هذه التجربة الروحية، وأن يحسّ بهذه اللذّة في مذاق روحه. أمّا من الزاوية السياسية، فإنّ المحور الرئيس في الحج هو استعراض الهوية الموحّدة للأمة الإسلامية»[1].

إنّ استعراض الهوية الموحّدة للأمة الإسلامية هو أصدق صورة للانسجام الإسلامي، فهي ليست محصورة في نطاق جغرافي أو عنصري خاصّ، وإنّما هي ممتدّة في أطر مفتوحة كثيرة جغرافياً وعنصرياً، ومن شأن هذه الهوية الموحّدة للأمة الإسلامية أن تحدث تياراً من الانسجام الإسلامي يتغلغل في نفوس جميع الشعوب الإسلامية في العالم، ممّا يجعل الوجود الإسلامي ذا مظهرٍ متجانس ومنسجم. وهذا الواقع ولا شكّ يخلق بين المسلمين انسجاماً إسلامياً يظهر من خلال التحابب والتراحم والتسامح والتآخي والتآلف... وغيرها من قيم الانسجام الإسلامي الكبير التي تواكب حجّاج بيت الله الحرام.

وعلى الرغم من تآزر القوى المعادية للإسلام والمسلمين، وحرصهم على تفريق كلمتهم، وتفتيت وحدتهم، ومحاولاتهم في سلب هذه الشعيرة من محتواها السياسي والاجتماعي والتربوي، وتصويرها بجملة أعمال عديمة الفائدة والأثر، إلّا أنّهم فشلوا في بلوغ مآربهم الدنيئة، ولم يدركوا أنّ أصالة الإسلام وحقيقته لا يمكن أن تمحوها لقلقة بعض الأشخاص وبعض الصحف والأقلام المأجورة.

إنّ حجّاج بيت الله الحرام في استعراضهم للهوية الموحّدة للأمة الإسلامية، وفي تصويرهم الصادق للاجتماع والانسجام بين المسلمين، يرسمون لنا وللأجيال القادمة

---

١ - كلمة سماحة الإمام الخامنئي لحجاج بيت الله الحرام في ٧ ذي الحجة ١٤٢٥.

طريقاً يصفه لنا سماحة الإمام الخامنئي بقوله:

«إنّ هذا الطريق هو طريق الجهاد العلمي، والجهاد السياسي، والدفاع الصلب عن الحقّ الواضح الصريح. المسلمون في هذه الساحة يدافعون عن شرفهم وعزّتهم وحقوقهم المغتصبة، والإنصاف والوجدان البشري قاضٍ متفهّم وحاسم، يؤيّد جهاد هؤلاء المظلومين، والسنّة الإلهية تبشّر بانتصارهم الحتمي»[١].

٢- المولد النبوي الشريف

يحتفل المسلمون كل عام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، سواء كانوا أفراداً أو مذاهب، بمولد النبي الأعظم ﷺ، من خلال إقامة الولائم، والاحتفالات التي تنشد فيها الأشعار المادحة والمرحّبة بمقدمه ﷺ[٢].

ولقد اتّفق عامة المؤرّخين والمحدّثين على ولادته في مكة، وفي عام الفيل، وفي شهر ربيع الأول المبارك.

ومبدأ الاحتفال بمولد النبي ﷺ لعموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مبدأ أصيل، فيه تتجلّى مظاهر الوحدة والتآلف والتحابب بين المسلمين، وتذوب معه كلّ العقد المفتعلة والمصطنعة التي تكدّر الانسجام الإسلامي، فكلّ شيء يحدث في هذه الاحتفالات والاجتماعات التي تعم المساجد والحسينيات والبيوت والشوارع في جميع أنحاء العالم الإسلامي الكبير، يشير إلى تجلّي التلاحم الانسجام المطلوب بين المسلمين.

ولم يحلو للبعض مشاهدة هذا المشهد الرائع الذي يعم المسلمين كافة، فعملوا من خلف الكواليس على التنقيص من قدرها وأهميتها، إضافة إلى إيعازهم إلى أبواق

١- المصدر السابق.

٢- أنظر: أعيان الشيعة، ١: ٢١٨.

دعاياتهم بالحديث الذام لها، وتصويرها على أنّها لا فائدة منها، خاصةً وأنّ النبي قد مات منذ أكثر من أربعة عشر قرناً مضت!!

والحق أنّهم يرومون إلى تمزيق نسيج هذه الوحدة المباركة بين المسلمين، وسلب محتواها العملي والسياسي والاجتماعي.

إنّ اختلاف الروايات في اليوم المعيّن لولادته ﷺ لا يعني أبداً اختلاف الأصول أبداً، ولا يعني أيضاً اختلاف مصادر الشريعة، بل هو اختلاف محض في الروايات المنقولة.

والنتيجة الطبيعية لهذه الاختلاف الروائي أن يحتفل المسلمون في النجف وقم بولادة النبي ﷺ في السابع عشر من شهر ربيع الأول المبارك، ويحتفل المسلمون في القاهرة والرياض بولادته ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

وهل ثمة عيب لو اختلف المسلمون في يوم ولادة نبيّهم ما بين الثاني عشر والسابع عشر شهر ربيع الأول؟

ألم يختلف المسيحيون واليهود بيوم ولادة أنبيائهم؟!

وليس أمام الأمة الإسلامية إلّا العودة إلى الاستمرار في نهجها الرائع من الاحتفال والتكريم والتجليل ليوم ولادته ﷺ، من دون الاهتمام لما يثيره الأعداء والمنافقون، ما يتكلّم به البعض من أنّ هذا الاختلاف عميق ومؤخّر في حياة الأجيال القادمة.

ومن هنا دعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيادة الإمام الخامنئي - وهو مرجع من مراجع المسلمين - إلى إقامة أسبوع الوحدة للاحتفال بولادة سيد الكائنات محمد ﷺ لا يوماً ولا يومين، بل أسبوع كامل، يبدأ من الثاني عشر وينتهي في السابع عشر من شهر ربيع الأول المبارك.

فعادت الاحتفالات بولادة نبينا الأكرم ﷺ تعم جميع المسلمين، وفوّتت الفرصة على أولئك المبطلين من أن يحقّقوا أهدافهم الخبيثة، وعاد المشهد المؤلم لأولئك الذين لم يرق لهم مشاهدة مثل هذه الاحتفالات.

ويعتبر إعلان أسبوع الوحدة، وما يتبعه من إقامة المؤتمرات والندوات والاجتماعات خير شاهد على اهتمام وحرص المسلمين على وحدتهم وتآلفهم وانسجامهم، فكما أنّ الوفود تأتي إلى طهران من جميع أنحاء العالم للاحتفال بولادة النبي ﷺ، كذلك الوفود ترد إلى القاهرة والأزهر للاحتفال وتقديم بطاقات التهنئة المباركة.

وكان سماحته يرعى هذه المؤتمرات رعاية خاصة، ومن خلال هذه الاحتفالات يقدّم التهاني والتبريكات لجميع المسلمين في العالم، إضافة إلى دعواته المتكرّرة لجعل مناسبة المولد الشريف ميداناً للبحث والتحقيق في هذه الشخصية الفذّة التي استطاعت حمل وتبليغ رسالة السماء إلى أهل الأرض جميعاً.

كما اعتبر سماحته أنّ أسبوع الوحدة يشكّل عيداً كبيراً للأمة الإسلامية، ففي كلمته لدى استقبال سماحته للضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة عام ١٤٢٥ هـ، قال:

«اليوم يصادف الذكرى السنوية لمولد رسول الإسلام المكّرم سيدنا محمد المصطفى ﷺ، كما يصادف الذكرى السنوية للمولد المبارك للإمام جعفر الصادق عليه السلام، ويشكّل هذا اليوم في الواقع عيداً كبيراً للأمة الإسلامية:

أولاً: أهنّئ هذه المناسبة السعيدة للأمة الإسلامية الكبرى، وللشعب الإيراني العزيز، وللسادة الحضور المحترمين في هذا الاجتماع، وخاصةً الضيوف والإخوة غير الإيرانيين الحاضرين في هذه الجلسة.

ثانياً: باعتبارنا مسلمين لدينا الكثير من الكلام الذي نتبادله فيما بيننا بمناسبة التكريم والتبجيل لشخصية نبي الإسلام الكريم ﷺ، يجب وضع هذا الكلام للتداول والدراسة والبحث؛ لأنّ الرسول الكريم هو معلّم لجميع الأمور الخيّرة، ومعلّم العدالة والإنسانية، والمعرفة والأخوّة، ومعلّم الرشد والتكامل، والتقدّم المستمر والدائم للبشرية حتّى منتهى

التاريخ، ومتى يستطيع الإنسان أن يكون في غنىً عن هذه الدروس القيّمة؟ فالبشرية في يومنا هذا، كما كانت دائماً، تحتاج إلى دروس رسول الإسلام الكريم، والى تعليماته...»[١].

وكان سماحته يؤكّد على منهجه السديد في الانسجام الإسلامي لتحقيق التآلف والتسامح والتآزر بين المسلمين أكثر فأكثر، ويقوّي أواصر الأخوّة والمحبّة فيما بينهم، فالوحدة عند سماحته مرجّحة على كافّة الضرورات والأولويات الأخرى في الوقت الراهن، ومقدّمة على سائر الأمور والقضايا الحاضرة، يقول حفظه الله:

«إنّ الأعباء الثقيلة تكون على عاتقنا، وهذا الظرف حسّاس، فلو تمكّن الأعداء من استخدام القوة لاحتلال هذه المنطقة، سيتخلّف العالم الإسلامي كتخلّفه في العهد الاستعماري مائة عام، وستزداد الهوة بين الأمة الإسلامية مع العالم المتطور والصناعي مائة عام أخرى... ونحن مسؤولون أمام وحدة العالم الإسلامي»[٢].

وكان قد حذّر سماحته المسلمين بهذه المناسبة المباركة(المولد النبوي الشريف) من خطر التشرذم والتبعثر الذي أصاب المسلمين، ومن خطر التهديدات الخارجية والمشاريع التي تؤسّس لاحتلال بلاد المسلمين.

فقال في كلمة لدى استقبال سماحته للضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الذي يقيمه المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية كل عام أيام الاحتفالات بيوم النبي ﷺ في طهران:

«وقد حان الوقت أن يعيد العالم الإسلامي النظر في أموره، ويفكّر جيداً بشأن موضوع الوحدة، فالتهديد الأمريكي في هذه المنطقة غير موجّه إلى بلد

١- الصحوة الإسلامية: آفاقها المستقبلية وترشيدها ١ : ٩.

٢- المصدر السابق: ١٢.

أو بلدين، بل هو موجّه ضد الجميع، وتهديد الرأسماليين الصهاينة الواقفين وراء الإدارة الأمريكية، لا يكتفي بابتلاع جزء من منطقتنا، بل ينوي ابتلاع المنطقة بأسرها، ويتحدّثون اليوم بهذا الشيء بصراحة، وأنّ مشروع (الشرق الأوسط الكبير) لا ينطوي على معنىً غير هذا الشيء، منذ تشكيل الكيان الصهيوني البغيض قبل خمسين ونيفاً من السنين، ومنذ نحو مائة عام، حيث تبلورت هذه الفكرة في الدول الغربية والأوربية، كانت هذه النيّة. إنّهم ينوون ابتلاع هذه المنطقة واحتلالها، ويحتاجون إليها، ولا يهمّهم شعوب هذه المنطقة فالكلّ معرّضون إلى التهديد، فعندما يتعرّض الجميع للتهديد فإنّ أكثر السبل عقلانية هو أن يفكّر الجميع بالأمر، والتضامن معاً»[١].

٣- تأسيس دار التقريب بين المذاهب... وتطلّعات الأمة

إنّ مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتوحيد صفوف الأمة أمام أعداء الإسلام، هو أمل من الآمال التي يتطلّع إليها كلّ المصلحين في العالم الإسلامي. ولا يخفى حجم مسؤولية العلماء والمفكّرين وأولي الأمر في الدول الإسلامية، والدور الذي تلعبه الحكومات في تحقيق التعايش الأخوي بين المنتمين إلى المذاهب المختلفة، وتحدّ من انتشار ظاهرة التعصّب المذهبي ممّا يحقّق المصلحة الجماعية للمسلمين.

وقد ظهر مصلحون من دعاة الوحدة على مستوى دولي، أمثال السيد جمال الدين الأسدآبادي، والشيخ محمد عبده، وآية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد تقي القمي، وآية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي البروجردي... وغيرهم ممّن أخذوا على عاتقهم دعوة المسلمين الذين باعدت بينهم آراء لا تمسّ العقائد الضرورية التي يجب على المسلم الإيمان بها.

١- المصدر نفسه: ١١.

وقد تأسست دار التقريب بين المذاهب في القاهرة على خلفيات تاريخية وسياسية، متدهورة، اتّصفت بالعصبية والعدوانية الطائفية، لم يعد لها اليوم بيننا مبرّر، إلّا في بعض الذهنيات العاجزة، والعقول المتحجّرة والخالية من الوعي بالمخاطر التي تهدّد الكلّ بلا استثناء.

حيث سافر الشيخ محمد تقي القمي إلى الكثير من بلاد المسلمين، وكانت مصر إحدى محطّات سفره، ومصر - كما نعلم - بلد الأزهر، وموطن علماء الإسلام، ومجمع رجال أهل السنّة، فالتقى داعية التقريب هؤلاء، وشرح لهم فكرته، ودعا إلى كلمة سواء، فلبّى هذه الدعوة طائفة من هؤلاء على تعدّد مذاهبهم - ممّن شرح الله بهذه الدعوة صدورهم - فكانت حصيلة هذا التلاقح الفكري الجادّ تأسيس جماعة التقريب (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) بالقاهرة[١]، وإصدار مجلة «رسالة الإسلام» الذي صدر العدد الأول منها في ربيع الأول عام ١٣٦٨هـ المصادف يناير ١٩٤٩م، واستمّر إصدار مجلة «رسالة الإسلام» حتى شهر رمضان عام ١٣٩٢هـ الموافق أكتوبر ١٩٧٢م، وضمّت هذه المجلّة العديد من المقالات العلمية القيّمة المقارنة، بأقلام مجموعة كبيرة من الشخصيات العلمية من مختلف المذاهب الإسلامية. كما سعت هذه الجماعة لتصحيح وإخراج كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، والذي وصفه شيخ الجامع الأزهر آنذاك الشيخ عبد المجيد سليم بقوله: «**كتاب جليل الشأن، غزير العلم، كثير الفوائد، حسن الترتيب**» **لا أحسبني مبالغاً إذا قلت: إنّه في مقدّمة كتب التفسير التي تعدُّ مراجع لعلومه وبحوثه**». وتمّت طباعته تحت إشراف لجنة من العلماء والمحقّقين في أوائل منتصف القرن الحالي[٢].

وكان من ثمرة المساعي الحثيثة للمصلحين أن أصدر الشيخ محمود شلتوت شيخ

١- انظر: دعوة التقريب، تاريخ ووثائق، وزارة الأوقاف المصرية/ القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م: ٧٧ وما بعدها.

٢- أنظر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية أهدافه، ومنهجه، ومنجزاته: ٩.

جامع الأزهر فتواه القاضية بجواز الرجوع إلى جميع المذاهب الإسلامية المعروفة، ومن بينها مذهب أهل البيت عليهم السلام، وذلك في ١٧ ربيع الأول من عام ١٣٧٨هـ والتي جاء فيها:

«إنّ الإسلام لا يوجب على أحدٍ من أتباعه اتّباع مذهب معيّن، بل نقول: إنّ لكلّ مسلمٍ الحقّ في أن يقلّد بادئ ذي بدء أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصةً...

إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهبٍ أو مقصورة على مذهبٍ، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أصلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات»[1].

وكذلك تعرّف علماء أهل السنّة والمتصدّون للإفتاء في مصر على فقه الشيعة، وأدخلوا بعض الفتاوى الشيعية الخاصة في قانون الأحوال الشخصية المصري، وتعرّف علماء الشيعة على كبار علماء أهل السنّة وفقههم وحديثهم[2].

١- سيأتي نصّ الفتوى وصورته، فلاحظ.

٢- أنظر: هادي خسروشاهي، قصة التقريب: أمة واحدة، ثقافة واحدة. ط المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٧م.

بسم الله الرحمن الرحيم

نصّ الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

في شأن جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية

قيل لفضيلته:

إنّ بعض الناس يرى أنّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مثلاً.

فأجاب فضيلته:

١ - إنّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتّباع مذهب معيّن، بل نقول: إنّ لكلّ مسلم الحقّ في أن يقلّد بادئ ذي بدء أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدوّنة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أيّ مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ - إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة.

فنبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

محمود شلتوت

فضيلة الأُستاذ الدكتور فريد واصل نصر مفتي الديار المصرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرجو من سماحتكم أن تعطونا رأيكم الشريف في اقتداء أصحاب المذاهب بمن يتقلّد مذهب أهل البيت(عليهم السلام) من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، هل يصحّ ذلك أم لا؟

أفتونا مأجورين ١٦، شوال المكرَّم، ١٤٢١ ه‍-

بسم الله الرحمن الرحيم

كلّ مسلم يؤمن بالله، ويشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، ولا ينكر معلوماً من الدين بالضرورة، وهو عالم بأركان الإسلام والصلاة، وشروطها هي متوفّرة فيه، فتصحّ إمامته لغيره، وإمامة غيره له إذا توفّرت فيه تلك الشروط ولو اختلف مذهبهما الفقهي.

وشيعة أهل البيت من نحلهم، ونشيّع معهم لله ولرسول وأهل بيته وصحابته جميعاً، ولا خلاف بيننا وبينهم في أُصول الشريعة الإسلامية، ولا فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، وقد صلّينا خلفهم وصلّوا خلفنا في طهران وفي قم في الأيام التي شرّفنا الله بهم في دولة إيران الإسلامية.

وندعو الله أن يحقّق وحدة الأمة الإسلامية، ويرفع عنهم أيّ شقاق أو نزاع أو خلاف قد حلّ بهم في بعض مسائل الفروع الفقهية المذهبية.

والله المؤيّد والهادي إلى سواء السبيل.

دكتور فريد واصل نصر مفتي الديار المصرية

١٦ شوال ١٤٢١ه‍- ٢ / ١ / ٢٠٠١م

كتاب شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الفتوى

التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر

في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية

....

قيل لفضيلته :

" ان بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على اطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية مثلا .

فأجاب فضيلته :

١ - ان الاسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول : ان لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل الى غيره - أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك .

٢ - ان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة .

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات .

... ...

السيد صاحب السماحة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي القمي

السكرتير العام

لجماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية

سلام الله عليكم ورحمته أما بعد فيسرني أن أبعث الى سماحتكم بصورة موقع عليها بامضائي من الفتوى التي أصدرتها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية ، راجيا أن تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الاسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

شيخ الجامع الأزهر

محمود شلتوت

مصوّرة فتوى المرحوم الشيخ شلتوت

الإمام الخامنئي وبواكير الوعي الوحدوي

يختلف الإمام الخامنئي كثيراً عن سائر المصلحين في سجاياهم وشمائلهم على نحوٍ ملموس، ومقارنة ببقية الرجال الآخرين الذين عُرفوا بأنّهم كانوا يحملون هموم الرسالة والأمة، يبدو أنّه (حفظه الله) يتميّز عنهم فضلاً عن اهتماماته المتعدّدة بشؤون الأمة والرسالة الخالدة، ورعايته بمسيرة الوحدة والتقارب بشكل متواصل وحثيث، فإنّه يتميّز أيضاً عن الآخرين بباكورة وعيه الوحدوي واهتمامه بهذه المسألة الحسّاسة باعتبارها بمثابة خطوة دفاعية مستحكمة لردع مختلف الغزاة، من: الإرساليات التبشيرية، والكارتلات التجارية، والجيوش المحتلة و...

إنّ وعي الإمام الخامنئي بخطورة الواقع الإسلامي المعاش، وضرورة إشاعة الوعي السياسي وروح الانسجام بين المسلمين، لم تكن إلّا خطوة مبكرة لاكتشافه للواقع الإسلامي المتردي، وهو بعد لم يتجاوز مرحلة دراسته الحوزوية الأولى، وبعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة وتدرّج سماحته في المسؤوليات الثورية والسياسية والعسكرية، حتى انتخابه قائداً للثورة بإجماع مجلس الخبراء بعد رحيل الإمام الخميني ﭭ، لم يدع حلمه في إرساء دعائم الوحدة بين المسلمين، وغرز بيرقه على مرتفعات شرق العالم الإسلامي وغربه.

وليس من قبيل المبالغة أن يرى الباحثون والدارسون لسيرة هذا الرجل القائد، والمرجع الديني، أنّه لم يرث أدبيات الوحدة والانسجام وضرورة إعلاء كلمة الله في الأرض عن أستاذه الأعظم سلفه الصالح الإمام الخميني ﭭ، وتراثه وثقافته فحسب، وإنّما كانت تلك الأدبيات قد تراكمت في شخصيته منذ سنين عديدة، منذ أن كان شاباً

طالباً في مجال العلوم والمعرفة الإسلامية، ولم يكن - آنذاك - مجتهداً ولا مرشداً. وكان يكتب عن هذه الهموم في زمن «الانحسار» الوحدوي، والانحدار المأساوي الذي شهده المسلمون إبّان النصف الأول من القرن الماضي، في الوقت الذي كان فيه المسلمون يتبادلون التهم والافتراءات، وكلٌّ يلعن الآخر ليضحك الأجنبي ويسخر منهم جميعاً!

١- ترجمة كتاب لأهل السنّة... اهتمام وحدوي

ففي عقد الستينات من القرن الماضي أخذ الإمام الخامنئي على عاتقه ترجمة كتاب «المستقبل لهذا الدين» لسيد قطب إلى اللغة الفارسية، وقد كتب سماحته مقدمةً لهذا الكتاب باللغة الفارسية، تُرجمت فيما بعد إلى اللغة العربية من قبل لجنة التحرير في «رسالة التقريب بين المذاهب».

وهذه المقدمة نقدّمها للقارئ الكريم باعتبارها وثيقة تاريخية هامة تدلّ وتشير إلى اهتمام سماحته من زمن بعيد بمسائل الأمة الواحدة، وأنّ الكتب الأصيلة ينبغي أن تترجم إلى جميع لغات المسلمين المنتشرين في العالم، لغرض اطلاعهم على ما يفكّر فيه إخوانهم القاطنين في الجزء الآخر من الأرض، وأن ليس ثمة مانع قومي أو وطني في ذلك، ومنه ندرك اهتمام سماحته بإشاعة روح الانسجام بين المسلمين منذ ذلك الوقت.

إضافة إلى محتواها الفكري والثقافي والأخلاقي، ليطلع المسلمون على ثقافة الانسجام الإسلامي التي كان يدعو إليها سماحته منذ وقت مبكّر من عمره الشريف:

«إنّ اتجاه الأمة بمختلف قطاعاتها، وخاصة فئة الشباب، إلى انتهال العلوم الإسلامية، وسبر أغوار الفكر الإسلامي، دلالة واضحة أيضاً على أنّ الإسلام يحتلّ مكانه المناسب في الساحة العالمية حين ترتفع المعرفة الإنسانية إلى مستواها المناسب، لما بين اتّساع المعرفة الدينية والمعرفة العلمية من تناسب طردي.

ومن هنا يتوجّب على علماء الدين وقادة الفكر الإسلامي، أن يستثمروا

فرصة انفجار المعلومات البشرية، ليقدّموا الدين بلغةٍ تتناسب مع لغة العصر واحتياجاته، وأن يعرضوا متاعهم الثمين بشكل مناسب، وبصورة جديدة كلّ الجدّة».

ثم يقول:

«القوى الغازية الطامعة وجدت أنّه لابدّ من قمع القوة المعنوية في الشرق باعتباره خطوة أولى لفرض الهيمنة؛ لأنّ هذه القوة يمكن أن تشكّل عقبةً أمام أطماعهم التوسعية. وفي بلدان الشرق لم تكن هذه القوة المعنوية سوى الإسلام.

هذا الواجب يتحمّله اليوم كلّ المسلمين[1]، يجب تدوين أصول الإسلام بتحليل وتدقيق، وعرضه على عامة الناس ليتعرّفوا على إسلامهم.

هذه رسالة شاقّة وثقيلة، ولكنّها في نفس الوقت حياتية وكبيرة. هذه هي نفسها رسالة الأنبياء الذين نعرف ما قدّموه من تضحيات جسام على هذا الطريق».

ويقول معبّراً عن نظرته الوحدوية:

«فالإسلام يمنح أبناءه شخصيةً يرون فيها أنّهم الأعلون، ويسمّيهم حزب الله وأنّ حزب الله هم الغالبون. يعلّمهم أنّهم يجب أن يحافظوا على وجودهم أمام هجوم الأعداء، ويقفوا أمامه صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، وأن لا يهنوا ولا يحزنوا في لقاء العدوّ، ويبشّرهم بأنّهم الأمة التي ستُستخلف في الأرض، وتكون الشاهدة الوسط على ساحة التاريخ، ويدفعهم نحو حركة جهادية دائبة للحفاظ على دينهم والتضحية من أجل نشر تعاليم رسالتهم، ويحثّهم على التلاحم والاتحاد، ويفرض عليهم اتّخاذ موقف الغلظة والشدّة تجاه الأعداء، وينهى عن الركون إليهم...».

---

١ - يجمع فقهاء الشيعة على أنّ الدين متى ما تعرّض لخطر الإبادة في عصر غيبة الإمام المعصوم، يجب على جميع المسلمين حتى الشيوخ والمرضى أن يدافعوا عنه بمقدار قدرتهم.

٢- تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ورعايته

لا شكّ أنّ المرحلة الراهنة التي تجتازها الأمة الإسلامية تتطلّب تعبئة الطاقات وحشد الجهود لتعميق الوحدة التي يريدها رجال التقريب بين المذاهب، من خلال عدة طرق:

١ - تعزيز الانتماء للأمة، وحذف كلّ انتماءات أخرى.

٢ - تقوية الالتزام بالدين الحنيف بكلّ تعاليمه وقيمه التي جسّدها النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرون وصحبه الأخيار المتجبون.

٣ - ترشيد الاهتداء بتعاليم وتصريحات علمائنا الواعين وفقهائنا المنوّرين. وكلّ ذلك: وصولاً إلى تحقيق التقدّم والنماء على صعيد الوحدة والتقارب والانسجام الإسلامي.

والقوى المعادية على اختلاف مشاربها تكاتفت وتكالبت على ضرب الحصار حول العالم الإسلامي؛ لإضعاف كيانه الاجتماعي والسياسي، واستنزاف إمكاناته الاقتصادية والثقافية، وهدر طاقاته البشرية وقدراته الفكرية، ودفعه بالاتجاه المعاكس.

والمتتبّع للتاريخ الإسلامي والمتأمّل فيه، خاصة في مراحله الدقيقة والحسّاسة التي شهدت توترات في العلاقات بين طوائف الأمة والأطراف المختلفة التي كانت تعيش معاً تحت سقف واحد، ابتداءً من القرون الأولى، ومروراً في القرون الوسطى، ولا سيّما القرن العاشر حين اضطربت العلاقات بين الدولة العثمانية والصفويين، وتأزّمت الأوضاع في هذه المنطقة من جراء الحرب غير المبرّرة التي نشبت بينهما، وانتهاءً بما وقع من فتنة بين شطري الأمة، يجد أنّ الأمر برمّته لا يخلو من وجود عوامل خارجية دفعت أو ساهمت أو أثّرت في تأجيج النزاعات والصراع، وشاركت في إذكاء العداوة والبغضاء، وإضرام نار الفتنة في كلّ التوترات، بل لا يشك الباحث في أنّ القوى الأجنبية كانت تقف دائماً وراء هذه الأحداث المؤلمة والدامية.

وبعد سلسلة طويلة من الحوادث والتوترات، مضى الخيّرون من الأمة، من علمائها وفضلائها، ومثقفيها ومفكّريها، للقضاء على عوامل الفتنة، والحرص على تقوية كيان الأمة، وبثّ الوعي المستنير بين المسلمين، وبدأت الأمة بتحسّس حاجاتها إلى التفيّؤ بظلّ شجرة التقارب والتعايش السلمي، والاستناد إلى أصلها الثابت، بعد أن اتّضحت لها غواشي الفرقة وما جرته على أبنائها من ويلات تمثّلت بالقتل والتشريد، والمزيد من الضعف والانحلال.

ومن الطبيعي أن يصحب ذلك اهتمام الإمام الخامنئي وهو يتسنّم قيادة الثورة الإسلامية المباركة وزعامة الولاية في بلد مسلم كبير، له مكانته التاريخية وموقعه الاستراتيجي، وإمكاناته الطبيعية والبشرية، فقام سماحته بمسؤوليته الشرعية تجاه هذه الأمة من أجل العمل على التعريف بتراث الإسلام وحضارته الراقية، وإظهار الوجه الحقيقي والناصع لهذا الدين الحنيف والحثّ المتواصل على تعزيز التقارب والتفاهم بين المذاهب الإسلامية، وعدّها مسؤولية شرعية تقع على عاتق كلّ مسلم غيور وواعٍ لمتطلبات أمته ورسالته الخالدة.

فقام سماحته بإصدار الأمر بتشكيل المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي يحمل رسالة أصيلة، طبقاً لما جاء في إستراتيجيتها وهي عبارة عن:

> **«رفع مستوى التعارف والوعي، وتعميق التفاهم بين أتباع المذاهب الإسلامية، وتقوية الاحترام المتبادل، وتقوية أواصر الوحدة بين المسلمين دون أيّ تمييز من ناحية المعتقدات المذهبية أو القومية أو الوطنية لهم، من أجل بلوغ الأمة الإسلامية الموحّدة»**[1].

ولا يعني أنّ القصد من التقريب بين المذاهب الإسلامية هو نبذها جميعاً واعتناق

١- منشور المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بعنوان: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، أهدافه ومنهجه ومنجزاته، ط ٦.

مذهب واحد، أو خروج الجميع من معتقداتهم الفقهية والكلامية والدخول في معتقد مذهب واحد، وكذلك ليس القصد منه تذويب كل المذاهب في بوتقة واحدة ثم صبّها في مذهب واحد موحّد!

كما هو الحال من مفهوم الوحدة بين المذاهب الإسلامية التي ينادي بها المصلحون والتقريبيون من أبناء هذه الأمة المجيدة.

وإنّما المراد منهما هو التعاون بين أتباع المذاهب الإسلامية كلّهم على أساس المبادئ الإسلامية المشتركة، واتّخاذ موقف موحّد تجاه القضايا المركزية والمستجدة، موقف صلب موحّد نحو أعدائها في جميع الميادين.

فالمجمع العالمي بكلّ تشكيلاته وأقسامه يعدّ وسيلةً لجمع الشمل، ورأب الصدع، وتبادل حسن الظنّ، ومنح التقدير والاحترام للآخر؛ صيانةً للوحدة الإسلامية، وتعزيز مقومات التعايش السلمي والوحدة والتآلف، والتعاون والتضامن، والانسجام الإسلامي.

إنّ نقل الصورة الناصعة للإسلام يحتاج إلى تعاون وتنسيق بين العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية وليس علماء مذهب دون آخر، وقد بذل كثير من العلماء والمفكّرين من أتباع المذاهب كافة جهوداً كبيرةً في هذا السبيل، كما شهدت القرون المزدهرة الأولى تلاقياً فكرياً واسعاً بين العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية، فعقدت المجالس العلمية المختلفة التي غلب عليها طابع الموضوعية والبحث العلمي والحوار، وشهدت حضور روّاد العلم والمعرفة وإن لم يكونوا على مذهب واحد.

كما ويعدّ المجمع مؤسسة إسلامية وعلمية وثقافية عالمية، وتمتلك شخصية حقوقية مستقلّة، وتهدف إلى المساعدة في إحياء ونشر الثقافة والتعاليم الإسلامية، والدفاع عن ساحة القرآن وسنّة النبي الأكرم ﷺ، والسعي في سبيل تحقيق التعارف والتفاهم بين العلماء والمفكّرين والقادة الدينيين للعالم الإسلامي في المجالات العقدية والفقهية والاجتماعية والسياسية، وإشاعة فكرة التقريب بين المفكّرين والشخصيات النخبوية في

العالم الإسلامي، ونقلها إلى الجماهير المسلمة وتوعيتها بمؤامرات الأعداء المفرّقة للأمة.

والسعي أيضاً لإيجاد التنسيق لغرض تشكيل الجبهة الواحدة في قبال التآمر الإعلامي والثقافي لأعداء الإسلام على أساس للمبادئ الإسلامية المسلَّم بها، واحترام الآخر، ونفي موارد سوء الظن به.

ويحقّق أهدافه من خلال الأساليب التالية:

أ) التعرّف والاتصال بالجمعيات والمراكز والشخصيات الإسلامية المتنوعة بهدف إيجاد الأرضية المساعدة للنشاطات المشتركة.

ب) التأليف والتحقيق والنشر والتوزيع للكتب والمطبوعات والتحقيقات والدراسات العلمية والاجتماعية المناسبة في مجال الموضوعات المشتركة بين المذاهب الإسلامية.

ج) إيجاد وتوسعة النشاطات الحوزوية والجامعية في مجال العلوم الإسلامية.

د) إقامة المؤتمرات والحضور والاشتراك في المجامع الثقافية المناسبة.

هـ) العضوية في المنظمات الدولية، من قبيل: منظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة الأمم المتحدة(قسم المنظمات غير الحكومية).

و) دعم وتأسيس جماعات التقريب في أنحاء العالم.

ز) دعم المراكز والمؤسسات والأفراد الذين يميلون للتقريب.

ح) تأسيس المراكز والفروع والممثليات في المناطق المهمة عند اللزوم.

وتتمّ إدارة مجمع التقريب من خلال ثلاث تشكيلات إدارية، كما هو مدوّن في قانونه الداخلي:

١ - **الجمعية العمومية**: وينتخب أعضاء الجمعية العمومية من بين العلماء والمفكّرين وقادة المذاهب الإسلامية في أنحاء العالم، ممّن يتّفقون مع فكرة التقريب بواسطة أعضاء المجلس الأعلى لمدة ستّ سنين. ومن وظائف الجمعية العمومية: الموافقة على النظام

الداخلي للجمعية العمومية، ودراسة تقرير الأمين العام عن النشاطات وإبداء الرأي فيه، ودراسة المسائل التي تم إرجاعها إليها من قبل المجلس الأعلى واتّخاذ القرار المناسب، ودراسة المشاكل والمسائل العامة للمجتمعات الإسلامية وتقديم الحلول المناسبة.

٢- **المجلس الأعلى**: وينتخب أعضاء هذا المجلس من بين العلماء والمفكّرين والشخصيات الإسلامية من المذاهب الإسلامية العشرة... ويتشكّل من ١٥ عضواً كحدّ أقلّ، ولا يتجاوز الواحد والعشرين عضواً، يصادق على اللائحة الداخلية وسائر اللوائح لمجمع التقريب، ويصادق على سياسات وبرامج المجمع.

٣- **الأمين العام**: وهو أعلى مسؤول تنفيذي في المجمع، وهو يعمل على اقتراح سياسات وبرامج مجمع التقريب على المجلس الأعلى لاعتمادها، ومتابعة وتنفيذ قرارات هذا المجلس.

ويشغل هذا المنصب في الوقت الحاضر ويضطلع به آية الله الشيخ محمد علي التسخيري (حفظه الله) الذي يُعرف برجل القلم والأخلاق الحميدة، بأمر من سماحة الإمام الخامنئي، بعد استقالة سلفه الشيخ العلّامة محمد واعظ زاده:

نصّ مرسوم سماحة القائد الإمام الخامنئي بتعيين آية الله الشيخ محمد علي التسخيري أميناً عاماً للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التسخيري دامت بركاته

لّما كان فضيلة العلاّمة القدير الحاج الشيخ محمد واعظ زاده بعد سنوات من المساعي القيمة في مسؤولية الأمانة العامة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، قد استقال من منصبه، فإنني إذ أثمّن من الصميم مساعيه المشكورة، أعيّن فضيلتكم - لما تتمتّعون به من كفاءات وتجارب علمية وعملية ثرة، وباعتباركم من الوجوه البارزة في العالم الإسلامي - أميناً عاماً للمجمع.

ومن أعظم أهداف نظام الجمهورية الإسلامية توطيد أواصر الوحدة بين المجتمعات والفرق الإسلامية، وهي أهداف تقوم على قاعدة الكتاب والسنّة.

الأمة الإسلامية الكبرى بحاجة اليوم أكثر من أيّ وقت مضى إلى التآلف والاتحاد. يجب أن نعمل على جعل الأقطار والأعمال في الأسرة الإسلامية الكبرى أقرب إلى بعضها وأسمى أخوةً يوماً بعد يوم.

في هذه الفترة الزمنية نشعر بوضوح أنّ الأيدي المفرّقة قد زادت من مساعيها، وهي منهمكة بنشاطات شيطانية لإثارة النعرات الطائفية، وتوجيه الساحة إلى ما يتعارض مع آمال الأخوة والاتحاد.

ومن المتطلبات الحاسمة الراهنة، التعرّف على هذه الدسائس واتخاذ السبل العلمية المقرونة بالتدبير لإحباطها، والمجمع العالمي للتقريب يتحمل في هذا المجال مهام جسيمة خاصة.

من الضروري أن تجعلوا كلّ الشخصيات المنصفة المهتمة في العالم الإسلامي في صورة هذه الحاجة الملحة، وأن تدعوهم للتعاون في هذا المجال.

اسأل الله سبحانه لفضيلتكم ولجميع المتعاونين معكم التوفيق.

السيد علي الحسيني الخامنئي

٤ رجب ١٤٢٢هـ

وفيما يلي نص الحكم الذي أصدره
سماحة آية الله السيد علي الخامنئي إلى الأمين العام السابق للمجتمع
سماحة آية الله واعظ زاده خراساني:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الأستاذ العالم والمفكر القدير فضيلة الحاج الشيخ محمد واعظ زاده خراساني دام بقاؤه.

في الظرف الحالي الذي أُتيح فيه والحمد لله تأسيس مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، وحظي فكر التقريب بقبول وترحيب واسع من جانب العلماء والمفكرين الإسلاميين في مختلف أكناف العالم الإسلامي وباعثاً الآمال الجديدة في هذا المجال، وبالنظر إلى تمتعكم بالمنزلة الرفيعة في العلوم الإسلامية، والسابقة والممارسة المشكورة لديكم في التقريب بين مختلف الطوائف الإسلامية، أعينكم بمنصب الأمين العام للمجمع المذكور.

على أمل وما يتوقع هو أن ترشدوا الجهود الشاملة في مختلف المجالات العلمية والثقافية المبذولة والحركة المنطقية، ومتابعة الأهداف المعنية من جانب المجمع بدراية كاملة.

وتسلتزم الردود على أولئك الذين يبذلون محاولاتهم نحو إثارة التفرقة بين المسلمين الاتكال على الله المتعال في عدم ادّخار أي جهد نحو تحقيق هذا الهدف بما له من أهمية وعظمة. أسال الله عزّ وجلّ توفيق سماحتكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الحسيني الخامنئي

١٩/ ٧/ ٦٩ - ١٠ / اكتوبر ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب حجة الاسلام والمسلمین آقای تسخیری دامت برکاته

اکنون که جناب علامه فرزانه آقای حاج شیخ محمد واعظ زاده پس از سالها تلاش مفید در مقام دبیرکلی مجمع تقریب مذاهب اسلامی از سمت خود استعفا کرده‌اند ضمن تقدیر صمیمانه از سعی مشکور ایشان جنابعالی را که برخوردار از صلاحیتها و تجارب علمی و عملی فراوان و چهره‌ی شناخته شده‌ای در جهان اسلام می‌باشید به دبیرکلی آن مجمع منصوب میکنم. ایجاد اتحاد میان مذاهب اسلامی یکی از بزرگترین اهداف نظام جمهوری اسلامی و متکی به ریشه‌های استوار در کتاب و سنت است.

امت بزرگ اسلامی امروز بیش از همیشه به همدلی و اتحاد نیازمند است باید اندیشه‌ها و رفتارها در خانواده‌ی بزرگ اسلامی روز به روز نزدیکتر و برادرانه‌تر گردد. در برهه‌ی کنونی آشکارا احساس میکنیم که دستهای تفرقه افکن بر تلاش خود افزوده‌اند و با تحریک احساسات فرقه‌ای در جهت عکس آرمان برادری و اتحاد به تکاپوی شیطنت آمیز سرگرمند. شناسائی این ترفندها و در پیش گرفتن شیوه‌های عالمانه و برخاسته از تدبیر در خنثی کردن آن از جمله نیازهای مبرم کنونی است و مجمع تقریب در این باره وظیفه‌ای بارز و ویژه است. لازم است همه‌ی شخصیتهای منصف و دلسوز در جهان اسلام را به این نیاز فوری توجه دهید و همکاری آنان را در این باره جلب کنید.

از خداوند متعال توفیقات جنابعالی و دیگر همکارانتان را مسئلت میکنم.

سید علی خامنه‌ای
۳۱ / ۶ / ۸۰
[illegible]

مصوّرة حكم تعيين الشيخ التسخيري لمنصب الأمين العام للمجمع



صورة تجمع بين السيد الإمام الخامنئي والشيخ التسخيري

بسم الله الرحمن الرحیم

«الحمد لله رب العالمین و صلی الله علی سیدنا محمد و آله الطاهرین»

جناب آقای حاج شیخ محمد واعظ زاده خراسانی

استاد دانشمند و متفکر ارجمند دام بقائه

اکنون که بحمدالله مقدمات تأسیس مجمع التقریب بین المذاهب الاسلامیة فراهم گشته و قبول و استقبال وسیع علماء و متفکران اسلامی در اکناف جهان اسلام از فکر تقریب میان فرق مسلمان، امیدهای تازه‌ای را در این عرصه برانگیخته است. جنابعالی را که دارای رتبت والائی در علوم اسلامی و سابقه و ممارست مشکوری در امر تقریب بین فرق اسلامی می‌باشید، به دبیرکلی مجمع مزبور منصوب می‌کنم.

با این امید و انتظار که تلاش همه جانبه‌ای در زمینه‌هائی که تاکنون عملی و فرهنگی مبذول نبوده، حرکت منطقی و پیگیر بسمت اهداف تعیین شده‌ی مجمع مزبور را با درایت کامل هدایت فرمائید.

توقع عکس العمل از سوی کسانی که به تفرقه‌ی مسلمین بیشتر علاقمند هستند ایجاب میکند که با توکل به خداوند متعال، عظمت و اهمیت این اهداف والا همواره در مد نظر باشد و از بذل هیچ مساعی دریغ نشود.

توفیقات جنابعالی را از خداوند متعال مسئلت می‌کنم، والله المستعان.

والسلام علیکم و رحمة الله و برکاته

علی الحسینی الخامنه‌ای

۶۹/۷/۱۹

مصوّرة حكم تعيين الشيخ واعظ زاده

٣- تكريم الشخصيات العلمية والوحدوية

على الرغم من اهتمامات الإمام الخامنئي المتعدّدة: العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية والحكومية و... فثمة اهتمام يبدو مغموراً تحت فيض اهتمامات سماحته على الصعيد الثقافي، وهو رعايته لتكريم الشخصيات العلمية والثقافية والفكرية، وأيضاً الوحدوية ولو كانت هذه الشخصيات تمثّل الجانب السنّي، ومدرسة أهل السنّة.

إذ إنّ إقامة الاحتفالات التكريمية للشخصيات العلمية والوحدوية تعدّ وسيلة توفّر الفرصة لتتبع أفكار هذه الشخصية أولاً، ومجموعة مفاهيمه نحو الأمة وهموم الرسالة ثانياً، وما يمكن أن تفيد طبيعة اهتمامها من انعكاسات على واقع الأمة الواحدة بكلّ مكوّناتها وعناصرها، وعلى حقيقة المذاهب الإسلامية الأخرى، إذ تتاح الفرصة للوقوف من كثب على أصول المذاهب الأخرى، ورصد مصادرها الشرعية والفكرية والثقافية من خلال الوقوف على سيرة وحياة الشخصية المكرَّمة.

وقد عقد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، وبرعاية الإمام القائد الخامنئي، في شوال عام ١٤٢٢هـ ندوة عالمية بمناسبة مرور أربعين عاماً على وفاة العلمين - من أعلام الدين والتقريب - سماحة آية الله العظمى السيد البروجردي والإمام الكبير الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، وقد حضرها وفد رفيع المستوى من مصر، وعدد كبير من العلماء والمفكّرين الإسلاميين من كافة أرجاء العالم الإسلامي.

وفيما يلي نصّ كلمة سماحته في هذه الندوة:

«حمداً لله سبحانه وتعالى أن أُوافقكم أنتم العاملين المحترمين على إقامة هذا الاجتماع، لتكريم شخصيتين كبيرتين كان لهما السهم الكبير في تحقيق أمل التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وهاتان الشخصيتان المرموقتان والممتازتان أحدهما: كبير فقهاء عصره والمرجع الأعلى لجميع شيعة العالم في وقته، والشخصية الفريدة بين علماء الدين في العصور الأخيرة حضرة آية الله العظمى السيد البروجردي،

والآخر: الفقيه والمفتي الكبير لدى أهل السنّة، والرئيس الشجاع والمجدّد للأزهر الشريف العلاّمة الشيخ محمود شلتوت.

إنّ تكريم هاتين الشخصيتين الشهيرتين في عالم الإسلام ليس فقط تكريماً لإنسانين كبيرين فحسب، بل الهدف منه هو ما قدّماه من خدمة عظيمة للأُمة الإسلامية.

واليوم العالمي الإسلامي، الذي يشكّل أعظم المجموعات العالمية من حيث ما يحتويه من كنوز مادية وإنسانية وفكرية وتاريخية، بحاجة أكثر من أيّ وقتٍ مضى إلى الوحدة والتقريب.

وإذا كانت أهداف وآمال كلّ مسلمٍ خيّر يحمل هموم أُمته تتمثّل في تمركز المساعي والطاقات باتجاه إنقاذ الأُمّة الإسلامية، فلابدّ أن نعلم أن هذا الهدف لا يمكن بلوغه إلّا في ظلّ تقارب القلوب والأفكار والمعتقدات.

وهذان الرجلان الكبيران قد أدركا قبل قرابة نصف قرن هذه الحقيقة الوضّاءة، وبذلا من أجلها الجهود الكبير.

ولو كان رجال العلم والسياسة قد واصلوا هذه المساعي بجد، فلعلّ عالمنا الإسلامي لم يشهد النتائج المؤلمة لما بين المسلمين من خلاف، ولعلّ مأساة فلسطين وسائر أوضاع العالم الإسلامي المزرية ما كانت قد أحاطت بالعالم الإسلامي بهذا الشكل المأساوي والمرعب الذي عليه اليوم.

في تلك الأيام كانت همّة مرجع الشيعة الأعلى وعزمه وشجاعته، وحريّة إمام الإفتاء في مصر قد تبلورتا في خطوة مهمة وضرورية لعصرهما، واليوم أيضاً يتحمّل كلّ من الروّاد والمفكّرين، وعلماء الدين والمثقفين، ورجال الإفتاء والساسة مسؤوليات كبرى في هذا الطريق.

والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران يجب أن ينهض بمشروع عظيم وخالد، كالذي نهضت به دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، فأمواج تخريب علاقات المذاهب والشعوب المنبعثة من بؤر الفتنة في داخل العالم الإسلامي وخارجه، تستهدف زيادة تشتّت

الشعوب والمذاهب الإسلامية، ولذا فبذل الجهود المخلصة أمام أمواج الفتنة هذه واجب يتحمّله الجميع، خاصة الواعون والمتعقّلون بتمسكنا بالقرآن الكريم وسنّة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام القطعيّة، مثل حديث الثقلين، وإتباع أهل البيت(عليهم السلام) يُصبح الطريق أمامنا واضحاً لا لبس فيه. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني وإياكم، وكل العلماء والأمة الإسلامية، لانتهاج هذا الطريق.

في الخاتمة أرى لزاماً أن أشكر العاملين على إقامة هذا الاجتماع لما بذلوه من جهود، وأسأل الله سبحانه أن يتغمّد برحمته ومغفرته المرحوم العلاّمة الشيخ محمد تقي القمي مؤسّس دار التقريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد علي الخامنئي

١٢ شوال ١٤٢١هـ

كما كانت رعاية سماحته للتقيات واحتفالات تكريم شخصيات وحدوية وإسلامية واعية أخرى، منها:

- المؤتمر العالمي للذكرى المئوية لوفاة **السيد جمال الدين الأسدآبادي** (الأفغاني) الذي أُقيم في شوال عام ١٤١٧هـ في مدينتي طهران وهمدان.

- ندوة تكريم العلّامة **آية الله السيد محسن الأمين** في عام ١٤٢٣هـ، في مدينة دمشق العاصمة السورية.

- ندوة تكريم **الشيخ أحمد كفتارو** بدمشق أيضاً عام ١٤٢٥هـ، بالتعاون مع مجمع أبو النور.

- مؤتمر تكريم الإمام شرف الدين العاملي عام ١٤٢٧هـ في بيروت.

- مهرجان تكريم **الشهيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم** عام ١٤٢٥هـ، بالتعاون مع المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

وغيرها من الملتقيات والندوات والمهرجانات الوحدوية والتقريبية التي أُقيمت في كثير من دول العالم العربي والإسلامي.

مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم.
٢. الأبعاد التقريبة في نداء الإمام الخامنئي، بمناسبة موسم حج عام ١٣٧٥هـ.
٣. الإسلام وعلم النفس، الدكتور محمود البستاني، الطبعة الأولى، إيران.
٤. الإسلام يتحدّى، وحيد الدين خان، دار الجيل المسلم، قم.
٥. أضواء على الوحدة والتقريب في الإسلام، الشيخ محمد علي التسخيري، مطبوع كمقدمة لكتاب الوحدة الإسلامية في الأحاديث المشتركة بين الشيعة والسنّة.
٦. أعيان الشيعة، محسن الأمين.
٧. الإنسان ذلك المجهول، شفيق اسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت.
٨. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، الوفاء، بيروت.
٩. البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر العربي، ط ١، بيروت.
١٠. تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، منشورات جامعة المدرسين، قم.
١١. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت.
١٢. جامع المعاجم.
١٣. خزانة الأدب، تقي الدين المعروف بالحموي.
١٤. ديوان حافظ إبراهيم.
١٥. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت.

١٧. الصحوة الإسلامية، آفاقها المستقبلة وترشيدها، ط ١، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، طهران.
١٨. فرهنگ وتهاجم فرهنگ، برگرفته از سخنان مقام معظم رهبري، سازمان مدارگ فرهنگی انقلاب إسلامي، چاپ مؤسسه الهادي، قم.
١٩. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الحديث، د. البهي.
٢٠. في رحاب الولاية العدد٩ و ٤٤٦ و ٤٥٤ و ٤٥٦ و ٤٦٧.
٢١. الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٢٢. لسان العرب، ابن منظور.
٢٣. مسألة المنهج في الفكر الديني، حيدر حب الله، الانتشار العربي، بيروت.
٢٤. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، منشورات دار صادر، بيروت.
٢٥. مجلة آفاق عربية، بغداد.
٢٦. مجلة الطليعة القاهرية، مقال د. توفيق يوسف الواعي.
٢٧. مجلة الفكر الإسلامي، العدد ٢٣.
٢٨. المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، أهدافه ومنهجه ومنجزاته، معاونية العلاقات الدولية، إيران، طهران.
٢٩. المدخل إلى القيم الإسلامية، الدكتور جابر قميحة، دار الكتب الإسلامية ١٩٨٤.
٣٠. المقالات والدراسات، المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة، الطبعة الأولى، رمضان ١٤٠٥.
٣١. مكتبة الأدب العربي.
٣٢. من هدي الإسلام، السيد محمود الهاشمي، النظرة الكونية أو الأساس العقائدي
٣٣. نقد وتقييم الحضارة «حضارة القيم وحضارة التراب» السيد الكامل الهاشمي.
٣٤. الوحدة الإسلامية في الأحاديث المشتركة بين السنّة والشيعة، السيد شهاب الدين الحسيني، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ. ق، طهران.
٣٥. وسائل الشيعة، الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.